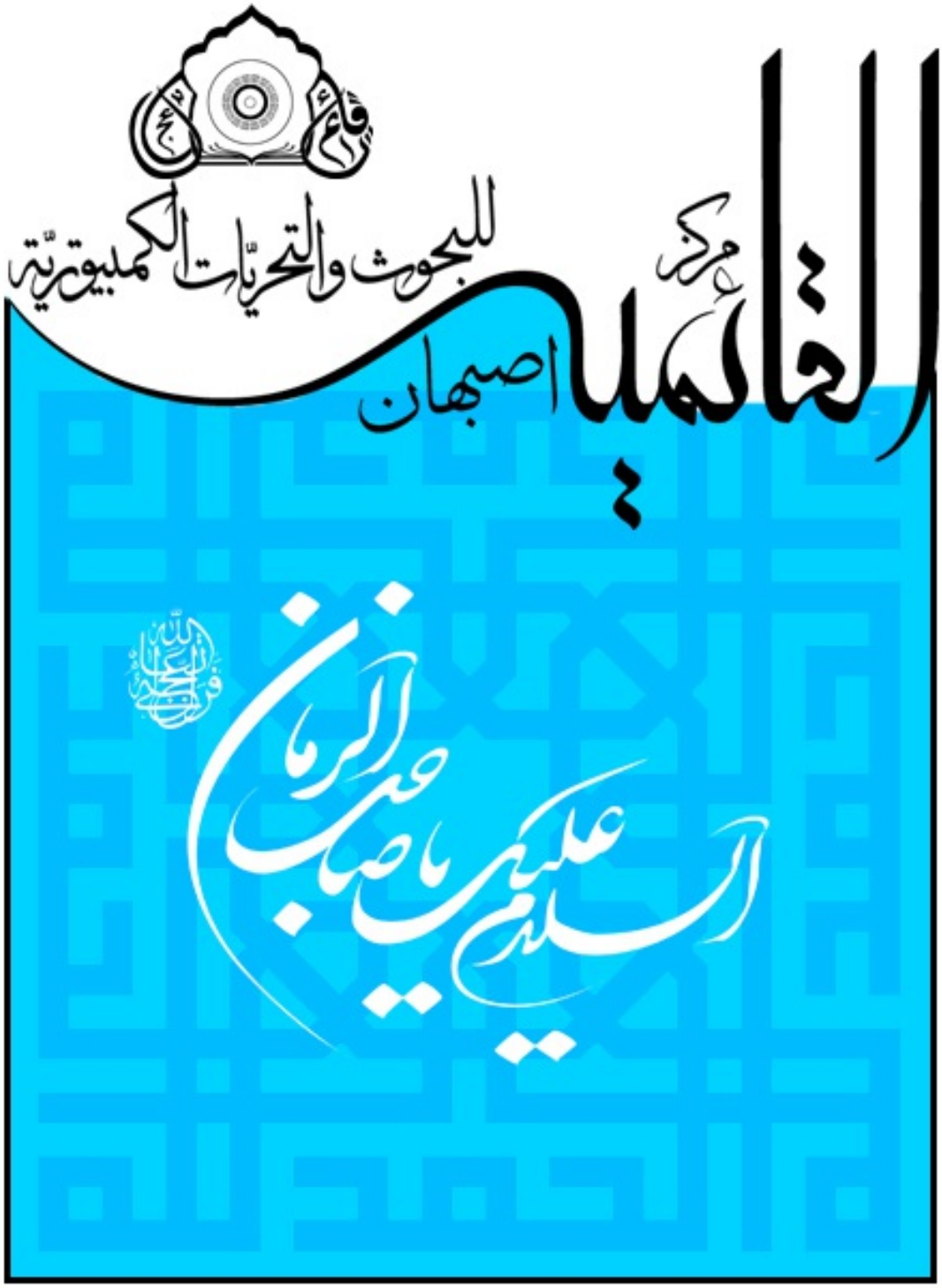

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

المعجزة القرآنية

الإعجاز العلمي والغيبي

الدكتور محمد حسن عبد

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

المعجزه القرآنیه الاعجاز العلمی و الغیبی

کاتب:

محمدحسن هیتو

نشرت فی الطباعة:

مؤسسة الرساله

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
مقدمة ----- ۱۵
المقدّمة فی المعجزة و الإعجاز ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۹
ضرورة المعجزة للرسالة: ----- ۱۹
تعریف المعجزة: ----- ۱۹
الفرق بین المعجزة و غیرها من السحر و الکرامة: ----- ۲۰
الفارق بینها و بین المعجزة یظهر من عدة وجوه: ----- ۲۱
تنوع المعجزة باعتبار المرسل إلیهم: ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
معجزة موسی علیه السلام: ----- ۲۳
معجزة عیسی علیه السلام: ----- ۲۵
معجزة نبینا علیه الصلاة و السلام: ----- ۲۶
اشارة ----- ۲۶
ثقافة العرب و معارفهم فی الجاهلیة: ----- ۲۶
اشارة ----- ۲۶
تمرّس العرب باللغة: ----- ۲۶
تفاخر العرب بلغتهم: ----- ۲۶
لم لم تکن معجزة نبینا علیه السلام مادیة: ----- ۲۷
تمییز العرب بین أنواع الکلام، و إدراکهم معجزة القرآن: ----- ۲۷
و نحن قبل أن نتکلم علی وجوه الإعجاز فی القرآن، لا بدّ لنا أن نعرف القرآن الکریم ----- ۲۷

اشارة ----- ۲۷
القرآن لغة: ----- ۲۸
القرآن اصطلاحا: ----- ۲۸
مراحل التحدی بالقرآن: ----- ۲۹
اشارة ----- ۲۹
المرحلة الأولی: ----- ۲۹
المرحلة الثانیة: ----- ۲۹
المرحلة الثالثة: ----- ۲۹
سلامة المعجزة القرآنیة عن المعارضة: ----- ۳۰
اعترافات المشرکین بالاعجاز: ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
الولید بن المغیرة: ----- ۳۱
عتبة بن ربیعة: ----- ۳۱
النضر بن الحارث: ----- ۳۲
اتفاق المشرکین علی اللغو فی القرآن لمنع تأثیره: ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
الطفیل بن عمرو الدوسی: ----- ۳۳
عمر بن الخطاب: ----- ۳۳
لبید بن ربیعة: ----- ۳۴
تأثر حسان بن ثابت: ----- ۳۵
لما ذا لم یسلم جمیع العرب ممن أدرک معجزة القرآن؟: ----- ۳۶
اشارة ----- ۳۶
[العناد هو السبب و مثاله:] ----- ۳۶
اشارة ----- ۳۶

عناد قوم إبراهيم عليه السلام: ۳۶
عناد الكنيسة مع الحقائق العلمية: ۳۷
عناد الوليد بن المغيرة: ۳۸
عناد الأخنس بن شريق صراحة: ۳۹
إعلان المشركين أن كفرهم كبر و عناد: ۳۹
الدليل على عدم وقوع معارضة القرآن: ۳۹
اشارة ۳۹
التحدى ليس مقصورا على اللغة: ۴۰
استنفار كل من تحد للمعارضة: ۴۰
محاولة المشركين فى المعارضة: ۴۱
محاولة اليهود فى المعارضة: ۴۲
استعانة المشركين باليهود على المعارضة: ۴۲
استعانة المشركين بالنصارى: ۴۳
وجه الاستدلال على عدم المعارضة بما ذكرناه: ۴۳
استدلال آخر على فشل المشركين فى المعارضة: ۴۴
بعض المحاولات اليائسة فى المعارضة ۴۵
اشارة ۴۵
محاولة مسيلمة الكذاب: ۴۵
احتمال المعارضة من غير العرب و الرد على كتاب مانى و زرادشت ۴۶
دعوى معارضة ابن المقفع ۴۶
دعوى المعارضة فى أهل الأعصار التالية للعصر الأول ۴۷
لما ذا لا ندرک إعجاز القرآن فى هذا العصر ۴۷
اشارة ۴۷
هل معنى هذا أن أهل العصر فقدوا إعجاز القرآن ۴۸

الفرق بین معجزة نبینا علیه السلام و معجزة غیره من الأنبیاء ---- ۴۸
وجوه الاعجاز فی القرآن الکریم ---- ۴۹
اشارة ---- ۴۹
أولا: وجوه الإعجاز التی لا تخفی علی أحد فی أی عصر من العصور ---- ۵۰
اشارة ---- ۵۰
۱- الإعجاز الغیبی. ---- ۵۰
۲- الإعجاز العلمی. ---- ۵۰
ثانیا: وجوه أخری من الإعجاز ---- ۵۰
ثالثا: وجوه باطلة ---- ۵۱
رابعا: القول بالإعجاز عن طریق الصرفة ---- ۵۱
المبحث الأوّل فی بعض الوجوه التی لا إعجاز فیها ---- ۵۱
اشارة ---- ۵۱
ما لا إعجاز فیه ---- ۵۲
اشارة ---- ۵۲
۱- زعم بعضهم أن من وجوه الإعجاز احتواؤه علی أسالیب الکلام المنطقیة. ---- ۵۲
۲- تضمنه للحلال و الحرام: ---- ۵۲
۳- احتواؤه علی الحکم: ---- ۵۳
الاعجاز بالصرفة ---- ۵۳
المبحث الثانی فی الإعجاز الغیبیّ فی القرآن الکریم ---- ۵۸
اشارة ---- ۵۸
[معنی الاعجاز و وجه الاعجاز فیه] ---- ۵۸
نبوءات عظماء العالم ---- ۵۹
اشارة ---- ۵۹
نبوءة نابلیون: ---- ۵۹

نبوءة ماركس: ---- ۶۰
نبوءة هتلر: ---- ۶۰
الفرق بين نبوءات البشر و نبوءات القرآن ---- ۶۱
نبوءات القرآن ---- ۶۱
اشارة ---- ۶۱
۱- التنبؤ بانتصار المسلمين و سيادتهم ---- ۶۱
۲- التنبؤ بانتصار المسلمين على الفرس و الروم ---- ۶۳
۳- الاخبار عن انتصار الروم على الفرس ---- ۶۴
اشارة ---- ۶۴
معجزة أخرى ضمن هذه المعجزة: ---- ۶۹
۴- الاخبار عن عصمة الله لرسوله من الناس ---- ۶۹
۵- الاخبار عن حفظ القرآن إلى يوم القيامة ---- ۷۱
اشارة ---- ۷۱
و لكن هل وصلوا إلى ما أرادوا ..؟ ---- ۷۵
۶- الاخبار عن عجز البشر عن تحدى القرآن إلى يوم القيامة ---- ۷۶
۷- الاخبار عن دخول مكة ---- ۷۸
۸- الاخبار عن بعض أسرار بنى إسرائيل التى لم تكن معلومة حتى لليهود المعاصرين للقرآن ---- ۷۹
۹- الاخبار عن زعم اليهود أن عزيزا ابن الله ---- ۸۱
المبحث الثالث فى الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ---- ۸۳
اشارة ---- ۸۳
مقدمة ---- ۸۳
فلقد انقسم الناس فى هذا الموضوع إلى فئتين، بل إلى ثلاث فئات. ---- ۸۵
الفئة الأولى: رفضت- بضيق أفقها و قصر معارفها- رفضت أن تنفتح للعلوم الحديثة المعاصرة ---- ۸۵
و أما الفئة الثانية، فقد كانت على النقيض من الفئة الأولى فتنت بالنهضة العلمية الحديثة ---- ۸۶

و أما الفئة الثالثة، و هی فئة جماهیر علماء المسلمین، فهی فئة التوسط بین جانبی الإفراط و التفریط. ---- ۸۷
هل الاعجاز العلمی ولید العصر الحدیث؟ ---- ۸۷
کیفیة الوقوف علی وجه الاعجاز فی الآیات: ---- ۸۸
خوض القرآن فیما لم یکن الانسان یعرف عنه شیئا: ---- ۸۹
اشارة ---- ۸۹
شهادة السیر جیمس جنز: ---- ۹۰
یقول العلامة الدکتور المشرقی: ---- ۹۱
الاعجاز العلمی فی القرآن یلفت نظر الباحثین من غیر المسلمین: ---- ۹۲
اشارة ---- ۹۳
موریس بوکای و نظراته فی الاعجاز العلمی فی القرآن: ---- ۹۴
الآیات القرآنیة و الاعجاز العلمی فیها ---- ۹۸
اشارة ---- ۹۸
الآیة الاولی قانون المط السطحی و قوله تعالی وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً ---- ۹۸
اشارة ---- ۹۸
قانون المط السطحی: ---- ۹۹
الآیة الثانیة اللَّهُ الَّذِی رَفَعَ السَّماواتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها و قانون الجاذبیة ---- ۱۰۰
الآیة الثالثة وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها و حرکة الکواکب ---- ۱۰۱
الآیة الرابعة یُکَوِّرُ اللَّیْلَ عَلَی النَّهارِ، وَ یُکَوِّرُ النَّهارَ عَلَی اللَّیْلِ و کرویة الارض ---- ۱۰۲
الآیة الخامسة هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً و حقیقة الشمس و القمر ---- ۱۰۳
الآیة السادسة وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ، ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ و الحیاة الاجتماعیة عند الحیوان ۱۰۳
الآیة السابعة أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ و الامواج الباطنیة و الظاهرة ---- ۱۰۵
الآیة الثامنة أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما و بدایة الکون و الارض ---- ۱۰۷
الآیة التاسعة وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ و نظریة توسع الکون ---- ۱۰۹
اشارة ---- ۱۰۹

و خلاصة القول: ---- ۱۱۰
الآیة العاشرة اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ و الاعجاز العلمی فیها ---- ۱۱۱
الآیة الحادیة عشرة أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُزْجِی سَحاباً ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ و تلقیح السحاب ---- ۱۱۲
الآیة الثانیة عشرة أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ کِفاتاً، أَحْیاءً وَ أَمْواتاً و جاذبیة الأرض ---- ۱۱۴
الآیة الثالث عشرة وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ و احتراق الماء ---- ۱۱۶
اشارة ---- ۱۱۶
ازدیاد حجم الارض بالماء: ---- ۱۱۷
الآیة الرابع عشرة مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً کَأَنَّما یَصَّعَّدُ فِی السَّماءِ و تغیر ضغط الهواء فی المرتفعات ---- ۱۱۷
الآیة الخامس عشرة وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها و نظریة التزحزح القاری ---- ۱۱۹
اشارة ---- ۱۱۹
و فی هذا الأمر یقول البروفسور «بلاکیت»: ---- ۱۲۰
قال أوس بن حجر: ---- ۱۲۰
الآیة السادس عشرة أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً، وَ الْجِبالَ أَوْتاداً و توازن الارض بالجبال ---- ۱۲۱
الآیة السابع عشرة وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ و قانون التوازن المدهش فی الأرض ---- ۱۲۳
الآیة الثامن عشرة وَ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ خَلَقْنا زَوْجَیْنِ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ و شعار علماء الکون و الحیاة فی قانون الزوجیة الیقینی ---- ۱۲۵
اشارة ---- ۱۲۵
رأی علماء السلف و أقوالهم فی الزوجین. ---- ۱۲۵
ما تحتمله الآیة من الدلالة: ---- ۱۲۶
الأزواج التی کشفتها المعارف الحدیثة: ---- ۱۲۷
اشارة ---- ۱۲۷
۱- الزوجیة فی الإلکترون أو الکون و الکون النقیض ---- ۱۲۷
اشارة ---- ۱۲۷
و لکن هل تحقق ما تنبأ به دیراک؟ ---- ۱۲۸
و هل هذا کل ما فی الأمر بالنسبة للأزواج ..؟. ---- ۱۲۹

الکون و الکون النقیض: ----- ۱۳۰
۲- الزوجیة فی الخلیة الجنسیة ----- ۱۳۲
اشارة ----- ۱۳۲
فما هو موقف علماء الحیاة من هذه الآیة ...؟. ----- ۱۳۲
۳- الزوجیة فی الکروموسومات ----- ۱۳۴
۴- الزوجیة فی الکروموسومات فی الخلیة الجنسیة ----- ۱۳۵
۵- الزوجیة فی الجینات وراء الزوجیة فی الکروموسومات ----- ۱۳۷
۶- الزوجیة فی تکوین الجینة نفسها وراء سر مجیئها ازواجا ----- ۱۳۸
۷- الزوجیة فی ترکیب أشرطة الجینة وراء سر الزوجیة ----- ۱۳۹
اشارة ----- ۱۴۰
و لکن .. ما هی حقیقة هذه الأشرطة، و هل تحتوی هی أیضا فی ترکیبها علی الأزواج ...؟. ----- ۱۴۰
الآیة التاسع عشرة فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ و الاعجاز فیها ----- ۱۴۱
الآیة المتمة العشرین إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِیهِ و الاعجاز فی الامشاج ----- ۱۴۳
الآیة الحادیة و العشرون یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِی ظُلُماتٍ ثَلاثٍ، ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ و الاعجاز فیها ----- ۱۴۵
الآیة الثانیة و العشرون إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِنا سَوْفَ نُصْلِیهِمْ ناراً، کُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَیْرَها لِیَذُوقُوا الْعَذابَ و الاعجاز فیها ----- ۱۴۶
خاتمة ----- ۱۴۸
اکذوبة الإعجاز العددی فی القرآن الکریم ----- ۱۵۰
اشارة ----- ۱۵۰
مقدمة ----- ۱۵۰
قاعدة عامة فی التفسیر: ----- ۱۵۰
تجنب العلماء وردهم لکل ما کان فیه بعد من المعانی: ----- ۱۵۱
التفسیر بالأرقام منهج باطنی یهودی قدیم: ----- ۱۵۱
اشارة ----- ۱۵۱
الربط بین المنهج الیهودی و منهج رشاد خلیفة: ----- ۱۵۳

کلام حجة الإسلام الغزالی فی مثل هذه التفسیرات الباطنیة: ۱۵۳
الفرق الباطنیة ما زالت قائمة: ۱۵۴
اتخاذ البهائیة الرقم (۱۹) رمزا لها: ۱۵۴
محاضرة رشاد خلیفة و دعواه: ۱۵۵
اشارة ۱۵۵
ا- بیان اکاذیبه فی الارقام التی أوردها: ۱۵۸
اشارة ۱۵۸
ا- أ- کذبه فی عدد حروف البسملة: ۱۵۸
ب- کذبه فی مفردات البسملة: ۱۵۹
ج- کذبه فی فواتح السور: ۱۶۰
د- کذبه فی تکرر حروف الفواتح فی السور التی افتتحت بها: ۱۶۱
اشارة ۱۶۲
فنحن الآن أمام ادعاءین: ۱۶۲
قاعدة هامة فی المنطق: ۱۶۲
اشارة ۱۶۲
أ- کذبه فی (ن): ۱۶۳
ه- کذبه فی (ص): ۱۶۳
و- کذبه فی الفواتح المرکبة: ۱۶۳
فقال فی المجموعة الأولی: ۱۶۵
الانحراف بالتفسیر الباطنی للقرآن: ۱۶۶
رشاد خلیفة و علم الساعة: ۱۶۷
اشارة ۱۶۷
معتمده فی معرفة الساعة: ۱۶۸
الخاتمة ۱۷۰

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۱۷۱

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی

اشارة

سرشناسه : هیتو، محمدحسن

عنوان و نام پدیدآور : المعجزه القرآنیهالاعجازالعلمی والغیبی/ محمدحسن هیتو.

مشخصات نشر : بیروت: موسسه الرساله، ۱۴۰۹ق=.۱۹۸۹م=.۱۳۶۸.

مشخصات ظاهری : ۳۴۴ص.

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : قرآن -- اعجاز

موضوع : قرآن -- اعجاز علمی

موضوع : اعداد در قرآن

رده بندی کنگره : BP۸۶/۹□م۷ ۱۳۶۸

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۵۸

شماره کتابشناسی ملی : ۳۰۸۰۸۹۰

مقدمة

الحمد للّه الذی أنزل علی عبده الکتاب و لم یجعل له عوجا، فکان الآیة البینة، و المعجزة الظاهرة، و الدلالة القاطعة علی صدق الوحی، و عظمة الموحی.

و الصلاة و السلام علی رسوله الأمین، و نبیه العظیم، الذی أدی الأمانة، و بلغ الرسالة، و نصح للأمة، فکان حجة اللّه علی الخلق: لِئَلَّا یَکُونَ لِلنَّاسِ عَلَی اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ.

و رضوان اللّه علی الصحب الکرام، و الأئمة الأعلام، الذین بذلوا و ضحوا من أجل أن ینقلوا إلینا هذا الدین الذی حملوه، أداء للأمانة، و وفاء للعهد، لننقله نحن لمن یأتی وراءنا من الأجیال، و هکذا تستمر الرسالة، و یحفظ الشرع، إلی أن یقضی اللّه أمرا کان مفعولا، و بعد:

إننا و منذ أن وعینا الحیاة و نحن نحدّث عن المعجزة، و أنها علم النبوة، فلا نبوة بغیر معجزة.

فبالمعجزة یظهر صدق النبی، و یستدل علی وجود الخالق.

و لو لا المعجزة لا دعی النبوة کل من یشتهیها.

قرأنا عن المعجزات المادیة للأنبیاء السابقین، التی آمن علیها من آمن من أقوامهم.

لکننا لم نرها.

و إنما آمنا بها لصحة الخبر عنها، إما عن طریق القرآن الکریم، و إما عن طریق السنة المطهرة.

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۶

و عرفنا أن تلک المعجزات قد ذهبت بذهاب النبی أو الرسول، لکونها مادیة، لا تظهر إلا علی یده، و لم یبق منها إلا الخبر الیقینی عنها، و هذا کاف للإیمان بها، بالنسبة لنا نحن المؤمنین، و لکنه لیس کافیا لدعوة الناس إلی الإیمان، لأن الخبر عن المعجزة لیس

كالمعجزة.

و لذلك كان لا بد لكل نبى أو رسول من المعجزة الدالة على صدقه، و لو كان الخبر عن معجزة النبى السابق متواترا، فليس الخبر كالمعاينة.

و كنا نحدّث عن المعجزة الكبرى لنبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، و هى القرآن الكريم.

و كنا نقرأ كيف كان الناس يعاينون تلك المعجزة، و يتأثرون بحلاوتها و طلاوتها، و من ثم يؤمنون عن طريق الإعجاز اللغوى فيها، كما قرأنا ما وصفها به المشركون من العبارة الشيقة الرشيقة، التى أعلنوا فيها و بكل صراحة أن القرآن ليس من قول البشر، كعتبة ابن ربيعة، و الوليد بن المغيرة، و غيرهما من فصحاء العرب و بلغائهم.

إلا أننا و مع الأسف، و لبعدنا عن لغة العرب و جهلنا بها، لم نتذوقها كما تذوقوها، بل أكثر الناس اليوم لا يدركها.

و امتدت بنا الأيام، و أدركنا التيارات الفكرية المادية و الدينية تتصارع فى ميدان النظر، و أدركنا أنه لا بد لنا من الاستناد إلى المعجزة القرآنية، و هى المعجزة الباقية الخالدة لنبينا عليه السلام، و لهذا الدين.

و لكننا لم نجد السبيل من حيث اللغة إليها، إما لأننا لا نتذوقها لجهلنا بلغة العرب و بعدنا عنها، و إما لأن المخاطب لا يعرف هذه اللغة أصلا و لا يتذوقها، و فى كلا الحالين لا سبيل إلى الاستدلال بهذه المعجزة من حيث اللغة إلا نظريا، بواسطة إخبار القرآن عنها، و وقوع التحدى بها، و تواتر الخبر عن عجز العرب و غيرهم عن معارضتها.

و كون قلة قليلة من الناس- و لا سيما فى هذا العصر- ممن أوتى بسطة من العلم، فى علوم العربية، قد تدرك وجه الإعجاز، و من ثم يكتب بعضهم عنه،

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۷

كما فعل كثير من علماء أمتنا فى شتى العصور، فإن هذا أيضا ليس بكاف- لمن لا يعرف العربية من عرب و غيرهم- للتسليم بها ضرورة، و لئن وقع التسليم لبعضهم فإنما هو عن طريق النظر، لا عن طريق التذوق، كما كان يقع للعرب حين نزول القرآن.

لكننا نعلم أن نبينا عليه الصلاة و السلام هو النبى الخاتم للنبوة، و رسالته هى الرسالة الخاتمة للرسالات، و أنها باقية إلى يوم القيامة، و عامة لكل الأمم، فى كل زمان و مكان، و لذلك كان لا بد للمعجزة من البقاء، ليعاينها كل من آمن أو دعى إلى الإيمان إلى يوم القيامة.

و من أجل هذا كانت المعجزة القرآنية مشتملة على عدد من أنواع الإعجاز، إلى جانب الإعجاز اللغوى، الذى عاينه العرب و آمنوا عليه، يستطيع الناس بواسطتها أن يعاينوا المعجزة، و يتذوقوها، و يؤمنوا عليها، و لو كانوا لا يتذوقون لغة العرب، فلئن فاتهم الإعجاز اللغوى، فلن تفوتهم وجوه الإعجاز الأخرى أو بعضها.

و أنواع الإعجاز هذه، التى اشتمل القرآن عليها، لم تظهر دفعة واحدة، و إنما كانت تظهر تباعا حسب مقتضيات الأحوال و معارف البشر و احتياجاتهم.

فالإعجاز اللغوى ظهر و انتشر بمجرد نزول القرآن.

و أما الإعجاز الغيبى مثلا فقد ظهر بنزول الآيات التى أنبأت عن غيب وقع أو سيقع، و أثبتت الأيام و الوقائع صدق ما أخبر به القرآن، و ذلك كالإعجاز الغيبى فى سورة الروم مثلا- فإنه لم يظهر بمجرد نزول الآيات المخبرة عن انتصار الروم على الفرس، و إنما ظهر بعد عدد من السنوات، حيث انتصر الروم على الفرس فعلا فى بضع سنين، كما أخبر القرآن، مما لفت نظر الناس كافة لفتة جديدة إلى القرآن.

و الإعجاز العلمى المنتشر فى كثير من سور القرآن و آياته، لم يظهر دفعة واحدة، و إنما ظهر تباعا، ليكون القرآن دائما و أبدا معجزة ظاهرة، و آية بينة، كلما ألف الناس ما فيه من المعجزة، و فترت هممهم عنها لإلفهم لها، ظهرت

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۸

معجزة جديدة تلفت نظرهم إليه، و تدلهم عليه، فتجدد هممهم، و تبعث نشاطهم، و هكذا ...

لقد جاء العصر الحديث، مع الإنسان الحديث، بمعارفه الحديثة التى اكتشفت الذرة، ثم حطمتها .. و أدركت جاذبية الأرض، ثم خرجت منها، و عرفت القمر و نزلت عليه، و أرسلت سفن الفضاء إلى كثير من كواكب المجموعة الشمسية، بعد أن كشفت عن الكثير من أسرارها، و عرفت عمر الأرض، و كشفت عن أحقابها الجيولوجية، و وضعت يدها على جميع أو معظم عناصرها، و سخرتها لخدمتها، و كل هذا كان فى أغلب الأحيان على يد أناس لا يمتون إلى الإيمان بصلة، بل فى كثير من الأحيان كان الكثير منهم يهزأ من الإيمان، و الغيب، و الألوهية، و النبوة.

و أخذ فلاسفة الإلحاد هذه النتائج العظيمة التى وصل إليها الإنسان الحديث، ليجعلوا منها وسيلة لفلسفة الإلحاد بقولهم: إننا كنا قبل الكشف عن هذه الحقائق العلمية مضطرين للإيمان باللّه و نسبة الحوادث إليه، أما و قد عرفنا السبب و المسبب، و العلة و المعلول، عن طريق العلم اليقينى، فلم نعد بحاجة اليوم إلى عزو هذه الظواهر التى كنا نراها إلى قدرة اللّه ...

و هكذا صارت للإلحاد فلسفة ظاهرة مستندة إلى العلوم المادية المعاصرة، يرجع الفلاسفة إليها، و يحيلون فى النظر و الحجاج عليها.

و هذه الفلسفة و إن كانت أوهى من بيت العنكبوت، و قائمة على التمويه، و التدليس، و الخداع، بقصد، أو بغير قصد لضيق الأفق، أو العجز عن المحاكمة، أو تغليب الشهوة و الهوى و الاستسلام لهما، إلا أنها أمر واقع، لا يجوز التهاون به، بل يجب كشفه و بيانه، و دحضه و إبطاله «۱».

و تعالت صيحات الإنكار على الدين فى أوروبا و الغرب، لاكتشافهم أن

---

(۱) انظر: كتابنا الدين و العلم و الذى عالجنا فيه هذا الموضوع بخصوصه، و بلغة الفلاسفة المعاصرين أنفسهم.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۹

الدين الباطل الذى كانت تمثله الكنيسة يتعارض مع العلم الذى وضعوا أيديهم عليه.

و سرت هذه العدوى عن طريق ضعاف الإيمان إلى ديار الإسلام، بسبب ضعف المسلمين، و غفلتهم، و سيطرة أعدائهم عليهم.

و هنا ظهرت المعجزة القرآنية كالمارد الجبار، الذى لا يقف فى وجهه شىء إلا حطمه، لتهز الأبراج الوهمية التى بناها فلاسفة الإلحاد بالتمويه و التدليس، على غفلة من دعاة الدين الحق و بعد عنهم، و لتقول للناس جميعا، من مؤمن و ملحد: مهلا أيها الناس، فإن هذا الذى وصلتم إليه لن يكون سببا للجحود و الإلحاد، و إنما هو من أعظم دعائم الإيمان و الإذعان ... فتنبه كثير من علماء المسلمين إلى آيات الإعجاز العلمى فى القرآن التى كانت قد نطقت منذ أربعة عشر قرنا ... و فى الزمن الذى لم يكن فيه للمعارف الحديثة أى رصيد- نطقت بما وصلت إليه الحضارة الإنسانية المعاصرة فى ذروة مباحثها و مكتشفاتها ... بل أصبح بعض هذه الآيات شعارا يردده كل علماء الكون و الحياة صباح مساء، و يجعلونه الدستور الأبدى الذى تقوم عليه حقائق العلم و المعرفة.

تنبه علماء المسلمين إلى هذه الآيات، و أخذوا فى عرضها عرضا جديدا يتفق مع مدلولها اللغوى القديم، و هو فى نفس الوقت ينطق بما وصلت إليه العلوم المعاصرة فى نهاية مطافها، و ذروة مجدها، مما جعل كل إنسان فى الأرض، من مؤمن و ملحد، يقف موقف الدهشة و الذهول، و الإعجاب و الإكبار، أما المؤمن فزادته هذه الآيات المعجزة إيمانا، و صار يعاين المعجزة القرآنية كما عاينها العرب الأوائل تماما، و لكن بلغة العلم، لا بأساليب البلاغة و البيان.

و أما الجاحد فكانت هذه الآيات كالصفعة العنيفة التى داهمته و هو فى عنفوان غروره، مما جعله يتنبه إلى الحقائق التى كان فى غفلة تامة عنها، و جعلته يراجع حساباته، و يعيد النظر فى منطقه و فلسفته، و كثيرا ما دفعت المنصفين من أولئك الفلاسفة إلى الإيمان بالخالق العظيم العليم الحكيم.

و هكذا ... و بعد القرون الطويلة .. و بواسطة المكتشفات العلمية الحديثة

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۰

أصبح الإنسان يضع يده فى كل يوم على معجزة جديدة فى كتاب اللّه، يظهر عظمة الخالق، و يدل الناس على أن هذا القرآن من كلامه لا من كلام البشر.

و لا أدرى إلى أى مدى سيصل الإنسان فى المستقبل من حيث العلوم و المكتشفات، و لكننى على يقين بأنه كلما تقدمت به العلوم، سيضع يده على معجزة جديدة فى كتاب اللّه، كان فى غفلة تامة عنها، ليعيش الإنسان، فى كل زمان و مكان، مع المعجزة القرآنية، آية بينة، لا لبس فيها و لا غموض، تدل على أن هذا الكتاب من عند اللّه، ليبقى التحدى بهذا الكتاب الكريم، قائما لأهل الأرض جميعا، إلى يوم القيامة، يرشدهم إلى خالقهم، و يدلهم على قدرته و عظمته.

و هذا أيضا نوع من أنواع الإعجاز فى نظرى، إذ من الإعجاز، بل من أعظم أنواع الإعجاز و أظهرها، أن يكون القرآن الكريم معجزا لكل إنسان، فى كل زمان و مكان، مهما ازدهرت الحضارة، و تقدمت العلوم، و زادت المكتشفات، و تباينت الثقافات.

و هذا معنى قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، و إنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه اللّه إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

و إننى و منذ أمد بعيد، أعد العدة للكتابة فى موضوع المعجزة القرآنية، فى أبرز جوانبها الثلاثة، و هى الإعجاز اللغوى، و الإعجاز الغيبى، و الإعجاز العلمى، إلا أننى كلما أقدمت على الكتابة وجدت أن الأمر أوسع مما كنت أتصور، و أنه يحتاج إلى طاقة أكبر، و أفق أوسع، و لا سيما بالنسبة للإعجاز اللغوى- الذى أظن و اللّه أعلم أنه يحتاج لكتابة أدق و أوسع و أشمل من كثير مما كتب عنه- و لذلك كنت أحجم عن الكتابة فى هذا الموضوع العظيم، ثم بدا لى أن أبدأ بالكتابة عن المعجزة القرآنية فى الجانبين الذين يمكن لأهل العصر استيعابهما و هضمهما، دون التوقف على معرفة اللغة، و أساليب البلاغة و البيان، و هما جانبا الإعجاز الغيبى و العلمى، مع التمهيد بمقدمة أبين فيها معنى

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۱

المعجزة بوجه عام، و المعجزة القرآنية بشكل خاص، و كيف و لم كانت معجزة، كما أبين الأثر الذى تركته بين الناس عند ظهورها، و أثرها فى سير الدعوة مع ذكر بعض وجوه الإعجاز التى أشار إليها العلماء قديما و حديثا، مبينا وجه القوة أو الضعف فيها، فيما ظهر لى من النظر، و وصلت إليه من العلم.

ثم أعقب هذا كله ببيان مهزلة و أكذوبة الإعجاز العددى التى افتراها رشاد خليفة و فتن بها كثيرا من الناس.

و لقد استفدت كثيرا من كل ما كتبه من سبقنى فى هذا الموضوع من العلماء جزاهم اللّه خير الجزاء، سواء أ كانت كتابتهم فى آية واحدة و موضوع معين، أم فى جانب الإعجاز الغيبى أو العلمى بشكل مجمل.

كما استفدت كثيرا مما كتبه أو أشار إليه علماء الكون و الحياة من غير المسلمين، مع فلسفته و توجيهه التوجيه السليم، الذى يتفق مع الواقع، و بلغة العصر الحديث، لغة المنطق العلمى المعاصر الذى تعارف عليه الناس اليوم.

و أما الإعجاز اللغوى فسأفرده فى بحث مستقل حينما يتوفر لدى ما أطمح إليه من مادته الغزيرة، و مصادره الكثيرة، و منهجه الدقيق، و أفقه الواسع إلى جانب ما جمعته و سودته فى موضوعه، فى القريب العاجل إن شاء اللّه، و اللّه ولى التوفيق.

الكويت ۱۴۰۶- ۱۹۸۶ د. محمد حسن هيتو

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۳

المقدّمة فى المعجزة و الإعجاز

اشارة

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۱۵

مقدمة حول المعجزة و الاعجاز القرآنی

ضرورة المعجزة للرسالة:

ما أرسل اللّه من نبی و لا رسول إلّا و جعل له معجزة تدل علی صدقه فی نبوته أو رسالته، فتطمئن قلوب الناس بها، و تنشرح صدورهم إليها، و يقبلون عليها فرحين مستبشرين، راغبين لا راهبين.

و لو لا المعجزة، لاختلط الحق بالباطل، و النبی الصادق بالمدعی الكاذب، و لادّعی كثير من الناس النبوّة و الرسالة.

كيف لا ..؟ و هی دعوی شيقة، و أمنية عظيمة، يتمناها كل إنسان، لو كان يتمكن من الوصول إليها.

و نحن- رغم وجود المعجزة، التی تعتبر الفيصل بين الصدق و الكذب فی الدعوی- رغم هذا، وجدنا كثيرا من الناس يدعون النبوّة، رغم أنهم لا يملكون المعجزة.

فكيف يكون الأمر لو لم تكن المعجزة هی الدليل علی صدق الدعوی أو كذبها ..؟.

كيف يكون الأمر لو كانت النبوّة دعوی بدون معجزة ..؟.

لو كان الأمر كذلك ... لما وجد علی الأرض دين يطمئن إليه، لأنه لا دليل يدل علی صدقه.

و لذلك كان لا بدّ من المعجزة، يجريها اللّه علی يد النبی أو الرسول، يعلّم الناس بواسطتها، أنه صادق فيما أتاهم به من عند ربهم، فی دعواه أنه مرسل إليهم.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۱۶

و بذلك يعرف النبی الصادق، من المدعی الكاذب، و الوحی الحق، من النبأ الباطل.

و قبل الكلام علی المعجزة و أنواعها، يجب علينا أن نعرف المعجزة، لنفرق بينها و بين ما يشابهها فی الظاهر، من السحر، و الكرامة، و الاستدراج، و غير ذلك، من الأمور التی قد تشتبه بها، و لو ظاهرا، أو فی بعض الأحوال.

تعريف المعجزة:

المعجزة: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدی، يظهره اللّه علی يد الرسول أو النبی، تصديقا له فی دعواه، مع عدم تمكّن المرسل إليهم من معارضته.

و بيان هذا، أن للّه فی هذا الكون قوانين، ألفها البشر، و جرت بها العادة، بحيث صار من المستحيل فی حكم العادة خرقها، من قبل أی إنسان كان، مهما أوتی من القوة، أو بلغ من العلم.

فإذا ما جاء إنسان، و ادّعی أنه مرسل من عند اللّه، بدليل أنه قادر علی خرق هذه الأحكام العادية، علمنا يقينا صدقه فی دعواه، بدليل خرقه لهذه القوانين، التی لا يمكن خرقها لأی إنسان، إلّا إذا أذن له بذلك خالقها.

فإذا ما خرقها علمنا أن هذا الخرق، إنما هو بقدرة اللّه، لا بقدرة البشر، و علمنا أن هذا المدعی صادق فی دعواه الرسالة، بهذا الدليل اليقينی الذی لا يمكن أن يفعل إلّا بقدرة الخالق.

و مثال ذلك قانون توازن السوائل، الذی قضت العادة فيه بأنه يجب أن تتساوی جميع أجزائه علی مستوی واحد فی السطح، فی الحالات العادية.

فمن المحال عادة أن يقف الماء فى الهواء كالجدار دون أن ينساب و تتساوى جميع أجزائه.

فإذا ما جاء إنسان، و ادّعى أنه نبى، بدليل أنه يضرب البحر بعصاه، فينفلق البحر، و يقف الماء فيه كالجدار، و تتخلله الطرق، خارقا بذلك العادة

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۷

المألوفة، كما حدث لنبى اللّه موسى عليه السلام، علمنا يقينا أنه مرسل من عند اللّه، لأن مثل هذا العمل مستحيل فى حكم القوانين العادية التى خلقها اللّه.

فلو لا أن هذا الإنسان مؤيد بقدرة من اللّه، لما استطاع فى حكم العادة أن يخرق هذه القوانين، فخرقه لها، دليل على أن اللّه الذى خلقها و خلق قوانينها هو الذى أرسله، و أذن له فى خرقها.

و كتفجير الماء من الحجر الأصم، الذى يستحيل فى حكم العادة أن يخرج منه الماء، فإذا ما ضربه إنسان بعصاه، و انفجرت منه العيون، يشرب منها الناس، علمنا يقينا أنه مرسل من عند اللّه، و إلّا لما استطاع أن يخرق مثل هذه العادة التى يستحيل خرقها.

و كإحياء الميت الذى جرت العادة فى أنه يستحيل أن يرجع إلى الحياة ثانية.

فإذا ما جاء إنسان، و تمكّن من إحيائه ثانية، فعاد حيا يتكلم، يسأل و يجيب، علمنا على القطع أن هذا الإنسان صادق فى دعواه للنبوّة و الرسالة، و إلّا لما استطاع أن يعمل مثل هذا العمل الذى يستحيل فى حكم العادة عمله، كما حدث لنبىّ اللّه عيسى عليه السلام.

إلى آخر ما هنالك من المعجزات التى يجريها اللّه على أيدى أنبيائه و رسله، تصديقا لهم فى دعواهم النبوّة أو الرسالة أمام من أرسلوا إليهم.

و يشترط فى هذه المعجزة أن تكون مقرونة بالتحدى، يظهرها الرسول كلما دعت الحاجة إليها، يتحدّى بها المرسل إليهم أن يأتوا بمثلها، ليظهر عجزهم عن معارضتها، و يثبت دعواه فى نبوّته و رسالته.

إذ لو تمكّن الناس من معارضتها، و الإتيان بمثلها، لما كانت خارقة للعادة، و من ثم لما كانت معجزة، و لما كان المدعى صادقا فى دعواه.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۸

و كذلك الأمر لو لم يتمكن من إظهارها كلما دعت الحاجة إليها، و طولب بها، لتدل على صدقه فيما أتى به «۱».

الفرق بين المعجزة و غيرها من السحر و الكرامة:

عرفنا أن المعجزة أمر خارق للعادة، يظهر على يد النبى أو الرسول، و هو فى حالته البشرية، بشر من البشر، فما الذى يجعلنا نميّز بين المعجزة و غيرها، مما يشتبه بها، من السحر، و الكرامة، و الاستدراج، مما ظاهره خرق للعادة، و يظهر على يد البشر؟.

و لنقف على جواب هذا التساؤل يجب علينا أن نقف على هذه الأمور التى قد تشتبه بالكرامة، لنبيّن الفرق بينها و بين المعجزة، فالحكم على الشىء فرع عن تصوره.

و سنتكلم أولا عن الكرامة، ثم الإرهاص، ثم المعونة، ثم الاستدراج، ثم السحر، ثم الإهانة، و نبيّن الفوارق بينها و بين المعجزة.

الكرامة: أمر خارق للعادة، يجريه اللّه على يد أوليائه، المواظبين على طاعته، المجتنبين لمعصيته، المعرضين عن الانهماك فى الملذات.

و ذلك كجريان النيل بكتاب عمر- رضى اللّه عنه- حين هم أهل مصر على عادتهم قبل الإسلام بأن يلقوا فيه فتاة بكرا.، لاعتقادهم أنه لا يجرى إلّا بذلك، فمنعهم عمرو بن العاص من ذلك، و كتب عمر رسالة للنيل يقول فيها: «من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد:- فإن كنت تجرى من قبلك، فلا تجر، و إن كان اللّه الواحد القهّار هو الذى يجريك، فنسأل اللّه الواحد القهّار أن يجريك».

فألقى عمرو بن العاص الرسالة فى النيل، و أجراه اللّه تعالى على غزارته

---

(۱) جمع الجوامع ۲/ ۴۱۶، غاية البيان ص ۱۱، طبقات الشافعية ۲/ ۳۱۵.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۹

التى كان عليها من قبل، بعد أن قلّت مياهه، و لحقت أهل مصر بذلك المشقة.

و كرؤية عمر- رضى اللّه عنه و هو على المنبر فى المدينة- جيش المسلمين بنهاوند، حتى قال لأمير الجيش: يا سارية الجبل الجبل، محذّرا له من وراء الجبل، حيث كان يكمن العدو، و سماع سارية كلامه، و نجاة جيش المسلمين، مع بعد المسافة.

و كشرب خالد بن الوليد السم، مع عدم تضرره به «۱».

و غير ذلك، مما لا حصر له، من الكرامات التى جرت و تجرى على يد أوليائه تعالى و أصفيائه.

و هذه أمور خارقة للعادة، فما الفارق بينها و بين المعجزة، و كل منهما خارق للعادة؟.

الفارق بينها و بين المعجزة يظهر من عدة وجوه:

أولا- و هو ما اتفق عليه العلماء، أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدى لا- يستطيع أحد من الناس معارضتها و الإتيان بمثلها، بخلاف الكرامة التى لا تحدى فيها، و يمكن معارضتها، و الإتيان بمثلها، بل بأبلغ منها، بأن يجريها اللّه على يد كثير من أوليائه، فى زمن واحد، أو أزمنة مختلفة.

و ثانيا: النبى يعلم بمعجزته، و يستطيع إظهارها كلما طلب منه ذلك، أو كلما دعت الحاجة إليها، يتحدى بها، و أما الولى فمن المحتمل أن لا يعلم بالكرامة قبل وقوعها، و إنما تجرى على يده فجأة، و دون قصد، كما أنه من المحتمل أن يكون عالما بها، إلّا أنه قد لا يمكنه تكرارها، بأن تسلب منه، أو تقتضى الحكمة الإلهية تخلفها.

و ثالثا: زاد بعض العلماء أن الكرامة لا تصل لدرجة ولد من غير والد، أو قلب الجماد إلى حيوان، أو عكس ذلك «۲».

---

(۱) طبقات الشافعية ۲/ ۳۲۶، غاية البيان ص ۱۴.

(۲) جمع الجوامع ۲/ ۴۰۰ بنانى.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۰

و إذا عرفنا هذا، عرفنا أنه لا يمكن أن تلتبس الكرامة بالمعجزة بحال من الأحوال.

و ما ذكرناه عن الكرامة يمكن أن نذكره بعينه عن غيرها من الخوارق الأخرى، كالإرهاص، و المعونة، و الاستدراج، و السحر، و الإهانة.

فالإرهاص: ما كان من الخوارق على يد النبى قبل النبوة، كتسليم الحجر على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بمكة قبل الوحى.

و المعونة: هى الخوارق التى تظهر من قبل عوام المسلمين، تخليصا لهم من المحن و المكاره، بصدق إيمانهم، و حسن اعتقادهم.

و الاستدراج: و هو من الخوارق التى تظهر على يد الفسقة، استدراجا لهم، و هم مقيمون على معاصيهم.

و الإهانة: كالاستدراج، و هى الخوارق التى تجرى على يد الفسقة أو الكفرة، و لكن على خلاف دعواهم، تأكيدا لكذبهم، كما روى أن مسيلمة دعا لأعور لتصح عينه العوراء، فذهب ضوء عينه الصحيحة «۱».

و أما السحر: فهو و إن كان ظاهره أنه أمر خارق للعادة، إلّا أن حقيقته ليست كذلك، و إنما هو مجرد إيهام و خداع و تخييل، قال تعالى: يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى (سورة طه: آية ۶۶).

و ليس فى السحر خرق للعادة فى الحقيقة، و لا تغيير للحقائق، و إلّا لما وجدنا السحرة أفقر الخلق و أذلهم.

لأنهم لو كانوا قادرين على تغيير الحقائق، لغيّروا التراب إلى ذهب، و لما جلسوا فى الملاهى و قوارع الطرق، يتكففون الناس، و يرضون بالزهيد اليسير، و لما انهار السحرة أمام موسى عليه السلام، بحيث لم يفلح واحد منهم قط.

بهذه الضوابط عرفنا الفرق بين المعجزة و غيرها من الخوارق، كما عرفنا

---

(۱) جمع الجوامع ۲/ ۴۱۶، و غاية البيان ص ۱۴.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۱

معنى قولنا: إن المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدى، سالم عن المعارضة، مما أغفلنا شرحه عند الكلام على تعريف المعجزة فى الفقرات الماضية.

لأن معرفته متوقفة على ما ذكرناه الآن من أمر الكرامة و غيرها من الخوارق الأخرى.

و أما قولنا: إنها أمر خارق للعادة، إنما هو إشارة إلى أن المعجزة إنما تخرق حكم العادة، لا حكم العقل.

و ذلك لأن أحكام العقل إما أن تكون مستحيلة، و إما أن تكون واجبة، و إما أن تكون جائزة.

و القدرة الإلهية لا تتعلق بالواجب، و لا بالمستحيل، و إنما تتعلق بالجائز.

و المحال العادى من مجوزات العقول.

و لذلك شرط العلماء فى المعجزة أن تكون من متعلقات القدرة الإلهية.

تنوع المعجزة باعتبار المرسل إليهم:

اشارة

إنه من الضرورى أن تكون المعجزة من نوع ما يتعارف عليه القوم الذين أرسل إليهم الرسول، أو بعث فيهم النبى، حتى يتمكّنوا من تصورها تصوّرا صحيحا، ليصدروا عليها الحكم الصحيح، فالحكم على الشىء فرع عن تصوره.

فلو كانت المعجزة من نوع ما يجهله القوم المرسل إليهم، و مما لا يعرفون عنه شيئا، لما كان بإمكانهم تصورها التصور الصحيح، و من ثم لما كان بإمكانهم أن يحكموا عليها بالصدق أو الكذب، و لئن حكموا فسيكون حكمهم ساذجا، صادرا عن عاطفة و عصبية، لا عن علم و خبرة.

و يمكن أن نزيد هذا الكلام وضوحا ببعض الأمثلة البسيطة الآتية:

إذا جاء إنسان عبقرى فى فن الهندسة، مبدع فى تصاميمها، و عرض

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۲

بعض تصاميمه الهندسية البديعة على أناس يجهلون هذا الفن، فإننا على يقين بأنهم سوف لا يقيمون لهذه الخطوط التى رسمها فى أوراقه أى معنى من المعانى، بل ربما استهتروا به و هزءوا منه، و ربما قال له بعضهم: إننى أستطيع أن أصمم أبدع من تصميمك- و هو لمّا يعرف إمساك القلم بعد- و ما ذاك إلّا لجهلهم بفن الهندسة، و عدم تمكنهم من تصورها.

و لكن هذا المهندس البارع لو ذهب فعرض تصاميمه فى أمة قد برعت فى فن الهندسة، فإننا على يقين بأنهم سوف يبهرون لتصاميمه الدقيقة، و يعجبون بفنه البديع المتناسق، و يعترفون له بالتفوّق و التقدم، و يجعلون منه استاذا لهم، و محاضرا فيهم.

و ما ذاك إلّا لأنهم عرفوا الفن الذى جاءهم به، و لذلك تمكّنوا من تصوّره، و كانت أحكامهم عليه صحيحة قويمة.

و لو أن إنسانا كان شاعرا ملهما، فأنشأ قصيدة، تعتبر من أبدع ما نظم فى الشعر العربى، و ذهب بها إلى قوم حديثى عهد بلغة العرب و آدابها، فألقاها على مسامعهم فإنا على يقين بأنهم سوف لا يلقون لهذه القصيدة بالا، و لأعرضوا عنه و طالبوه أن يكلمهم بما يتناسب مع قدرتهم على الفهم و الاستيعاب بلغة العرب.

إلّا أن هذا الإنسان، لو ذهب إلى جماعة من الشعراء أو الأدباء، المتمرسين بالعربية، المطّلعين على فنونها، و قرأ عليهم قصيدته، لوجدهم يتمايلون طربا لمعانيها، و يذعنون له بالبراعة فى الشعر، و الدقة فى التعبير، و الصدق فى التصوير، و السمو فى الخيال، و لجعلوا من نديه مكانا تهوى إليه أفئدتهم، و ترتاح به نفوسهم و قلوبهم.

و ما ذاك إلّا لأنهم عرفوا العربية، و تمرسوا بفنونها، و تذوقوا بلاغتها.

و لذلك قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلّا أهل الفضل».

و نزيد مثالا آخر أشد التصاقا بموضوعنا فنقول:

لو أن موسى عليه السلام ذهب إلى فرعون و قومه بمعجزة لغوية، كمعجزة

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۳

النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى القرآن، و قرأها عليهم، لقالوا له: إن ما جئتنا به كلام عادى، ليس فيه إعجاز، و لا يدل على صدقك، و لو كنا نعرف العربية، أو نتقنها كالعرب، لأتيناك بكلام أبلغ من الكلام الذى جئتنا به، و لما أفلحت معهم معجزته البلاغية.

و ما ذاك إلّا لأنهم لا يعرفون العربية، و لو عرفوها لكانت معرفتهم لها معرفة بسيطة، لا تمكنهم من الوقوف على وجه الإعجاز فى القرآن، و لذلك كان لا بدّ له من معجزة تتناسب مع معارفهم و علومهم.

و على العكس من ذلك، لو أن محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم، ذهب أول الأمر إلى العرب فى الجزيرة العربية بمعجزة مادية، كمعجزة موسى عليه السلام، بأن يلقى عصاه فى الأرض، فتنقلب إلى حية تسعى- و العرب أمة أميّة لا تعرف طبا و لا سحرا- لو فعل فى بداية الأمر مثل هذا، لقال العرب قولا واحدا لا يختلف: إن ما جئتنا به السحر، و لو كنا نعرف السحر، لتمكّنا من إبطال معجزتك التى أتيت بها.

و ما ذاك إلّا لجهلهم بحقيقة السحر، و حقيقة ما ظهر أمامهم من قلب العصا إلى حية تسعى.

ففى تصوّرهم أن كل عمل من هذا القبيل، إنما هو من قبيل السحر، و حق لهم أن يتصوروا هذا التصور، لأنهم لا يعرفون السحر ليميزوا بينه و بين المعجزة.

و لذلك كان لا بدّ من معجزة تتناسب مع معارفهم و علومهم، يتمكنون بواسطتها أن يدركوا أنها ليست من صنع البشر، و إنما هى من أمر اللّه، ليستدلوا بها على صدق الرسول فى دعواه.

و من أجل هذا ما أرسل اللّه رسولا إلّا بلغة قومه، و ما أرسله إلّا بمعجزة تدركها عقولهم، و تألفها طباعهم، ليكون ذلك ادعى إلى تسليمهم و إيمانهم، فالغرض من المعجزة تصديق الرسل، و إيمان الناس، و ليس إعجازهم عن الإتيان بمثل المعجزة فقط، على ما سنراه من معجزات الأنبياء و الرسل صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۴

معجزة موسى عليه السلام:

لقد اشتهر قوم فرعون بالسحر، و عرفوا به، و لذلك كان لا بدّ لمعجزة موسى عليه السلام، أن تكون من نوع ما تعارفوا عليه، حتى يتم إفحامهم، و تثبت المعجزة لديهم، فذهب عليه السلام إليهم بمعجزة من نوع عملهم، و هى: أنه يلقى عصاه فى الأرض، فتنقلب إلى حية تسعى، و يدخل يده فى جيبه، فتخرج بيضاء من غير مرض و لا عاهة، فى تسع آيات أعطاه اللّه إياها.

و لنستمع إلى القرآن الكريم يقصّ علينا قصة العصا، قال تعالى: وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى، قالَ: هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها، وَ أَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي، وَ لِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى، قالَ: أَلْقِها يا مُوسى، فَأَلْقاها، فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى، قالَ: خُذْها وَ لا تَخَفْ، سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى، وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلى جَناحِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، آيَةً أُخْرى، لِنُرِيَكَ مِنْ آياتِنَا الْكُبْرى، اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى.

فذهب موسى عليه السلام إلى فرعون، يدعوه إلى الإيمان، فما كان من فرعون إلّا أن كذب و أبى، و قال لموسى عليه السلام: لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ، قالَ: أَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ- (أى بالمعجزة)- قالَ: فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَأَلْقى عَصاهُ، فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ، وَ نَزَعَ يَدَهُ، فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ.

فما كان من فرعون لما رأى العصا قد انقلبت إلى ثعبان يتحرك إلا أن زعم أن ما جاء به موسى إنما هو سحر يريد به أن يخرج الناس من أرضهم، و أن يستبد بأمرهم، و قال لمن كان حوله من قومه: إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ، فَما ذا تَأْمُرُونَ.

و عرض عليه موسى عليه السلام- بقية آياته، إلّا أنه زاد كفرا و استكبارا، و أراد أن يعارض موسى عليه السلام بمثل سحره فيما زعم، قال تعالى: وَ لَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها فَكَذَّبَ وَ أَبى، قالَ: أَ جِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۵

مُوسى، فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَ بَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لا أَنْتَ مَكاناً سُوىً، قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى.

و أرسل فرعون رسله فى المدائن يحشرون له فحول السحرة و علماءهم، ليبطل- بزعمه- معجزة موسى، و يظهر له أنه قادر على الإتيان بمثل ما أتى به من سحر فى زعمه.

و جمع السحرة لميعاد اليوم الذى اتفقوا عليه، و هم لما يعلموا بعد حقيقة ما جاء به موسى، و ظنّوا أنه من قبيل سحرهم.

و لما حان وقت التحدى قالُوا: يا مُوسى، إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى.

فقال لهم موسى عليه السلام: بَلْ أَلْقُوا، فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى.

لقد انقلبت حبال السحرة الطويلة إلى ثعابين تتحرك، و كل ثعبان منها يبلغ من الطول أضعاف عصا موسى عليه السلام.

و موسى عليه السلام ليس بساحر، و لذلك خيّل إليه أنها ثعابين، و إن كانت فى الحقيقة ليست بثعابين، و إنما هى من تخييلات السحرة و مكرهم، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى، ما ذا يعمل أمام هذه الثعابين الطويلة العريضة التى يخيّل للناظر إليها أنها ستلتهم كل شىء أمامها؟، و هنا جاء اليقين الإلهى، قُلْنا: لا تَخَفْ، إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى، وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا، إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ، وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى.

فألقى موسى عصاه التى انقلبت إلى ثعبان حقيقى، و من ثم دبّ إلى جميع تلك الثعابين الموهومة و التقفها، واحدا بعد الآخر إلى أن أتى عليها.

إنها المعجزة .. التى انبهر عليها السحرة ..

إن ما أتى به موسى ليس من قبيل الخداع و التمويه، و ليس من قبيل السحر، و لو كان سحرا لكشفه السحرة و عرفوه، و لما استطاع أن يأكل كل تلك

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۶

الثعابين الموهومة .. و إنما هو ثعبان حقيقى، انقلب عن العصا الجامدة، التى لا روح فيها و لا حياة ...

و هذا ليس فى طوق البشر، و ليس فى وسعهم ..

إن أقصى ما يمكن أن يفعله الساحر هو التخييل للناظر بأن العصا قد انقلبت إلى ثعبان، و لكنه لا يمكنه أبدا أن يجعلها ثعبانا حقيقيا.

و لذلك من المحال أن يكون ما أتى به من قبيل السحر، أو من قبيل الطاقة الإنسانية .. إنه عمل الخالق القادر الحكيم.

فما كان من السحرة أمام هذه المعجزة اليقينية التى رأوها بأعينهم، و عاينوها بحواسهم، و كشفوها بعلمهم- ما كان منهم إلّا أن أذعنوا لموسى عليه السلام- و آمنوا بما أرسل به، و أعلنوا ذلك أمام فرعون و قومه، الذين اجتمعوا من كل حدب و صوب، ليروا بطلان معجزة موسى، فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً، قالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى متحدين بذلك طغيان فرعون، و ألوهيته الكاذبة، صابرين على كل ما توعّدهم به من العذاب و النكال، إذ قال لهم:

إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ، فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ، وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ، وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى، قالُوا: لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الَّذِي فَطَرَنا، فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ، إِنَّما تَقْضِي هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا وَ ما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ، وَ اللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقى.

و هكذا يتبيّن لنا كيف تعمل المعجزة عند ما يكون القوم عالمين بما هو من قبيلها.

فلو أن موسى عليه السلام أتى بما أتى به أمام قوم لا يعلمون السحر، لما كان له هذا الأثر الذى ظهر أمام السحرة، الذين أدركوا حق الإدراك الفرق بين السحر و المعجزة، بين عمل الخلق الزائف، و عمل اللّه اليقينى ...

لو أن موسى عليه السلام ألقى عصاه هذه أمام العرب فى جزيرة العرب

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۷

مثلا، و هم لا يعرفون السحر، لما كان عندهم إلّا قول واحد، ألّا و هو ما قاله فرعون: إن ما فعلته سحر ليس إلّا ...

من أجل هذا وجب أن تكون المعجزة من نوع ما يتعارف عليه الناس الذين أرسل إليهم الرسول.

و هذا الذى رأيناه فى معجزة موسى عليه السلام، نراه فى معجزة غيره من الأنبياء و الرسل.

معجزة عيسى عليه السلام:

لقد بعث اللّه عيسى عليه السلام فى بنى إسرائيل، الذين كانوا قد اشتهروا بالطب زمن رسالته، و لذلك كان لا بدّ- كما قدمنا- أن تكون من نوع علومهم التى تعارفوا عليها، و اشتهروا بها، فكانت إحياء الموتى، و ما شابهها من المعجزات.

إن غاية ما يستطيع أن يفعله الطبيب قديما و حديثا، هو تشخيص المرض، و وصف العلاج لشفائه، إلّا أنه ما حدث، و لم يحدث، و لن يحدث، أن يتمكّن الطبيب من إحياء الموتى.

كما أنه لم و لن يستطيع أن يصل لدرجة إخراج الحياة من الجماد، فلم يستطع و لن يستطيع أن يعمل هيكل طير من الطين، ثم يجعله طيرا حقيقيا، يخفق بجناحيه و يطير.

لقد بعث عيسى فى تلك الأمة التى عرفت حقيقة الطب، و عرفت قدرة الطبيب الحقيقية، و هى أنها لا تعدو علاج بعض الظواهر المرضية.

فإذا ما رأت تلك الأمة إنسانا يحيى الميت بعد موته، و يصنع من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيرا، و يبرئ الأكمه و الأبرص بإمرار يده عليه، علمت أن هذا الإنسان، لا يعمل هذه الأمور بقدرته البشرية، لأن قدرة البشر فى هذا المجال محدودة بما ذكرنا من الظواهر، و من ثم أيقنت أن هذه

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۸

الأعمال خارقة للعادة، بقدرة من خالق هذا الكون، و خالق قوانينه، و علمت يقينا صدقه فى دعواه، و فى رسالته.

قال تعالى فى حق عيسى عليه السلام: وَ رَسُولًا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، فَأَنْفُخُ فِيهِ، فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ، وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، إِنَّ

فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

فلما جاء عيسى عليه السلام بمعجزاته، آمن كل عامى و عالم أن ما أتى به عيسى إنما هو من أمر اللّه و قدرته، و أنه ليس من فعل البشر، على نحو ما ذكرناه من إيمان السحرة بموسى عليه السلام، إذ رأوا معجزته، و أيقنوا بمعارفهم أنها من قدرة اللّه، لا من صنع البشر.

معجزة نبينا عليه الصلاة و السلام:

اشارة

من أجل هذا الذى ذكرناه من المثل فى موسى و عيسى عليهما السلام كان لا بدّ لنبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم أن تكون معجزته، من نوع ما يتعارف عليه قومه، ليكونوا أقدر على إدراكها، و معرفة حقيقتها، و لكى لا يضطربوا فى شأنها، هل هى تمويه، أو سحر، أو شعبذة، أو غير ذلك من الأمور التى ينسب إليها كل من أتى بأمر يخرج عن المعتاد المألوف.

ثقافة العرب و معارفهم فى الجاهلية:

اشارة

و الأمة العربية التى بعث فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، لم تكن أمة مثقفة ذات حضارة، و إنما كانت أمة أميّة، لا تعرف سحرا، و لا تعرف طبا، و لا تعرف فلسفة، و إنما كانت تجيد فنا واحدا، بلغت فيه ذروة الكمال الفنى، ألا و هو فن البلاغة و البيان اللغوى فى التعبير عن المراد، و صياغة الحكمة فى التوجيه و الإرشاد.

تمرّس العرب باللغة:

نعم .. لقد تمرّس العرب بلغتهم، لغة السحر و الشعر، لغة الجلال

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۹

و الكمال، لغة الحب و الجمال، و وصلوا إلى ذروة المجد الفنى فى استعمال هذه اللغة، فى التعبير عن خفقات القلوب، و مشاعر الوجدان، و وصف العواطف و إثارتها، و بعث الهمم و إيقاظها، و تخليد البطولات و الأمجاد، و نشر المفاخر و المناقب.

تفاخر العرب بلغتهم:

لقد كانوا يتفاوتون فيما بينهم بقدر ما يجيده الواحد منهم من هذه اللغة، حتى صار بعضهم مضرب الأمثال، كقس بن ساعدة، و امرئ القيس، و النابغة الذبيانى، و زهير بن أبى سلمة، و الأعشى ميمون بن قيس، و غيرهم من البلغاء و الفصحاء.

و وجد فيهم المحكمون الذين يفاضلون بين الكلام، فى جودته و بلاغته، و وصل بهم الأمر إلى أن كتبوا بعض القصائد بماء الذهب، و علّقوها فى جوف الكعبة، لما كان لها من البلاغة، و الجزالة، و القوة، و الجمال، و هى التى عرفت فيما بعد بالمعلقات السبع أو العشر.

بل وصل الأمر ببنى تغلب- حين قال عمرو بن كلثوم التغلبى معلقته- وصل الأمر بهم فى شدة اهتمامهم بقصيدته إلى أن قال الناس فيهم:

ألهى بنى تغلب عن مفاخرهم قصيدة عمرو بن كلثوم، إذ كانت القصيدة ترفع القبيلة إلى ذروة المجد، أو تحطها إلى حضيض الذلّ و الهوان.

فأمة هذا شأنها، لا تعرف السحر و لا الشعبذة، و لا تعرف الطب و لا الفلسفة، و إنما تجيد الحكمة و المثل، و القصيدة و المقال، و تسمو بهذه الأمور إلى أن تدرك غايتها، و تتميز بها، لا بدّ أن تكون المعجزة التى يأتى بها نبيها من نوع ما تعرفه و تتقنه.

و لذلك كانت معجزة نبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم معجزة لغوية، تتجلى فى آيات القرآن الكريم، إلى جانب المعجزات الأخرى، الكثيرة الشهيرة.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۰

لم لم تكن معجزة نبينا عليه السلام مادية:

قد يقول قائل: لما ذا لم تكن معجزة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم معجزة مادية كمعجزة غيره من الأنبياء و الرسل ..؟.

و الجواب على ذلك يعرف مما قدمناه، و ذلك أنه صلّى اللّه عليه و سلّم لو أتى العرب بمعجزة مادية من نوع ما أتى به موسى أو عيسى عليهما السلام، لكانت أول كلمة يقولها له المشركون: إن ما جئت به السحر.

لأنهم لجهلهم بحقيقة السحر، لا يميّزون بين السحر و المعجزة، و لذلك كانت المعجزة فى الدرجة الأولى من نوع ما يتعارفون عليه، ألا- و هو البلاغة و البيان، لكى يدركوا وجه الإعجاز فى الكلام الذى يتلى عليهم باللغة التى يعرفونها. و وصلوا إلى ذروة بيانها و بلاغتها.

و لذلك ما سمع بالقرآن عربى، إلّا و أدرك أنه ليس من قول البشر، و إنما هو قول قوة فوق قوة البشر.

تمييز العرب بين أنواع الكلام، و إدراكهم معجزة القرآن:

لقد نزل القرآن على محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، معجزة له، على النحو الذى قدّمناه، من كونها موافقة لمعارفهم و ثقافتهم، و بدأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بتلاوته عليهم، فما سمعه واحد منهم إلّا و ملك عليه قلبه، و استأثر بعقله، لما فيه من البلاغة و البيان، و الجمال و الدقة و الروعة و الإتقان، و هى الأمور التى مارسها العربى، و كان قلبه يذوب فى معانيها.

إنهم عرفوا الشعر، فما هو بالشعر، و عرفوا النثر، فما هو بالنثر، و عرفوا زمزمة الكهّان، فما هو بزمزمتهم.

إن غاية ما سمعوه فى حياتهم، و فتنوا به، هو ما قاله فلان و فلان، من الشعراء، و الحكماء، إلّا أن ما يسمعونه اليوم، ليس من هذا القبيل فى قليل و لا كثير، إنه كلام لا يمكن للبشر أن يصلوا إلى أدنى درجات بلاغته، و لو كانوا على

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۱

قلب رجل واحد، مع أنه نزل بلغتهم.

إنه كلام معجز، و ليس من صنع البشر، إنه القرآن الكريم، كلام اللّه، فما كان منهم، أمام هذه المعجزة الباهرة، إلّا أن أذعنوا و سلموا، و اعترفوا بالعجز و التقصير عن معارضة هذه المعجزة- على ما سنبيّنه إن شاء اللّه- و من ثم آمنوا باللّه، و برسوله محمد صلّى اللّه عليه و سلّم.

و نحن قبل أن نتكلم على وجوه الإعجاز فى القرآن، لا بدّ لنا أن نعرف القرآن الكريم

اشارة

الذی کان معجزة رسول اللّه علیه أفضل الصلاة و أتم التسلیم، لنمیّز بینه و بین الکلام الذی لا إعجاز فیه، کالحدیث القدسی، و الحدیث النبوی.

القرآن لغة:

القرآن لغة، مصدر، نحو کفران و رجحان، قال تعالی: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ.

إلّا أن هذا المصدر صار مختصا بالکتاب المنزّل علی نبیّنا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم، فصار علما له، و اشتهر به، و لذلک إذا أطلق القرآن الیوم، لا یفهم منه إلّا أنه القرآن الکریم کلام اللّه.

القرآن اصطلاحا:

هو اللفظ، العربی، المنزّل علی محمد صلّی اللّه علیه و سلّم، المنقول إلینا بالتواتر، المتحدی بأقصر سورة من سوره المعجزة.

فما لم یکن لفظا، مما أوحاه اللّه إلی نبیه معنی، و النبی صلّی اللّه علیه و سلّم عبّر عنه بألفاظ من عنده، لا یسمی قرآنا، و إنما هو حدیث نبوی شریف، المعنی من اللّه، و اللفظ من النبی علیه السلام.

قال تعالی: وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی.

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۳۲

و ما کان لفظا موحی به من اللّه، إلّا أنه لیس عربیا، لا یسمی أیضا قرآنا.

و ذلک کالکتب، و الصحف، التی نزلت ألفاظها و معانیها من عند اللّه، إلّا أنها لیست بلغة العرب.

کما أن ما یترجم من معانی القرآن، إلی غیر العربیة، لا یسمی قرآنا، و لا یعطی أحکام القرآن.

و أما ترجمة نص القرآن إلی غیر العربیة، فهی غیر جائزة إجماعا، و علی فرض وقوعها ممن لا خلاق له، فإننا لا نسمیها قرآنا، لأن القرآن ما کان لفظا عربیا.

و قولنا: المنزّل علی محمد صلّی اللّه علیه و سلّم: قید یخرج به، ما کان لفظا عربیا، منزّلا- علی غیر نبینا علیه السلام- علی فرض وجوده- فإنه لا یسمی قرآنا، لاختصاص القرآن بما أنزل علی محمد صلّی اللّه علیه و سلّم.

و قولنا: المنقول بالتواتر، نعنی به أنه نقله جماعة عن جماعة، تحیل العادة تواطؤهم علی الکذب، فی کل طبقة من طبقاته.

و هذا قید، خرج به ما نقل إلینا عن طریق الآحاد، فإنه لیس بقرآن، و لا یعطی أحکام القرآن، من عدم جواز قراءته للجنب، و مسّه للحائض، و غیر ذلک.

و أما قولنا: المتحدّی بأقصر سورة من سوره، فهذا قید خرج به الحدیث القدسی، فهو لفظ عربی، منزّل علی محمد صلّی اللّه علیه و سلّم، و قد یکون متواترا، إلّا أنه لا یسمی قرآنا، لأنه لا یراد به التحدّی و الإعجاز، و لا یعطی أحکام القرآن.

و أما التحدّی: فهو طلب الإتیان بسورة تضاهی أقصر سورة من سور القرآن، و هی: إِنَّا أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ.

فقد طلب اللّه من العرب أن یأتوا بسورة من مثل سور القرآن الکریم،

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۳۳

لیبطلوا معجزة محمد صلّی اللّه علیه و سلّم، و یثبتوا صدقهم فی أنه لیس مرسلا من ربه، إلّا أن أحدا منهم لم یتمکن من معارضة القرآن، و لم یتمکن من الإتیان بأی سورة تضاهی أقصر سورة من سوره، رغم أن التحدّی مرّ بمراحل متعددة، لیکون أبلغ فی إثبات العجز، علی مرّ الدهور، و کرّ العصور.

بل اعترف الجمیع بعجزهم عن معارضته، و آمنوا باللّه و رسوله، علی ما سنراه فی مراحل التحدّی التی مرّ بها القرآن.

مراحل التحدى بالقرآن:

اشارة

لقد وقع التحدى بالقرآن الكريم على ثلاث مراحل، و بطريقة التدرج فى هذا التحدّى، يتحدّى العرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بمثل سورة من سوره، يعارضونه بها، و قد جاء بلغتهم، و نزل بأساليبهم- و هم فرسان البلاغة، و أرباب البيان- فإن عجزوا عن ذلك، و لم يقدروا عليه، فليعلموا أن هذا القرآن ليس من صنع البشر، إذ لم يستطع البشر أن يعارضوه، أو يأتوا بسورة تضاهى أقصر سورة من سوره، و إنما هو كلام اللّه المعجز، الدالّ على صدق نبينا عليه الصلاة و السلام فى دعواه النبوّة و الرسالة.

المرحلة الأولى:

لقد بدأ التحدّى بمكة، فى سورة الإسراء، و كان التحدّى بكل ما نزل من القرآن، فقال تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ، لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً.

إلّا أننا وجدنا العرب أرباب الفصاحة و البلاغة و البيان يعجزون جميعا عن الإتيان بمثل هذا القرآن، الذى تتلى آية التحدّى فيه صباح مساء، على رءوس الأشهاد، و كأنها تثير فيهم الحمية لمجابهة هذا التحدّى.

إلّا أنهم- رغم هذا، و رغم كل ما يبذلونه من محاولة للقضاء على القرآن و دعوته- لم يجدوا إلى تحدّى القرآن أى سبيل، و لو وجدوا لفعلوا ...

۳ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۴

إلّا أنه العجز البشرى، أمام القدرة الإلهية التى لا تتحدّى.

المرحلة الثانية:

و هنا بدأت المرحلة الثانية، و هى التحدّى بعشر سور من سور القرآن، فإذا عجزتم أيها العرب عن الإتيان بمثل القرآن، فأتوا بعشر سور من مثله، إن كنتم على ذلك قادرين، و فى دعواكم صادقين، فقال تعالى:

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ، وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ.

إلا أنهم رغم هذا التحدّى الصريح، الذى فضح دعواهم فى أن هذا القرآن إنما هو شىء مفترى، و أنه أحاديث الأولين اكتتبها محمد صلّى اللّه عليه و سلّم رغم هذه الدعوى، و هذا التحدى، لم نجد واحدا منهم يستطيع معارضة القرآن بعشر سور تضاهيه أو تقاربه.

و هنا بدأت المرحلة الأخيرة من التحدّى، و هى المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة:

و هى المرحلة التى حطمت غرور المشركين، و فضحت دعواهم، و أبانت عجزهم، ألا و هى التحدّى بسورة واحدة من أقصر سور القرآن، و هى قوله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ، إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ.

فقال تعالى فى سورة يونس:

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ، قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ.

إلّا أن واحدا منهم لم يستطع أيضا أن يأتى بهذه السورة، بل بدأ الجميع يتساقطون، الواحد تلو الآخر، و يعلنون- رغم كفرهم و

عنادهم- أن هذا الكلام ليس من صنع البشر، و أنه لا سبيل إلى التحدّى و المجابهة.

و لقد أيأسهم اللّه تعالى من هذه الأحلام اليائسة فى المعارضة، فى سورة

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۵

البقرة، إذ قال جلّ و علا:

وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ، أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ.

و ذلك أن النفى ب «لن» يفيد التأبيد على ما ذهب إليه الإمام الزمخشرى.

سلامة المعجزة القرآنية عن المعارضة:

و بهذا الذى ذكرناه، من مراحل التحدّى، و عجز سائر البشر عن معارضة القرآن، يتبيّن لنا أن المعجزة القرآنية قد سلمت عن المعارضة فى كل المراحل، لتثبت و بدلالة قاطعة أنها من عند اللّه، و ليست من قول البشر، لأنها ليست من قبيل ما يملكونه من الطاقات.

فليست مفتراة، و ليست أساطير الأولين اكتتبها محمد صلّى اللّه عليه و سلّم ليموّه بها على العرب، إذ لو كانت كذلك، لكان بإمكان أى عربى أن يعارضها و يأتى بمثلها.

و كيف يكون محمد صلّى اللّه عليه و سلّم اكتتبها و هى بهذه البلاغة و هذا الإعجاز ..؟ و لا سيما أن محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم لم يكن شاعرا، و لا ساحرا، و لا كاهنا، و لا دارسا لأخبار الأوائل ... وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ، وَ ما يَنْبَغِي لَهُ.

فلم يكن معروفا فى الجاهلية ببلاغته و بيانه، و إنما كان حاله كحال الناس جميعا، لغته من لغتهم، و بيانه من بيانهم، فلم يعرف عنه أنه يأتى بكلام يخالف كلام العرب و بيانهم.

إذ لو كان كذلك لجاز أن يقولوا ما قالوا.

نعم .. لقد اشتهر فيهم بحكمته، و أمانته، حتى لقب بالأمين.

و أما جوامع الكلم التى أوتيها، فهذا شىء كان بعد النبوة، فلم يعد للعرب من حق فى أن يقولوا أمام هذا التحدى: إن هذا من صنع محمد، لأنه لو كان من صنعه، لعارضوه.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۶

كيف لا ...؟ و فيهم فحول الشعراء، و الخطباء، و البلغاء، الذين ملئوا حياة العرب و دنياهم بشعرهم و خطبهم و بلاغتهم.

إذن فلم يبق إلّا شىء واحد، ألا و هو التسليم بأن هذا الكلام ليس من كلام البشر، و إنما هو من كلام اللّه.

و هذا ما أخذوا يعترفون به الواحد تلو الآخر- على ما سنعرفه قريبا- و لم يبق أمامهم إلّا أن يؤمنوا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كما آمن السحرة بموسى بعد أن أفحموا بمعجزته.

و أما من أبى و استكبر عن الإيمان، فلم يكن لأنه لم يدرك المعجزة، و لم يسلم بها، و إنما كان عنادا و استكبارا، كاستكبار فرعون أمام معجزة موسى عليه السلام.

اعترافات المشركين بالاعجاز:

اشارة

لم يقف الأمر بالنسبة للقرآن الكريم عند حد الإعجاز الذى أدركه كل عربى، من مسلم و كافر، إذ رأوا عجزهم عن معارضته فى كل

مراحل التحدّى.

و لكن الأمر تعدّاه إلى مرحلة الاعتراف بأن هذا الكلام ليس من كلام البشر، و إنما هو من كلام اللّه، و سواء فى هذا الاعتراف المسلم و الكافر، إذ تأثر الجميع بحلاوته، و اهتزت مشاعرهم لطلاوته، و انفعلت أحاسيسهم بأساليبه.

الوليد بن المغيرة:

فها هو الوليد بن المغيرة، و هو من أعتى المشركين، و أشدّهم أذى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، يعترف أمام المشركين جميعا، بأن هذا القرآن ليس من قبيل زمزمة الكهّان و لا سجعهم، و ليس من قبيل وسوسة المجانين و لا تخاليجهم، و ليس من قبيل الشعر و أوزانه.

ثم يقول فى وصفه قالة المتأثر به، المفتون بجماله المستسلم لإعجازه: إن له لحلاوة، و إن عليه لطلاوة، و إن أسفله لمغدق، و إن أعلاه لمثمر، و إنه يعلو

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۷

و لا يعلى عليه، و ما هو من قول البشر.

و لقد صدق المغيرة فيما قال، فأقره جميع المشركين الذين جاءوا للتداول فى أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

و كيف لا ...؟ و جميعهم يشعر بنفس شعور الوليد، و يحس بأحاسيسه، فلم يمنعهم كفرهم، و لا كبرهم و غرورهم من الاعتراف بهذه الحقيقة التى لا سبيل إلى إنكارها.

عتبة بن ربيعة:

و هذا عتبة بن ربيعة من سادة قريش، يقوم إلى محمد صلّى اللّه عليه و سلّم ليفاوضه باسم المشركين من قريش، و يعرض عليه بعض العروض، لعلّه يقبل بها، و يترك دعوته.

فيعرض عليه الملك، و يعرض عليه المال، ثم يعرض الطب إن كان ما يأتيه من قبيل الوساوس و الجنون ...

حتى إذا فرغ الرجل من عروضه، و أتمّ مهمته، قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم:

«أوقد فرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «فاسمع منى»، قال: أفعل، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ* بَشِيراً وَ نَذِيراً، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ، وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ، وَ فِي آذانِنا وَقْرٌ، وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ.

و مضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقرأ عليه سورة فصلت، و عتبة منصت لها، و قد ألقى يديه خلف ظهره، معتمدا عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى آية السجدة من السورة، فسجد و سجد معه عتبة، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت و ذاك.

و فى بعض الروايات أنه صلّى اللّه عليه و سلّم لما وصل إلى قوله تعالى: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۸

أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ قال له عتبة: ناشدتك اللّه و الرحم أن تمسك، إذ لم يعد عتبة يتمالك نفسه أمام هذا الذى يسمع مما لا قبل لأهل الأرض به.

ثم قام عتبة إلى أصحابه الذين بعثوه عنهم رسولا و مفاوضا، إلّا أنه كان قد سمع ما سمع، فأثر القرآن فى نفسه و جوارحه، حتى بدا ذلك فى وجهه، فقال القوم بعضهم لبعض: نحلف باللّه، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما

وراءك يا أبا الوليد؟.

قال: ورائى أنى سمعت قولا، و اللّه ما سمعت بمثله قط، و اللّه ما هو بالشعر، و لا بالسحر، و لا بالكهانة.

يـا معشـر قريش، أطيعونى و اجعلوهـا بى، و خلو بين هـذا الرجـل و بين مـا هو فيه فاعتزلوه، فو اللّه ليكونن لقوله الـذى سـمعت منه نبأ عظيم.

و هذا اعتراف آخر من الوليد أمام سادة قريش و كبرائها بإعجاز القرآن و أثره فى النفوس و القلوب و الجوارح.

النضر بن الحارث:

و ها هو النضر بن الحارث، و هو من شياطين قريش و أشدائهم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، يقف فى قريش و يقول: يا معشر قريش، إنه و اللّه قـد نزل بكم أمر ما أنتم له بحيلـة بعـد، قـدم محمـد فيكم غلاما حـدثا، أرضاكم فيه، و أصـدقكم حديثا، و أعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشـيب، و جاءكم بما جاء به، قلتم: ساحر، لا و اللّه، ما هو بساحر، لقد رأينا السـحرة و نفثهم عقدهم، و قلتم: كاهن، لا و اللّه ما هو بكاهن، فقـد رأينا الكهنـة و تخالجهم، و سـمعنا سـجعهم، و قلتم: شاعر، لا و اللّه ما هو بشاعر، فقـد رأينا الشعر، و سمعنا أصنافه كلها، هزجه و رجزه، و قلتم: مجنون، لا و اللّه، ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، فما هو بخنقه، و لا وسوسته، و لا تخليطه.

يا معشر قريش .. فانظروا فى شأنكم، فإنه و اللّه لقد نزل بكم أمر عظيم.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۹

فهـذه اعترافات أساطين قريش وسادتها، الكل يلهـج بكلام واحـد، و قـد تصوّر تصورا واحـدا، ألا و هو أن هذا القرآن ليس من صـنع البشـر، و أنه معجز لا قبل لهم بمعارضته، بل إن كل من يسمعه منهم، يخفق له قلبه، و تنفعل به أحاسيسه، و يحن إلى سماعه المرة تلو الأخرى، لا يستطيع أن يفطم نفسه عنه.

و لذلك كان النفر من قريش يتعاهدون على عدم سماع القرآن حتى لا يتأثروا به، و يذهبون إلى بيوتهم، إلا أن الواحد منهم، لا يلبث أن يرجع إلى الكعبـة ليسـمع القرآن الـذى ملك عليه عقله و قلبه، فيجـد أن صاحبه الذى كان قد عاهده، قد سـبقه إلى العودة لسـماع القرآن المعجز، نديا من صوت محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، فيجتمعان أمام الكعبة، و كل منهم قد نقض ما عاهد عليه صاحبه.

و حق لهم هذا ..

فمن ذا الذى يرى المعجزة و يملك نفسه أن لا يتأثر بها ..؟ إذ لو كان الناس يملكون هذا، لما كان للمعجزة ذلك الأثر ...

اتفاق المشركين على اللغو فى القرآن لمنع تأثيره:

اشارة

لم يكن من المشـركين إزاء هـذا التـأثر العظيم بـالمعجزة القرآنيـة إلا أنهم بـدءوا يعلنون إسـلامهم الواحـد تلو الآخر، مما أثار حفيظة المشركين، و جعلهم يفكرون بالوسائل التى يمكن بواسطتها التخفيف من أثر المعجزة القرآنية، فاتفقوا على أن لا يسمعوا للقرآن، و لا يمكّنوا أحـدا من سـماعه، خشـية أن يتأثروا بإعجازه، و يسـتجيبوا لهديه، كما اتفقوا على أن يلغوا فى القرآن إذا قرأه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، حتى يشوّهوا- فيما يزعمون- جماله، و يذهبوا برونقه، و يشوشوا على الناس لمنعهم من الإنصات له. قال تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ، وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (سورة فصلت: آية ۲۶).

إلّا أنهم رغم هـذا لم يفلحوا، بـل ربمـا كـان الأمر على نقيض مرادهم، فجمـال القرآن لا يمكن تشويهه، و إعجازه لا يمكن إخفاؤه،

فالشمس فى رابعة النهار لا يمكن أن تحجب بكف أحمق، و كما قال المتنبى:

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۴۰ و هبنى قلت: هذا الصبح ليل أ يعمى العالمون عن الضياء؟ هذا من جهة.

و من جهة أخرى، كل ممنوع مرغوب، و لا سيما إذا كان المنع على الطريقة العشوائية التى اتبعتها قريش فى محاولة الصد عن القرآن ...

الطفيل بن عمرو الدوسى:

فهذا هو الطفيل بن عمرو الدوسى، و هو من سادة قريش و أشرافهم، كان شاعرا لبيبا، و عاقلا حكيما، جاء مكة، فجاءه سادتها من المشركين، يخذلونه عن السماع من محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، خشية أن يؤمن به، إلّا أن النتيجة كانت على عكس ما رموا إليه و أرادوه، لأن ما أثر فى نفوسهم لا بدّ و أن يؤثر فى نفس الطفيل و غيره، من كل من عقل كلام العرب و تذوقه.

يقول الطفيل: كنت رجلا شاعرا، سيدا فى قومى، فقدمت مكة، فمشيت إلى رجالات قريش، فقالوا: إنك امرؤ شاعر سيد، و إنا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل، فيصيبك ببعض حديثه، فإنما حديثه كالسحر، فاحذره أن يدخل عليك و على قومك ما أدخل علينا، فإنه فرق بين المرء و أخيه، و بين المرء و زوجته، و بين المرء و ابنه، فو اللّه ما زالوا يحدثونى فى شأنه، و ينهونى عن أن أسمع منه حتى قلت: و اللّه لا أدخل المسجد إلّا و أنا ساد أذنى ..

قال: فعمدت إلى أذنى فحشوتها كرسفا- أى قطنا- ثم غدوت إلى المسجد، فإذا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قائما فى المسجد، فقمت قريبا منه، و أبى اللّه إلّا أن يسمعنى بعض قوله.

فقلت فى نفسى: و اللّه إن هذا للعجز، و إنى امرؤ ثبت، ما تخفى على الأمور، حسنها و قبيحها، و اللّه لأتسمعن منه، فإن كان أمره رشدا، أخذت منه، و إلّا اجتنبته، فنزعت الكرسفة، فلم أسمع كلاما أحسن من كلام يتكلم به، فقلت: يا سبحان اللّه، ما سمعت كاليوم لفظا أحسن و لا أجمل منه.

فلما انصرف تبعته، فدخلت معه بيته، فقلت: يا محمد! إن قومك

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۴۱

جاءونى، فقالوا لى كذا و كذا، فأخبرته بما قالوا، و قد أبى اللّه إلا أن أسمعنى منك ما تقول، و قد وقع فى نفسى أنه حق، فأعرض على دينك، فعرض على الإسلام، فأسلمت «۱».

عمر بن الخطاب:

و ما حدث للطفيل بن عامر الدوسى، من التأثر بكلام اللّه، و إعلان الإسلام، حدث لمن هو أشدّ منه بأسا، و أكبر قوة، و أكثر إيذاء للمسلمين، ألا و هو عمر بن الخطاب- رضى اللّه عنه و أرضاه- إذ دفعه حقده وحدته لأن يعزم على قتل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد بلغه أنه مجتمع مع أصحابه فى بيت عند الصفا.

فلقيه نعيم بن عبد اللّه، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدا، هذا الصابئ، الذى فرق أمر قريش، و سفه أحلامها، و عاب دينها- فأقتله.

فقال له نعيم: و اللّه لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر! أ ترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض و قد قتلت محمدا ..؟ أ فلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ...؟.

قال: و أى أهل بيتى ..؟.

قال: ختنك، و ابن عمك سعيد بن زيد، و اختك فاطمة بنت الخطاب ..، فقد و اللّه أسلما.

فرجع عمر إلى أخته و ختنه- أى زوجها- و عندهما خباب بن الأرت، معه صحيفة فيها «سورة طه» يقرئهما إياها.

فلما سمعوا حسّ عمر، اختبأ خباب فى بعض البيت، و خبأت فاطمة الصحيفة، و كان عمر قد سمع شيئا من القراءة حين دنا من البيت.

فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التى سمعت ...؟.

قالا له: ما سمعت شيئا.

---

(۱) سير أعلام النبلاء ۲/ ۳۴۴.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۴۲

قال: بلى ... و لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه، و بطش بسعيد، فقامت إليه اخته تدافع عن زوجها، فلطمها و أدماها، فلما فعل ذلك قالا له:

نعم لقد أسلمنا ... فاصنع ما بدا لك ..

ثم طلب من أخته الصحيفة التى سمع قراءتها، و وعدهما أن يردها عليهما إذا قرأها.

فلما طمعت أخته فى إسلامه، قالت له: يا أخى إنك نجس، على شركك، و إنه لا يمسها إلّا طاهر.

فقام عمر، و اغتسل، فأعطته الصحيفة، و فيها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، طه، ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى، إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشى، تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّماواتِ الْعُلى، الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى، لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى.

فلما قرأ عمر صدر السورة، هدأت ثورته، و ذابت حدته، و سطع أمامه نور المعجزة بما لا يستطيع دفعه.

إنه الكلام الذى تترنم به السموات و الأرض، و يتفاخر به الإنس و الجن، و تغبط الملائكة به بنى آدم ...

و انفعلت نفس عمر بهذا الكلام ...

كيف لا ...؟ و هو العربى القرشى الذى يتذوق العربية، و يتمايل لسماعها طربا ...

فما كان منه إلا أن قال: «ما أحسن هذا الكلام و أكرمه».

و ما كان منه إلّا أن ذهب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ... و لكن ... لا ليقتله هذه المرة .. و إنما ليعلن إسلامه و ليضيف إلى التاريخ حادثا من أهم الحوادث فى تاريخ المعجزة القرآنية، إذ كان اعترافه بها، و إيمانه بصاحبها، مغيرا لمجرى الحوادث فى حياة المسلمين، و تاريخ الرسالة .. بل كان مغيرا لمجرى الحياة الإنسانية كلها.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۴۳

لبيد بن ربيعة:

و ما حدث لعمر، و الطفيل بن عامر الدوسى، حدث لكثير من المشركين مما دفعهم للدخول فى الإسلام.

بل جعل كثيرا منهم يذهل عن كل صورة من صور الجمال الفنى فى لغة العرب أمام بلاغة القرآن، و جماله و إعجازه.

فهذا لبيد بن ربيعة العامرى، أحد أصحاب المعلقات السبعة، الذين سارت بشعرهم الركبان، و من أشراف الشعراء المجيدين الفرسان، يفد على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و يسمع كلامه، و يسلم، و لكن .. ما ذا فعل بالشعر، الذى جرى فى كيانه مجرى الدم من عروقه، و جبلت به نفسه، و عرفت به حياته، و تناقله الناس عنه، يتفاخرون به، و يتمايلون طربا لسماعه، بل يصل بهم الأمر لدرجة الجنون لأجله، كما فعل الفرزدق حين مر بمسجد لبنى أقيصر بالكوفة، و سمع رجلا ينشد قول لبيد:

و جلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجدّ متونها أقلامها فما كان من الفرزدق إلا أن سجد ..

فقيل له: ما هذا يا أبا فراس ..؟.

فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن، و أنا أعرف سجدة الشعر «۱» ..

لقد وصل الأمر بالفرزدق، و هو أحد فحول الشعراء الذين لا ينازعون و لا يدافعون، وصل الأمر به لدرجة الافتتان بشعر لبيد ...

فما هو حال لبيد فى الإسلام أمام القرآن ...؟.

لقد ذهل هذا الرجل الفصيح البليغ، الذى فتن الناس بشعره، لقد ذهل عن نفسه و شعره، فلم يعد يتمكن من قول الشعر، إذ أفحمته عظمة القرآن و بلاغته، فلم يقل بعد إسلامه إلّا بيتا واحدا، و هو قوله:

الحمد للّه إذ لم يأتنى أجلى‌حتى لبست من الإسلام سربالا

---

(۱) مختارات ابن منظور ۹/ ۳۴۰.

و ها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول له يوما ما: أنشدنى من شعرك .. فيقرأ سورة البقرة، و يقول له: ما كنت لأقول الشعر بعد أن علمنى اللّه سورة البقرة ..؟ «۱».

لقد أذهلته سورة البقرة عن الشعر و قوله، و حق له هذا، إنه شعور العظماء عند معاينتهم الحقائق.

إنه اعتراف أهل الفضل بالفضل و إذعانهم له.

إن الفنان العادى ليفخر بفنه أمام من هم أقل منه شأنا، و أدنى منه منزلة، إلّا أنه عند ما يكون منصفا عاقلا، يتصاغر أمام عباقرة الفن و عظمائه، و يستحيى من عرض إنتاجه أمام إنتاجهم، و فنه أمام فنهم، لأنه يدرك بملكته الفرق الشاسع بينه و بينهم، و يعلم أنه مهما حاول فلن يصل لدرجتهم، و لذلك يحتفظ بكرامته، و ينسحب إلى حيث يضمن لها المدح و التكريم.

و هكذا كان شأن لبيد بن ربيعة، لقد أذهلته بلاغة القرآن و فصاحته، و رأى فيه الإعجاز الذى لا يستطيع أحد أن يدانيه أو يقاربه، و ما شعره مهما بلغ من الدقة و البلاغة، و العظمة و الروعة، إلّا من سقط القول أمام هذا القرآن المعجز.

و لذلك كان من إكرام لبيد لنفسه أن لا يقول شيئا من الشعر بعد أن قرأ القرآن.

تأثر حسان بن ثابت:

و ما حدث للبيد بن ربيعة، حدث لغيره من الشعراء، فها هو حسان بن ثابت، و هو من فحول شعراء الجاهلية المعمرين، يسلم، فيقرأ القرآن، و يتأثر ببلاغته و فصاحته، مما أذهله عن كثير من المعانى الشعرية التى كان يجيدها فى الجاهلية و يفخر بها، مما جعل مستواه فى الشعر يهبط فى الإسلام، عما كان عليه فى الجاهلية.

---

(۱) دائرة المعارف ۸/ ۲۸۲.

فقد أجمع نقاد الشعر على أن شعر حسان بن ثابت قد تأثر فى الإسلام، و تراجع أمام عظمة القرآن و إعجازه.

لم يمتنع حسان من قول الشعر فى الإسلام، بل أمره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أن يقول الشعر، و يرد به على المشركين ما كانوا يهجون به الإسلام و المسلمين.

و لكن حسانا لم يمكنه أبدا أن يتناسى هذا الصرح البلاغى المعجز، الذى عصف بكل بلاغة و فصاحة و شهرة أمام بلاغته و فصاحته، مما يجعل عند الإنسان عجزا باطنيا خفيا يفرض عليه التراجع و الاستسلام، و لا سيما بعد أن يئس كل من فى الأرض عن الوصول إلى

أدنى مراتب بلاغته.

و هذا ما جعل شعر حسان يتراجع و يضعف إذا ما قيس بشعره الذى كان يقوله فى الجاهلية قبل أن يسمع القرآن.

و ما حدث للبيد و حسان، حدث لكثير من شعراء العرب و فصحائهم، مما يدل على مدى التأثير القرآنى فى نفوسهم، و على كلامهم.

لما ذا لم يسلم جميع العرب ممن أدرک معجزة القرآن؟:

اشارة

بعد هذا الذى قدّمناه من تأثر العرب بالمعجزة القرآنية، و اعترافهم بها ...، و ما رافق ذلک من إعراض بعضهم عن قول الشعر أو تأثر شعره أمام الإعجاز القرآنى، قد يثار سؤال، ألا و هو:

ما دام القرآن قد وصل لهذا الحد من الإعجاز و التأثير، فلما ذا وجدنا كثيرا من العرب، ممن مهر فى العربية و أتقنها، و بلغ الذروة العليا فيها، كالوليد بن المغيرة، و أبى جهل، و أبى لهب، و عتبة بن ربيعة، و غيرهم كثير، ممن لا يخفى مكانهم على أحد، لما ذا لم يسلموا و قد سمعوا القرآن ..؟!.

[العناد هو السبب و مثاله:]

اشارة

إن الجواب على هذا السؤال سهل ميسور، و ذلک أن الناس على مر العصور، و كر الدهور، لم تخل ساحتهم يوما ما من جاحد معاند، أو متكبر

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۴۶

بطر، أو حاسد حاقد، أو كذاب أشر.

و إن نظرة سريعة خاطفة عبر التاريخ إلى علاقة الإنسان بالحقائق، مع الأنبياء و الرسل و غيرهم، لتدلنا على هذه الحقيقة دلالة قاطعة.

و لا أريد أن استطرد فى ذكر الأمثلة، بل سأكتفى بمثالين يقينيين من التاريخ، الأول فى العناد مع الرسل، و الثانى فى العناد مع الحقائق العلمية.

عناد قوم إبراهيم عليه السلام:

و هذا هو المثال الأول الذى سأتكلم عليه، و هو عناد الناس مع الرسل.

و هو يتمثل لنا جليا واضحا فى قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، حينما كسر أصنامهم، و أقام عليهم الحجة فى عدم صلاحية الحجارة للعبادة، و أنها لا تملک لنفسها ضرا و لا نفعا، علاوة عن أن تملک هذا للآخرين، و لذلک لم تستطع أن تمنع نفسها من الأذى الذى ألحقه بها إبراهيم عليه السلام.

و آمن قومه بهذه الحقيقة، و أن هذه الحجارة لا تصلح للعبادة، إلا أنهم أخذتهم العزة بالإثم، فعادوا ثانية يناقضون أنفسهم، بالتنكر للحقائق التى لا سبيل إلى إنكارها، و أجمعوا على الباطل لنصرة تلک الحجارة، رغم ما آمنوا به من حقيقة حالها.

و لنستمع إلى القرآن يقص علينا قصتهم، قال تعالى:

وَ لَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا بِهِ عالِمِينَ، إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ: ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ؟ قالُوا: وَجَدْنا آباءَنا لَها

عابِدِينَ، قالَ: لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ، قالُوا: أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ؟ قالَ: بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ، وَ أَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ، فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ، قالُوا: مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ، قالُوا: سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ، قالُوا: فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ، قالُوا: أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ؟ قالَ: بَلْ فَعَلَهُ

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۴۷

كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ، فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ، فَقالُوا: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ، لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ، قالَ: أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ، أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَ فَلا تَعْقِلُونَ؟ قالُوا: حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ.

إنهم لم يجتمعوا على إحراقه لأنه أخطأ، و لا لأنه فشل فى إقامة الحجة، و لا لأنه أتى بما لا يعقل و لا يفهم.

إن ما ادّعاه أمر مفهوم و معقول لكل ذى عقل، و إنما هو الجحود و العناد، و الكبر و الاستبداد ..

فلا يمكن أن يقال: إن ما ادّعاه إبراهيم عليه السلام من عدم صلاحية الحجارة للعبادة، و أنها لا تضر و لا تنفع، شىء باطل، لأن قومه لم يسلموا له، و لم يؤمنوا به.

و ذلك لأن عدم إيمانهم جحود منهم و عناد، باعترافهم بألسنتهم.

و ما جرى من العناد مع إبراهيم عليه السلام، جرى مع غيره من الأنبياء و الرسل، مما لا يخفى على أحد، و هو عينه ما جرى مع النبى محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، على ما سنبينه أيضا بأقوالهم بعد قليل إن شاء اللّه.

و هذا العناد ليس مع الأنبياء و الرسل فقط، و إنما هو عناد مع كل حقيقة من الحقائق عبر التاريخ.

فالعناد هو العناد، لا يختلف باختلاف الزمان، و لا المكان، و لا الأشخاص.

و هذا يظهر جليا واضحا فى المثال الثانى الذى سنضربه الآن، و هو عناد الكنيسة فى العصور الوسطى فى أوروبا، مع الحقائق العلمية.

عناد الكنيسة مع الحقائق العلمية:

لقد مارست الكنيسة باسم الدين أبشع أنواع الطغيان و الاستبداد، مع

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۴۸

العلماء، و المفكرين، محاربة كل الحقائق العلمية الحسية اليقينية، و النظرية المظنونة، خشية على سلطانها الباطل، فقتلت و أحرقت كل من أتى بأى حقيقة علمية ما دامت لا توافق عقل القس أو الراهب، فقتلت و أحرقت ما يزيد عن ثلاثمائة و خمسين ألفا من العلماء و المفكرين، عنادا و طغيانا، على ما يقوله مؤرخو الغرب.

مما ملأ القلوب بالحقد، و استفز النفوس للثورة، فكانت الثورة على الكنيسة، و على الدين، و كان الشعار الرهيب «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس».

فعند ما وقفت الكنيسة فى وجه الحقائق العلمية، لم تقف فى وجهها لأنها أمور باطلة، و لم تقتل العلماء و المفكرين لأنهم أتوا بمفاهيم لا برهان عليها، و إنما فعلت ما فعلت جحودا و عنادا.

فلا يمكن أن يقال أبدا، و فى أى حال من الأحوال، لما ذا لم يؤمن الرهبان بالحقائق العلمية، و النظريات الفكرية، فإن عدم إيمانهم دليل على بطلان ما أتى به العلماء و المفكرون ..؟.

و ذلك لأن ما أتى به العلماء و المفكرون حقائق علمية، ثابتة بالبرهان اليقينى، و لا سبيل إلى إنكاره، و إنما أنكرته الكنيسة و أربابها جحودا و عنادا، و خشية على سلطانها الباطل، الذى بدأ يترنح تحت صدمات تلك الحقائق، بينما آمنت بها جماهير الناس، التى رأت

فیها البرهان الساطع، و الدلیل القاطع، مما جعلها تستسلم لها، و تؤمن بمضمونها.

و هذا عینه هو ما حدث لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم علی ما سنعرفه الآن.

عناد الولید بن المغیرة:

فها هو الولید بن المغیرة یأتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، و یسمع منه القرآن، و یرق له قلبه، و یتأثر به.

و یبلغ ذلک أبا جهل، فیأتی الولید و یقول له: یا عم، إن قومک یریدون

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۴۹

أن یجمعوا لک مالا لیعطوکه، لئلا تأتی محمدا لتعرض لما قاله.

فیقول الولید: قد علمت قریش أنی أکثرها مالا.

قال أبو جهل: فقل فیه قولا یبلغ قومک أنک کاره له.

قال الولید: و ما ذا أقول فیه؟ فو اللّه ما فیکم رجل أعلم بالشعر منی، و لا برجزه و لا بقصیدته، و لا بأشعار الجن، و اللّه ما یشبه الذی یقوله شیئا من هذا، و و اللّه إن لقوله حلاوة، و إن علیه لطلاوة، و إنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، و إنه لیعلو و لا یعلی علیه، و إنه لیحطم ما تحته.

قال أبو جهل: لا یرضی عنک قومک حتی تقول فیه.

قال: فدعنی حتی أفکر، فلما فکر قال: هذا سحر یؤثر.

و لما اجتمعت قریش عند حضور الموسم، قال لهم الولید: إن وفود العرب ترد، فأجمعوا فی محمد رأیا، لا یکذب بعضکم بعضا، فقالوا: نقول: کاهن.

قال: و اللّه ما هو بکاهن، و لا هو بزمزمته و لا سجعه.

قالوا: مجنون.

قال: ما هو بمجنون، و لا بخنقه، و لا وسوسته.

قالوا: فنقول: شاعر.

قال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر کله، رجزه و هزجه، و قریضه، و مبسوطه، و مقبوضه.

قالوا: فنقول ساحر.

قال: ما هو بساحر، و لا نفثه و لا عقده.

قالوا: فما نقول؟.

قال: ما أنتم بقائلین من هذا شیئا إلّا و أنا أعرف أنه لا یصدق، و إن أقرب القول فیه أنه ساحر، و أنه سحر، یفرق بین المرء و ابنه، و المرء و أخیه، و المرء و زوجته، و المرء و عشیرته.

فتفرقوا، و جلسوا علی السبل، یحذرون الناس.

۴ المعجزة القرآنیة

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۵۰

إذن فهم یعلمون أن ما أتی به محمد صلّی اللّه علیه و سلّم لیس من صنع البشر، و لا قبل للبشر بالإتیان بمثله، و الذی دفعهم إلی عدم الإیمان به، لیس عدم ظهور الإعجاز فیه، و إنما هو الکبر و العناد، و الأنانیة و الأثرة و الاستبداد.

عناد الأخنس بن شريق صراحة:

جاء الوليد بن المغيرة إلى الأخنس بن شريق فقال: ما تقول فيما سمعت من محمد؟.

فقال الأخنس: ما ذا أقول؟ قال بنو عبد المطلب: فينا الحجابة، قلنا:

نعم.

قالوا: فينا السدانة، قلنا: نعم.

قالوا: فينا السقاية، قلنا: نعم.

يقولون: فينا نبى ينزل عليه الوحى؟! و اللّه لا آمنت فيه أبدا ..

فعدم الإيمان إذا ليس للحق الذى جاء به رسول اللّه، و إنما هو الأنانية و الأثرة، و الحقد و الحسد ...؟!.

إعلان المشركين أن كفرهم كبر و عناد:

لما قامت الحجة على المشركين، و أسقطوا فى أيديهم، و رأوا أنه لم ينفعهم كذبهم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و محاولة تشويه دعوته، قالوا: إننا لا نعارض فى أمر النبوّة و الرسالة، و لا فى أمر القرآن و الإعجاز، و إنما نعارض أن يكون المرسل محمد بن عبد اللّه، و لو كان من عظماء مكة، كالوليد بن المغيرة، أو عظماء الطائف كمسعود بن عمر الثقفى لآمنا به، وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ.

و بهذا الذى ذكرناه يتبيّن لنا أن عدم إيمان المشركين بمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم، لم يكن لعدم صلاحية ما جاء به من المعجزة الدالة على نبوته، و إنما كان جحودا و عنادا، مع تسليمهم أن ما جاء به الحق، و أنه ليس من صنع البشر.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۵۱

و لذلك قال تعالى مسليا لنبيه عليه الصلاة و السلام، و كاشفا لحقيقة القوم: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ، فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ، وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ.

و قال تعالى: وَ جَحَدُوا بِها، وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا.

و قال: وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ.

إذن فليست المسألة مسألة حق و باطل، و إنما هى مسألة جحود و عناد.

و الذى يهمنا نحن هنا فى ظاهرة الإعجاز هو اعتراف الجميع بأن هذا القرآن ليس من صنع البشر، و إنما هو من عند اللّه.

و ما علينا بعد ذلك آمن الناس أم كفروا، فلا يضر الحق قلة المؤيدين، كما لا يفيد الباطل كثرتهم.

فالحقائق لا تتغير بكثرة الأتباع و قلتهم.

على أنه- و مما لا شك فيه- أن الذين جحدوا و لم يؤمنوا، لا يشكلون أية نسبة أمام الذين دخلوا فى دين اللّه، و آمنوا بمعجزته، و لا سيما أن الجميع قد اعترفوا بإعجاز القرآن، و على رءوسهم بلغاء العرب و فصحاؤهم، من الشعراء، و الخطباء، و الحكماء.

الدليل على عدم وقوع معارضة القرآن:

اشارة

و الآن، و بعد أن أثبتنا إعجاز القرآن لبلغاء العرب عن التحدّى، يمكن أن يتساءل أهل العصر و يقولوا: إنك أثبت إعجاز القرآن

بالتحدّی و عدم إمکان المعارضة.

أما التحدّی فهو مسلم، و ما زال قائما.

و أما عدم إمکان المعارضة فلا- فما هو الدلیل علیه؟ أ لیس من الجائز أن یکون القرآن قد تحدّی، و بطلت المعجزة، إلّا أن هذا التحدّی لم ینقل إلینا، بل کتمه المسلمون عصبیة ..؟.

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۵۲

فما الدلیل علی عدم وقوع المعارضة ..؟.

إنه سؤال یطرح لأحد أمرین، و من قبل رجلین، فهو إما أن یطرح من قبل جاحد للتشکیک، و هذا منهج معروف، و إما أن یطرح من قبل جاهل للاستفهام، و علی کلا الحالین فلا بد من الجواب، و أظن أنه السؤال یجیب عن نفسه بنفسه، و ذلک لما یلی:

التحدی لم یکن خاصا بالعرب بل کان شاملا لجمیع الأمم، فی کل زمان و مکان، و لکل جیل من الأجیال، ممن یصل إلی سمعهم ذلک الکتاب، من العرب و العجم، و الإنس و الجن، کما کان تحدیا للمشرکین، و الیهود، و النصاری، و المجوس، و کل ذی شرعة أو منهاج.

قال تعالی: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً.

و قال تعالی: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَیاتٍ، وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ.

و قال جلّ ذکره: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ، قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ.

و قال تعالی: وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَ ادْعُوا شُهَداءَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ.

فإننا نری فی هذه الآیات أن التحدّی لم یکن للعرب فقط، و إنما کان لکل من فی الأرض، ممن یبلغه هذا الکتاب ..

و قد کرّر اللّه هذا المعنی فی کل آیة من آیات التحدّی، لیرسخ فی النفوس، و یستقر فی القلوب، و لیکون البرهان أوضح، و الحجة أبلغ، لیعلم کل إنسان، فی کل زمان و مکان، أن هذا الکتاب برهان ساطع، و دلیل قاطع علی أنه من عند اللّه، و لیس من قبل البشر.

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۵۳

التحدی لیس مقصورا علی اللغة:

و یضاف إلی هذا الذی ذکرناه، أن التحدّی لم یکن فی أن یأتی العرب بنظم کنظم القرآن، فی البلاغة و الفصاحة، و الدقة و الجمال فقط، بل کان فی کل جانب من الجوانب التی خاض فیها القرآن، من الأحکام، و الحلال و الحرام، و الأخبار عن المغیبات، و الخوض فی العلوم، و الدقة المتناهیة فی کل سور القرآن، إذ أن اللّه وصفه بأنه لا یَأْتِیهِ الْباطِلُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ و أن الفرق بینه و بین ما یعمله البشر، أنه لا یوجد فیه اختلاف کما یوجد فی ما یصنعه البشر، وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً.

فالتحدّی لم یکن قاصرا علی جانب اللغة فقط، لأن هذا خاص بالعرب، و من أتقن العربیة من غیرهم، بل کان عاما لکل جانب من جوانب القرآن، لأنه کان تحدّیا لکل من فی الأرض، من کل الأمم، من عرب و غیرهم، و لذلک کان و من البدیهی أن یتظاهر کل من فی الأرض، ممن یخالف الدین الجدید، علی أن یعمل عقله، و یبذل جهده، و یستنفد طاقته، من أجل إبطاله، بإظهار العجز و التناقض فیه، أو بمعارضته، أو بتکذیبه فی إخباره، أو غیر ذلک من وجوه المعارضة و التحدّی.

استنفار کل من تحد للمعارضة:

و لذلک استنفر کل من بلغهم هذا الکتاب- من المشرکین، و الیهود، و النصاری، و غیرهم- استنفروا کل طاقاتهم و إمکانیاتهم من أجل هذا الأمر، و أخذوا یرمون القرآن بکل وصف یمکن أن ینفر الناس منه.

فقالوا: لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا، إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ «۱».

و قالوا: ما هذا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرىً، وَ ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ «۲».

---

(۱) سورة الأنفال: آية ۳۱.

(۲) سورة القصص: آية ۳۶.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۵۴

و قالوا: يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ «۱».

و قالوا: أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ «۲».

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَراهُ، وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ، فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً، وَ قالُوا: أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا «۳».

و قالَ الظَّالِمُونَ: إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً «۴».

إلى آيات كثيرة حكاها اللّه عنهم، تزيد من أمر التحدّى، و تدل على حيرتهم و اضطرابهم أمام القرآن.

فإنهم ما فزعوا إلى ما فزعوا إليه من هذه الأقوال الباطلة المتناقضة، إلّا لعجزهم عن معارضته و الإتيان بمثله، و لتنفير الناس منه، و إبعادهم عنه.

و لو تمكّنوا من معارضة القرآن، لما كانوا بحاجة إلى مثل هذه الأقوال، و لكفتهم المعارضة فى إبطال المعجزة عن مثل هذه التهم التى هذوا بها، لا لتدل على بطلان المعجزة، بل لتدل على عجزهم و انهيارهم.

محاولة المشركين فى المعارضة:

لم يقف المشركون عند هذا الحد من الهذيان فى التهم الباطلة، بل حاولوا المعارضة و إبطال المعجزة بإيجاد التناقض فى القرآن.

فلما نزل قوله تعالى: إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ «۵» شق ذلك على كفار قريش، و قالوا: شتم آلهتنا، و لجئوا إلى ابن الزّبعرى، و كان من أشد الناس على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قبل أن يسلم، و كان من أشعر

---

(۱) سورة الحجر: آية ۶.

(۲) سورة الصافات: آى ۳۶.

(۳) سورة الفرقان: آية ۴، ۵.

(۴) سورة الفرقان: آية ۸.

(۵) سورة الأنبياء: آية ۹۸.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۵۵

الناس و أطبعهم، و يقولون: إنه أشعر قريش قاطبة «۱».

فقال ابن الزّبعرى: و اللّه لأخصمنّ محمدا، ثم أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال له: «أ لست تزعم أن عيسى عبد صالح، و أن الملائكة صالحون؟»، قال: «بلى»، قال: فهذه النصارى تعبد عيسى، و هذه اليهود تعبد عزيزا، و هذه بنو مليح تعبد الملائكة؟».

فضج أهل مكة، و فرحوا ظنا منهم أنه أحرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و أبطل معجزته.

و ذلك أن القرآن يثنى على أولئك العباد الصالحين، من عيسى و عزير و الملائكة، ثم بعد ذلك يقول: إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ- أى العابد و المعبود- فى النار، و عيسى، و عزير، و الملائكة، قد عبدوا، إذن فهم فى جهنم مع من عبدهم، و هذا فيما يزعمون تناقض فى القرآن، و لذلك فرحوا به، و ظن ابن الزبعرى أنه قد خصم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

و عند ذلك نزل قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ «۲»، «۳»، فبيّن أن أمثال هؤلاء الصالحين ليس داخلا فى عموم الآية السابقة، لأنهم لم يعبدوا برضاهم، و لا تناقض فى كتاب اللّه، فبهت ابن الزبعرى و المشركون، إذ تبيّن لهم فشل محاولتهم.

و ما فعله المشركون قد فعل مثله اليهود، لأن التحدّى شامل لهم، و هم أحرص من غيرهم على إبطال المعجزة على ما ستراه.

محاولة اليهود فى المعارضة:

لم تقتصر محاولة المعارضة و إظهار التناقض فى القرآن على المشركين، بل

---

(۱) شرح أبيات المفتى البغدادى ۴/ ۲۵۶.

(۲) سورة الأنبياء: آية ۱۰۱.

(۳) الدر المنثور ۴/ ۳۳۸، و القرطبى ۱۱/ ۳۴۳.

تعدتهم إلى اليهود، و ذلك لما كان من التحدّى العام لجميع من فى الأرض.

فعند ما نزل قوله تعالى: فِيهِما فاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ «۱» جاء ناس من اليهود إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ليحرجوه، فقالوا: يا محمد ..! أ فى الجنة فاكهة ..؟.

قال: نعم فيها فاكهة و نخل و رمان.

قالوا: أ فيأكلون كما يأكلون فى الدنيا؟.

قال: نعم، و أضعافه.

قالوا: أ فيقضون حوائجهم؟.

قالا: لا، و لكنهم يعرقون و يرشحون «۲».

و فى بعض الروايات أنهم قالوا: من يأكل تكون له الحاجة، فكيف يقضون حوائجهم ..؟.

فقال: مسك يرشح من جنوبهم.

فهم أرادوا بسؤالهم هذا إثبات التناقض بزعمهم، و ذلك أن الآكل يريد قضاء الحاجة، و قضاء الحاجة من المستقبحات التى تتنافى مع نعيم الجنة، فكيف يتفق نعيم الجنة مع هذا؟.

فكان الجواب الحكيم أنه يصير عرقا كالمسك يفيض من جنوبهم.

استعانة المشركين باليهود على المعارضة:

لم يقف الأمر عند فشل محاولة المشركين، و محاولة اليهود، بل تعداه إلى طور آخر، و هو استعانة المشركين بغيرهم من اليهود و النصارى، ليكون بعضهم ظهيرا لبعض، ليتحقق التحدّى فى قوله تعالى: وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً، فطلبوا منهم أن يكتبوا لهم بأشياء، يسألون عنها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، عسى أن يحرجوه فى جوابها.

---

(۱) سورة الرحمن: آية.

(۲) الدر المنثور ۶/ ۱۵۰.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۵۷

فكتب إليهم اليهود أن يسألوه عن أمر أصحاب الكهف، و ذى القرنين، و الروح. «۱»

فلما أتى ذلك قريشا أتى الظفر فى أنفسها، فقالوا: يا محمد قد رغبت عن ديننا و دين آبائك، فحدثنا عن أمر أصحاب الكهف، و ذى القرنين، و الروح، فقال ائتونى غدا، و لم يستثن- أى لم يقل إن شاء اللّه- فمكث عنه جبريل ما شاء اللّه لا يأتيه، ثم أتاه، فقال: سألونى عن أشياء لم يكن عندى بها علم فأجيب، حتى شق ذلك على، فنزل ما ذكر من أصحاب الكهف، و ذى القرنين، و يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى، وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا «۲».

استعانة المشركين بالنصارى:

و كما استعان المشركون باليهود، حاولوا أن يستعينوا بالنصارى على الإسلام و المسلمين و إبطال الدعوة و المعجزة، فعند ما هاجر المسلمون الهجرة الأولى إلى الحبشة، فرارا بدينهم من الفتن، أرسل المشركون خلفهم و فدا منهم، يحمل معه الهدايا و التحف للنجاشى و بطارقته.

و بعد مفاوضات فاشلة معه، ليردّ المسلمين إلى مكة، قال عمرو بن العاص- و كان رئيس الوفد- و اللّه لآتينه غدا بما أستأصل به خضراءهم، و اللّه لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد!.

ثم غدا عليه من الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

فأرسل إليهم الملك ليسألهم، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما ذا تقولون فى عيسى بن مريم؟.

---

(۱) الدر المنثور ۴/ ۲۱۷ بالمعنى.

(۲) سيرة ابن هشام، و مختصر السيرة ص ۷۶.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۵۸

فقال جعفر بن أبى طالب: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلّى اللّه عليه و سلّم، يقول: هو عبد اللّه و رسوله و روحه، و كلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فأغضب هذا الكلام البطارقة الذين كانوا حول النجاشى، و نخروا نخرة رجل واحد، و كادت تقع الكارثة.

إلا أن النجاشى ضرب بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودا ثم قال: و اللّه ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود.

وجه الاستدلال على عدم المعارضة بما ذكرناه:

فهذا غيض من فيض، و قليل من كثير، من المحاولات التى لا سبيل إلى حصرها، و التى كانت تهدف إلى إيجاد التناقض أو الخلل فى القرآن، و إحراج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، لإبطال دعوته، من المشركين على حدة، و اليهود على حدة، و النصارى على حدة، و من المشركين و اليهود، أو المشركين و النصارى معا.

محاولات يائسة، و أوهام باطلة، كلها تهدف إلى التشكيك فى أمر القرآن و الدين الجديد.

فلو كان القرآن قد عورض من قبل فصحاء العرب، لشاع هذا الأمر و ذاع، و ملأ الفيافى و البقاع، و لقال كل مشرك، و كل يهودى، و كل نصرانى، و كل معارض لهذا الدين: إن معجزة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم قد بطلت، و قد أتى العرب بكلام هو أفصح من

القرآن و أبلغ، و هذا يدل على بطلان دينه.

لأن هذا من أهم الأمور التى تتوفر الدواعى على نقلها و إشاعتها، بل يتهافت الناس عليها تهافت الفراش على النار، و من المستحيل كتمانها.

و إذا كان المشركون يفرحون بالأمور التافهة، التى ذكرنا بعض أمثلتها، و التى كانوا يظنون أنها سوف توجد التناقض أو الخلل فى القرآن، و يشيعونها و يذيعونها، فكيف يكون حالهم لو أن القرآن عورض حقا.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۵۹

إنه لأمر- لو وقع- يستدعى من أعداء الدين و المتربصين أن يجعلوا منه تاريخا وعيدا.

فكونه لم ينقل إلينا عن واحد من المشركين، أو اليهود، أو النصارى، أو غيرهم من أعداء الدين، على كثرتهم، و اهتمامهم بالأمر، و توفر دواعيهم على إشاعته و نقله، كونه لم ينقل عن واحد منهم أنه قد وقعت المعارضة، يدلنا دلالة قاطعة لا تردد فيها أن القرآن لم يعارض، و لو عورض لنقلت إلينا معارضته، و لملأ المشركون بها الدنيا، و لما كان هناك من سبيل لكتمانها، علما بأن القرآن كان يقرع أسماعهم صباح مساء بآيات التحدّى تتلى على رءوس الأشهاد.

و مما اتفق عليه العقلاء أن الأمر إذا كان مما تتوفر الدواعى على نقله و إشاعته، كهذا الأمر الخطير، ثم لم ينقل إلينا إلّا من قبل رجل واحد، أو آحادا، فإننا نقطع بكذبه، فكيف يكون الحال فيما إذا لم ينقله إلينا أحد ...؟؟.

إنه يدل على عدم وقوعه دلالة قاطعة، و هذا شأن معارضة القرآن التى لم ينقلها إلينا أحد مع توفر الدواعى على نقلها لو وقعت، و لا سيما و التحدّى قائم على مر العصور و كر الدهور، يطلب المعارضة، و يعلن عجزهم عنها قبل أن يفعلوها، و يهددهم بوخيم العقاب، و أليم العذاب فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ مما يثير حفيظتهم، و يبعث هممهم على فعلها، فكونها رغم كل هذا لم ينقل إلينا أنها فعلت، يدل دلالة قاطعة على عدم وقوعها. المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى ۵۹ استدلال آخر على فشل المشركين فى المعارضة: ..... ص : ۵۹

استدلال آخر على فشل المشركين فى المعارضة:

قد عرفنا فى الأمثلة السابقة ما بذله المشركون لإبطال المعجزة، فلو حدث أن عورضت، لشاع و ذاع، و اشتهر و انتشر، فكونه لم ينقله إلينا أحد، رغم توفر الدواعى على نقله، يدل دلالة قاطعة على عدم وقوعه.

و لا سيما أن المشركين قطعوا الأرحام، و أراقوا الدماء، و هجروا المؤمنين

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۶۰

و هجّروهم، و شنوا عليهم الحروب و الغارات، من أجل القضاء عليهم، و لو كان بإمكانهم أن يبطلوا نبوة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم بدون هذا، عن طريق معارضة المعجزة، لما لجئوا إليه، فإن الإنسان لا يلجأ إلى الحرب، التى ربما استأصلت شأفته، و أبادت قومه، إلّا عند ما يعجز عن غيرها من الوسائل التى هى أبسط منها و أيسر.

قال الإمام أبو بكر الباقلانى: «و قد علم منهم أنهم ناصبوه الحرب، و جاهدوه و نابذوه، و قطعوا الأرحام، و أخطروا بأنفسهم، و طالبوه بالآيات، و الإتيان بالملائكة، و غير ذلك من المعجزات، يريدون تعجيزه، ليظهروا عليه بوجه من الوجوه.

فكيف يجوز أن يقدروا على معارضته القريبة السهلة عليهم- و ذلك يدحض حجته، و يفسد دلالته، و يبطل أمره- فيعدلون عن ذلك، إلى سائر ما صاروا إليه من الأمور، التى ليس عليها مزيد من المنابذة و المعاداة، و يتركون الأمر الخفيف ..؟!.

هذا مما يمتنع وقوعه فى العادات، و لا يجوز اتفاقه من العقلاء» «۱».

بعض المحاولات اليائسة فى المعارضة

اشارة

إلّا أننا رغم هذا لم نعدم بعض السفهاء المشعوذين الذين تفوهوا ببعض الكلمات، زاعمين أنها معارضة للقرآن، إلّا أنها كانت الدليل على عجزهم و سخفهم، و البرهان على إعجاز القرآن و عظمته، و ذلك كمسيلمة.

محاولة مسيلمة الكذاب:

لقد زعم مسيلمة أنه أوحى إليه قرآن كقرآن محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، فأتى بسقط من القول يدل على جهله و سخفه، و ضعف عقله و رأيه، مما أصبح نادرة يتندر بها أهل المجالس، و أنموذجا للهزء و السخرية على مدى التاريخ.

---

(۱) إعجاز القرآن للباقلانى ص ۲۲.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۶۱

ما سمعه إنسان إلّا و حمد اللّه على ما أنعم عليه من العقل و الفهم.

فمما كان يزعم أنه أنزل عليه من السماء «و الليل الأطخم، و الذئب الأدلم، و الجذع الأزلم، ما انتهكت أسيد من محرم».

و قال:

«و الليل الدامس، و الذئب الهامس، ما قطعت أسيد من رطب و لا يابس».

و قال:

«و الشاء و ألوانها، و أعجابها السود و ألبانها، و الشاة السوداء، و اللبن الأبيض، إنه لعجب محض، و قد حرم المذق، فما لكم لا تجتمعون».

و قال:

«ضفدع بنت ضفدعين، نقى ما تنقين، أعلاك فى الماء، و أسفلك فى الطين، لا الشارب تمنعين، و لا الماء تكدرين، لنا نصف الأرض، و لقريش نصفها، و لكن قريشا قوم يعتدون».

و قال:

«و المبديات زرعا، و الحاصدات حصدا، و الذاريات قمحا، و الطاحنات طحنا، و الخابزات خبزا، و الثاردات ثردا، و اللاقمات لقما، إهالة و سمنا، لقد فضلتم على أهل الوبر، و ما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، و المعترّ فآووه، و الباغى فناوئوه».

و قالت سجاح بنت الحارث بن عقبان، و كانت تتنبأ كمسيلمة، فاجتمعت به، فقالت: ما أوحى إليك؟

فقال: «أ لم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشا».

قالت: فما بعد ذلك؟

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۶۲

قال: «إن اللّه خلق النساء أفواجا، و جعل الرجال لهن أزواجا، فينتجن لنا سخالا إنتاجا».

فقالت: أشهد أنك نبى «۱».

إلى آخر ما نقل عن مسيلمة من مثل هذا الهزء، مما لا داعى للإطالة به، و مما يدل على فساده بنفسه.

و لذلك لم يشتغل الناس به، و لم يلتفتوا إليه.

أين هذا الكلام من كلام اللّه الذى يكشف أسرار الكون، و يزيل ألغاز الحياة، و يضع للإنسان أعظم المبادى التى تضمن له السعادة و الطمأنينة و الاستقرار، بأسلوب سبى العقول، و أثر فى القلوب، و أذهل فحول الشعراء و البلغاء و العظماء ..؟!.

و لذلك روى أن أبا بكر الصديق رضى اللّه عنه سأل أقواما قدموا عليه من بنى حنيفة، سألهم عما يقوله مسيلمة، فحكوا له بعض ما ذكرناه عنه فى الأسطر السابقة، فقال رضى اللّه عنه: سبحان اللّه، و يحكم إن هذا الكلام لم يخرج عن إلّ، فأين كان يذهب بكم؟.

يريد بذلك أنه لم يخرج عن ربوبية.

لقد أدرك- رضى اللّه عنه- بسليقته العربية، كما يدرك كل متذوق للغة، أدرك أن هذا الكلام لا يمكن أن يخرج عن الربوبية، لما فيه من الركة و السخف، و العجز و الضعف ..

أو يقال بعد هذا: إن القرآن عورض ..؟ اللهم لا ..

إلا أنه قد يقال: هب أن العرب قد عجزوا عن معارضة القرآن، أو ليس من الممكن أن يكون غير العرب من الأمم الأخرى قد عارضوه، و لا سيّما أنه لم يقصر التحدّى على العرب فقط، بل كان شاملا لجميع من فى الأرض؟.

---

(۱) إعجاز القرآن للباقلانى ۱/ ۱۵۶.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۶۳

احتمال المعارضة من غير العرب و الرد على كتاب مانى و زرادشت

قد ذكرنا فى الفقرة الماضية احتمال إثارة سؤال حول إمكانية معارضة القرآن من غير العرب، من الأمم الأخرى، التى تحداها القرآن أيضا، إذ لم يكن الخطاب موجها للعرب فقط، و إنما كان موجها لكل من فى الأرض من العرب و العجم، و الإنس و الجن.

و الجواب على هذا: هو ما ذكرناه من عدم النقل إلينا، مع توفر الدواعى، و ذلك أن الاهتمام بإبطال النبوّة لم يكن من قبل العرب فقط، بل من قبلهم و قبل غيرهم، كما رأينا فى الفقرات الماضية، و مع هذا لم ينقل إلينا عن واحد من أهل الأرض، لا من العرب، و لا من غيرهم أنهم عارضوه، و لو عورض لنقل، على ما ذكرناه سابقا.

و ثانيا: إذا كان العرب و هم أهل اللسان، و فرسان البلاغة و البيان، قد عجزوا عن المعارضة، فلا شك أن غيرهم من الأمم الأخرى التى لا تعرف اللسان العربى، لا شك أنها تكون أعجز.

قال الإمام الباقلانى: فإن قيل: إن المجوس تزعم أن كتاب زرادشت و كتاب مانى معجزات ..؟.

قيل: الذى يتضمنه كتاب مانى من طرق السحر، و ضروب الشعوذة، لا يقع فيها إعجاز، و يزعمون أن فى الكتاب الحكم، و هى حكم منقولة، متداولة على الألسن، لا تختص بها أمة دون أمة، و إن كان بعضهم أكثر اهتماما بها، و تحصيلا لها، و جمعا لأبوابها.

دعوى معارضة ابن المقفع

قال الباقلانى: و قد ادّعى قوم أن ابن المقفع عارض القرآن، ثم قال:

و ليس يوجد له كتاب يدّعى مدع أنه عارض فيه القرآن، بل يزعمون أنه اشتغل بذلك مدة، ثم فرق ما جمع و استحيا لنفسه من إظهاره، فإن كان كذلك، فقد

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۶۴

أصاب و أبصر القصد، و لا يمتنع أن يشتبه عليه الحال فى الابتداء، ثم يلوح له رشده، و يتبيّن له أمره، و ينشكف له عجزه.

دعوى المعارضة فى أهل الأعصار التالية للعصر الأول

قال الباقلانى: فإن قال قائل: قد يجوز أن يكون أهل عصر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قد عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن، و إن كان من بعدهم من أهل الأعصار لم يعجزوا.

قيل: هذا سؤال معروف، و قد أجيب عنه بوجوه.

منها: أنا إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله، فمن بعدهم أعجز.

لأن فصاحة أولئك فى وجوه ما كانوا يتفننون فيه من القول، مما لا يزيد عليه فصاحة من بعدهم، و أحسن أحوالهم أن يقاربوهم أو يساووهم، فأما أن يتقدموهم أو يسبقوهم، فلا.

و منها: أنا قد علمنا عجز سائر أهل الأعصار كعلمنا بعجز أهل العصر الأول.

و الطريق فى العلم بكل واحد من الأمرين طريق واحد، لأن التحدّى فى الكل على جهة واحدة، و التنافس فى الطباع على حد واحد، و كذلك قال اللّه تبارك و تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «۱» (سورة الإسراء: آية ۸۸).

لما ذا لا ندرک إعجاز القرآن فى هذا العصر

اشارة

بقى عندنا سؤال مهم، يتردد على ذهن كل إنسان من أبناء العصر، ألا- و هو، ما دام القرآن معجزا بلغته و أسلوبه، يسبى العقول، و يملک القلوب،

---

(۱) إعجاز القرآن ص ۲۵۰.

و يؤثر فى النفوس، و يملى على كل إنسان إعجازه، ليعترف كل من سمعه أنه ليس من صنع البشر، و إنما هو كلام اللّه، ما دام القرآن كذلک، لما ذا لا ندرک نحن أهل هذا العصر إعجازه ..، و لما ذا لا نجد أثر فصاحته و بلاغته فى قلوبنا كما وجدها أهل العصر الأول، بل ربما لا يفرق الواحد منا بين كلام اللّه و كلام كثير من الناس، و ربما أعرض عن سماعه أو تلاوته ..؟.

إنه لكلام حق، و أمر واقع، لم يعد أكثر الناس فى عصرنا يدركون وجه الإعجاز فى القرآن، و لم يعودوا يرون فيه ما رآه سلف هذه الأمة و أولها، و لا يكاد يميّز قارئ القرآن اليوم بينه و بين غيره من أساليب الكلام، بل ربما تأثر بغير القرآن أكثر من تأثره بالقرآن.

و لكن .. ليس السبب فى هذا هو عدم وجود الإعجاز فى كتاب اللّه، فكتاب اللّه ما زال هو الكتاب المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و لقد تكفل اللّه بحفظه و بقائه إلى يوم القيامة إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ.

و لكن السبب فى ذلک هو جهلنا بلغتنا العربية، لغة القرآن، التى لم نعد نعرف منها القليل و لا الكثير، و إن كنا نسمى عربا، و ننطق العامية العربية.

و إذا جهل الإنسان هذه اللغة، فإنه لن يستطيع أن ينطق بها، علاوة عن أن يفهمها و يتذوقها.

و لذلک نجد معظم أهل العصر لا يستطيعون أن يتكلموا العربية دون أن يلحنوا بها، و من كان هذا شأنه، فإنه من المحال عليه أن يدرک إعجاز القرآن أو يضع يده على بلاغته.

إن العربى المعاصر اليوم ليس فقط لا- يستطيع أن يدرک إعجاز القرآن، بل إنه لعاجز أن يفهم الكثير من تراكيب العربية بصورها

البيانية و البلاغية، و لو قرأنا عليه شيئا من الشعر الذى سجد لمثله الفرزدق، لما كان منه إلّا النفار و الإعراض، لا لأن الشعر ليس جميلا، و لكن لأنه ليس فى مقدوره فهم ذلك الشعر.

۵ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۶۶

و من كان بهذا الوصف لا يجوز له أن يقول: لما ذا لا أدرك إعجاز القرآن ..؟ و من ثم فليس فى القرآن إعجاز.

إن الأعمى الذى لا يبصر الضياء أو الألوان، لا يجوز له أن يقول: ما دمت لا أرى الضياء و الألوان فلا ضياء و لا ألوان.

و ما مثل من يقول مثل هذا إلّا كما قال المتنبى:

و كم من عاتب قولا صحيحاو آفته من الفهم السقيم إن العيب ليس فى بلاغة القرآن، و إنما هو فى جهلنا بلغة القرآن، و من ثم فلن يضير القرآن جهلنا.

و من يك ذا فم مر مريريجد مرا به الماء الزلالا- على أن من درس هذه اللغة، و تعمّق فيها، يستطيع أن يضع يده، فى كل زمان و مكان، على كثير من وجوه الإعجاز اللغوى فى القرآن.

هل معنى هذا أن أهل العصر فقدوا إعجاز القرآن

بناء على ما ذكرناه، من أن أهل العصر الحاضر قد عجزوا عن تذوق و فهم و إدراك الإعجاز فى القرآن، لجهلهم بلغة القرآن .. فهل معنى هذا أنهم أصبحوا اليوم بدون وسيلة يعرفون بها إعجاز القرآن ..؟؟.

إذن فمعجزة نبينا كمعجزة غيره من الأنبياء؟.

أم أنه توجد فى القرآن وجوه أخرى من الإعجاز، نتمكن من خلالها من الوقوف على أنه من عند اللّه، و ليس من عند البشر؟ فإذا ما فاتنا الإعجاز اللغوى فلن يفوتنا و الحالة هذه تلك الوجوه الأخرى من الإعجاز؟.

و الجواب ... بلى .. إن فى القرآن لوجوها كثيرة من الإعجاز سوى الإعجاز اللغوى، كل واحد منها يدل على أنه من عند اللّه، و يستطيع أهل العصر، كأهل العصر الأول، و أهل العصور القادمة، يستطيعون أن يدركوها

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۶۷

إدراكا بيّنا، بحيث يستدلون من خلالها على إعجازه، ليكون القرآن المعجزة الناطقة لكل إنسان، فى كل زمان و مكان، مهما تطاولت الأيام، و تطورت العلوم، و ارتقت الحضارة، و تباينت الشعوب و الأمم.

الفرق بين معجزة نبينا عليه السلام و معجزة غيره من الأنبياء

إن ما ذكرناه من وجوه الإعجاز الكثيرة الموجودة فى القرآن، سوى الإعجاز اللغوى، مما سنذكره قريبا بالتفصيل، إن هذا هو الفرق الجوهرى بين معجزة نبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، و معجزة غيره من الأنبياء السابقين.

فقد كانت معجزة الأنبياء السابقين معجزة مؤقتة، باقية ببقاء النبى أو الرسول، فإذا ما مات، انقضى عهد معجزته، و لم يبق منها إلّا تاريخها و وصفها.

و ذلك لأنها معجزة مادية، لا تظهر إلّا على يد النبى أو الرسول، و بناء على ذلك لا يستطيع أهل العصر الثانى مشاهدتها، و لا يبقى لديهم إلا- تاريخها و وصفها، و هذا ليس له من الأثر فى النفس ما للمعجزة نفسها، و لذلك يضعف تأثيره فى النفوس مع تطاول الأزمان، و لا سيما إذا صحبها الاضطراب فى النقل، كما وقع للأنبياء السابقين فى الأمم الخالية.

و على افتراض أنه نقل نقلا متواترا لا خلاف فيه، و يدل على وجود المعجزة دلالة يقينية، فإنه لا يفيد شيئا، لأن المستدل عليه بهذه

المعجزة، و هو الدين، قد بدّل و غيّر و حرّف.

و على افتراض عدم التحريف، فإن الرسالات السابقة كانت خاصة بأمم معينة، كما كانت مؤقتة بزمان معين.

و أما رسالتنا الإسلامية فهى رسالة خالدة على الأزمان إلى يوم القيامة، و عامة لجميع بنى الإنسان، من كل أمة، و فى كل مكان، وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ.

و لذلك كان من الضرورى أن تكون هناك وسيلة تدل أهل كل جيل على

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۶۸

صدق هذه الرسالة، و تعتبر معجزة لكل من نظر فيه، و تكون باقية ببقائه.

من أجل هذا وجدت وجوه كثيرة من الإعجاز، إذا فات أهل العصر بعضها، لسبب من الأسباب، فلن يفوتهم بعضها الآخر.

و هذه الوجوه لا يمكن التحكم بحصرها، لأنها خاضعة لدقة النظر فى كتاب اللّه، و اختلاف الأشخاص، و الأحوال، و العلوم، و المكتشفات، فربما اكتشف أهل الأجيال القادمة، بما يتوصلون إليه من العلوم و المكتشفات، ربما وضعوا أيدهم على وجوه جديدة من الإعجاز، لم يستطع أهل جيلنا، و لا أهل الأجيال السابقة معرفتها، أو وضع أيديهم عليها.

و هذا فى رأيى نوع من أعظم أنواع الإعجاز فى القرآن الكريم، الذى لا تفنى غرائبه، و لا تنتهى عجائبه، كما سأشير إليه فى الفقرات القادمة إن شاء اللّه.

قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «ما من الأنبياء نبى إلّا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، و إنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه اللّه إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» «۱».

فهذا الوحى هو معجزة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم التى آمن عليها الناس فى الصدر الأول، و قد تكفل اللّه بحفظها إلى يوم القيامة: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ، وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ حتى تراها الأجيال التى جاءت بعد الجيل الأول إلى يوم القيامة، و ترى فيها ما يدل على صدق الرسول و الرسالة، و من ثم يؤمن عليها.

فهى معجزة خالدة خلود الزمان، يجد فيها أهل كل جيل من الإعجاز ما يدل على صدق الرسول و الرسالة، ليؤمنوا باللّه عن بينة حية ماثلة بين أيديهم، لا عن أمر نظرى تاريخى قابل لكثير من أنواع الاحتمال.

و هذا هو السر فى دخول الآلاف المؤلفة من الناس فى الإسلام، على مر

---

(۱) البخارى ۶۶، كتاب فضائل القرآن باب كيف نزول الوحى، و مسلم ۱/ ۹۱- ۹۲.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۶۹

التاريخ الإسلامى الطويل، و فى أيامنا المعاصرة، من العامة و العلماء، و من جميع الأمم و النحل و المبادى.

فإنه ما من عالم منصف ينظر فى القرآن نظرة تأمل و إنصاف، إلا و يجد فيه من الآيات الناطقة ما يدل على أنه من عند اللّه، مما يفرض عليه أن يحنى رأسه مهما كان شامخا، و أن يعلن استسلامه مهما كان معاندا جبارا، و أن يدخل فى دين اللّه عن رضى و قناعة.

إنه الإعجاز الحى الناطق، لكل زمان و مكان، و الذى لا يموت و لا يبلى، و لا تزيده الأيام إلّا شدة و قوة، و ظهورا و وضوحا.

وجوه الاعجاز فى القرآن الكريم

اشارة

إن وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم- سوى الإعجاز اللغوى- كثيرة و متعددة، و كما ذكرت فى الفقرة السابقة لا يستطيع الإنسان

حصرها فى جانب أو عدد معين بحيث لا يمكن الخروج عنه، و ذلك لأن الواقع علمنا أن هذا غير ممكن، لما نجده كل يوم من الوجوه الجديدة فى الإعجاز، مما كان خافيا على أهل العصر السابق، و مما عرفنا اليوم بتقدم العلوم، و تطور الحضارات.

و كما ذكرت قبل قليل هذا نوع من أهم أنواع الإعجاز فى القرآن، إذ أن من أعظم ما يلفت النظر عند الإنسان المنصف ما يجده من الآيات المعجزات التى تتماشى مع أعظم ما وصل إليه الإنسان من تطور و علم و حضارة.

إلّا أنه رغم هذا يمكننا أن نحصر أهم وجوه الإعجاز التى تكلم عنها العلماء قديما و حديثا بما يلى:

أولا: وجوه الإعجاز التى لا تخفى على أحد فى أى عصر من العصور

اشارة

أو أى مكان من الأمكنة، و إن كان الناس يتفاوتون فى مدى إدراكها بسبب تفاوت معارفهم و حضاراتهم، و تتلخص فى وجهين مهمين هما:

۱- الإعجاز الغيبى.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۷۰

۲- الإعجاز العلمى.

ثانيا: وجوه أخرى من الإعجاز

، أشار إليها العلماء قديما و حديثا، تتفاوت فى ظهورها و خفائها، و يتداخل بعضها فى بعض، و ربما كان وجه الإعجاز فى بعضها غير ظاهر، و لذلك فهى تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: وجوه يظهر فيها الإعجاز، و إن كان متفاوتا، بل ربما كان فى بعضها خفيا، و هى:

۱- التناسب فى جميع ما تضمنه القرآن ظاهرا و باطنا، بحيث خلا عن التعارض و التناقض.

و هذا من وجوه الإعجاز العظيمة فى القرآن، على ما سنبينه فى مكانه إن شاء اللّه.

۲- قوة تأثيره فى النفوس، بحيث جعلت كل من يسمعه يتأثر به، على ما ذكرناه من أحوال المشركين حينما كانوا يسمعون القرآن الكريم.

۳- أنه توجد فيه روحانية جديدة تدب فى جسد المؤمن، فتحركه تحريك الروح للأجساد، و تجعل منه إنسانا جديدا، بعقل جديد، و فهم جديد، و طاقة جديدة «۱».

۴- عدم ملال السمع له، مهما تكرر عليه، أو تردد أمامه «۲».

۵- هدايته للنفوس، و إيجاده للديانة الجديدة بقهر الديانة القديمة «۲».

القسم الثانى: وجوه من الإعجاز أشار إليها بعض العلماء، إلا أنها لا إعجاز فيها، فيما ظهر لى من الرأى و اللّه أعلم، و هى:

۱- احتواء القرآن على أساليب القرآن المنطقية.

---

(۱) و جدى ۷/ ۶۷۷ دائرة المعارف.

(۲) محاسن التأويل ۲/ ۷۷- ۷۹.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۷۱

۲- تضمنه علوم الحلال و الحرام و سائر الأحكام.

۳- احتواؤه على الحكم البالغة.

ثالثا: وجوه باطلة

، زعم أنها معجزة، و ليس الأمر كذلك قطعا، و ذلك كالإعجاز العددى الذى ادّعاه رشاد خليفة، على ما سنذكره و نبيّنه فى مكانه بالتفصيل، و ذلك بعد الانتهاء من الإعجاز العلمى، لعلاقة هذا النوع بالعلوم و المكتشفات الحديثة فيما زعم قائله.

رابعا: القول بالإعجاز عن طريق الصرفة

، و هو المنسوب إلى بعض المعتزلة.

و سنتكلم إن شاء اللّه على كل نوع من أنواع الإعجاز التى أشار إليها العلماء بالتفصيل، مع النقد و التأييد، و بيان وجه القوة فى كل منها، مع بيان ما يؤخذ عليها إن وجد.

ثم نعقب هذا كله ببيان رأينا فى موضوع الإعجاز.

و سنبدأ أولا و قبل كل شىء ببيان بعض الوجوه التى أشار إليها بعض العلماء على أنها معجزة، و هى لا إعجاز فيها.

و تقديم الكلام عليها إنما هو لقلتها و يسر موضوعها.

ثم نتكلم على الإعجاز بالصرفة، لكونه أيضا من الأباطيل فى موضوع الإعجاز.

ثم ننتقل إلى الكلام على الإعجاز الغيبى و الإعجاز العلمى، الذين اعتبرهما ذروة الإعجاز لكل أمة و زمان و مكان، بعد الإعجاز اللغوى الذى تحدى به العرب، و هما من أنواع الإعجاز التى لا تخفى على أحد.

و بعد ذلك نعرض إن شاء اللّه للإعجاز العددى الذى ادّعاه رشاد خليفة، و نبيّن وجه بطلانه و الكذب فيه، و هو و إن كان من الوجوه الباطلة التى كان يجب أن نقدمها الآن إلّا أننى سأضطر لتأخيره لما له من علاقة بالعلوم الحديثة

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۷۲

و الحاسب الآلى- الكمبيوتر- كما زعمه قائله، و سأذكره إن شاء اللّه بعد الانتهاء من الإعجاز العلمى.

و فى النهاية نذكر بعض وجوه الإعجاز التى أشرنا إليها مع بيان رأينا فى موضوع الإعجاز.

و أما الإعجاز اللغوى، فسأفرد له بحثا مستقلا إن شاء اللّه فى المستقبل مكتفيا هنا بما ذكرته من الوجهة النظرية، و ذلك لما للإعجاز اللغوى من الأهمية، و لما للبحث فيه من الدقة و التشعب، مما يحتاج معهما لبحث مستقل، و لا يمكن أبدا أن يكون الإعجاز اللغوى فصلا من كتاب، و اللّه الموفق.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۷۳

المبحث الأوّل فى بعض الوجوه التى لا إعجاز فيها

اشارة

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۷۵

ما لا إعجاز فيه

اشارة

قبل أن نخوض فى وجوه الإعجاز الرئيسية و الفرعية فى القرآن، أود أن أنبه إلى أنه قد ذكر كثير من العلماء وجوها من الإعجاز فى زعمهم، إلا أننا حينما ندقق النظر فيها، نجد أنها لا تعدو المزية و الفضيلة للقرآن على غيره من الكتب، إلّا أنها ليست من الإعجاز فى شىء.

فالمعجزة هى ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله و تحديه، على ما بيناه فى أولى فقرات هذا البحث.

فليس كل ما يكون فضيلة للقرآن يكون معجزة، و إلا فكلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم له فضيلة على غيره من الكلام لكنه ليس معجزا.

كما أن كلام كثير من الفصحاء و البلغاء و الحكماء جاهلية و إسلاما له فضل على غيره من الكلام، لكنه ليس بمعجز، و لم يزعم أحد من الناس أنه معجز.

و سنضرب على ذلك عددا من الأمثلة يتضح بها المقال، و يزول الإشكال.

۱- زعم بعضهم أن من وجوه الإعجاز احتواؤه على أساليب الكلام المنطقية.

و أنا لا أدرى ما وجه الإعجاز فى احتوائه على هذه الأساليب، مع أنها علوم مدونة عند اليونان و غيرهم، بل هى على الجملة من المعارف العامة عند أرباب العقول السليمة.

فكيف تكون من وجوه الإعجاز و هى مستعملة من قبل الكفرة قبل أن تستعمل من قبل المؤمنين ..؟.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۷۶

إلا إذا كان مراد القائل أن القرآن استعمل هذه الأساليب المنطقية بأسلوب بلاغى واضح، على خلاف العادة فى استعمال مثل هذه الأساليب، و عند ذلك نرد هذا النوع إلى النوع الأول من أنواع الإعجاز الرئيسية، ألا و هو الإعجاز اللغوى.

۲- تضمنه للحلال و الحرام:

فقد ذكر الإمام القرطبى فى مقدمة تفسيره «۱» أن من وجوه الإعجاز فى القرآن، ما تضمنه من العلم فى الحلال و الحرام، و فى سائر الأحكام.

و هذا أيضا لا إعجاز فيه، و ذلك لأن مسألة الأحكام، و الحلال و الحرام، ليست مما امتاز به القرآن، بل هى مما عرفته كل الأمم، قديما و حديثا، على تفاوت بينهم فى نوع الحلال و الحرام، و بغض النظر عن كون ما حللوه أو حرموه مستندا إلى شرع أو عقل، أو كانوا مصيبين فيه أم مخطئين.

فكل أمة، و كل أصحاب دين أو نحلة، يزعمون أن عندهم حراما و حلالا، ينبنى عليهما الثواب و العقاب، فى الدنيا عند الماديين، و الدنيا و الآخرة عند المتدينين.

و مسألة الحلال و الحرام فى القرآن مبنية على الإيمان باللّه، فالمؤمن يسلم بها، و الكافر ينكرها، و يزعم بطلانها.

و لكن المعجزة لا يمكن لإنسان ما أن ينكرها، فمن سمع اليوم شيئا من الإعجاز الغيبى فى القرآن، أو الإعجاز العلمى، لا بد له- مهما بلغ عناده فى الكفر- أن يقف، و يتردد فى مصدر القرآن، بل لا بد له أن يذعن فى نهاية المطاف أنه ليس من عند البشر، إذ لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثل هذا، كما سنشير إليه قريبا إن شاء اللّه.

علی أن مسألة الحلال و الحرام- قبل هذا کله- مبنیة علی الإیمان باللّه،

---

(۱). ۱/ ۷۵.

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۷۷

فمن آمن به قبلها، و من جحده کفر بها وردها، فلا یمکن أن یکون الإیمان باللّه متوقفا علیها.

فلا یمکن أن نقول لجاحد: إن تحریم الزنا، و إباحة النکاح، و حل البیع، و حرمة الربا، معجزة دالة علی صدق الرسول و وجود اللّه ...، لأنه هو أیضا یوجد عنده ممنوع و جائز و واجب، و هو من صنعه، و قد یوافقنا فی بعض التشریعات، و مع ذلک فما وجد فیها لا الإعجاز و لا غیره.

۳- احتواؤه علی الحکم:

و قد ذکر القرطبی أیضا أن من وجوه الإعجاز فی القرآن الکریم احتواؤه علی الحکم البالغة التی لم تجر العادة بأن تصدر فی کثرتها و شرفها من آدمی.

و هذا أیضا بعید من الإعجاز کل البعد، و هو أبعد من المثالین السابقین.

و ذلک لأن کتب الحکمة أیضا کانت قدیمة، عرفها العرب و غیرهم من الأمم.

أما العرب، فلا یخفی علی أحد ما کان عندهم من الحکمة التی انتشرت فی شعرهم و نثرهم، حتی بلغوا بها الذروة العلیا بین الأمم.

و أما غیر العرب، فقد فخر الهنود بکتاب «کلیلة و دمنة» الذی کان خاصا بملوکهم، لما فیه من الحکمة، ثم انتقل إلی الفرس، و صار مقصورا علی ملوک الهند و الفرس، إلی أن جاءهم قدر اللّه بالإسلام، و ترجم الکتاب، لیکون من المعارف العامة عند کل الناس، من مسلمین و غیرهم.

کما فخر الفرس بعهد أردشیر، الذی امتلأ بالحکمة، و ازدان بها، و لا أرید أن استطرد بسرد الکتب التی اشتملت علی الحکمة، فهی کثیرة، و لم نسمع أبدا أن أحدا قال: إن هذه الکتب معجزة، لاحتوائها علی ذلک القدر الکبیر من الحکمة.

بل لو جاء إنسان، و جمع کل الحکمة الموجودة فی الکتب السابقة، مع

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۷۸

الحکمة الموجودة فی القرآن، و فی العصر الحدیث، و أدرکها و حفظها، لما قیل:

إنه أتی بالمعجزة أو قاربها.

فالمعجزة شیء، و إدراک الحکمة و الإحاطة بها شیء آخر.

نعم ... لا شک فی کثرة الحکمة البالغة فی القرآن تجعل له مزیة، و لکنها لیست معجزة ...

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۷۹

الاعجاز بالصرفة

و الإعجاز بالصرفة لیس نوعا من الإعجاز، کالذی سبق ذکره و بیان بطلانه، و إلا لهان الخطب، و إنما هو فی الحقیقة شبهة حول إعجاز القرآن.

و خلاصة هذا القول أن القرآن الکریم لیس بمعجزة فی ذاته، و أنه إنما صار معجزة بإعجاز اللّه الخلق عن تحدیه و معارضته.

و ذلک أنهم قالوا: إن القرآن مؤلف من کلام العرب و تراکیبهم، و لم یخرج عن أسالیبهم و صورهم، بل هو جار علی منوالهم،

سالك سبيلهم، و لـذلك فإنه لا يزيـد بفصاحته عن فصاحة بعض الفحول من شـعراء الجاهلية، أو أن فصاحة بعض الفحول من شـعراء الجاهلية لا يكون دون فصاحته «۱».

أى أن العرب كانوا قادرين بما عنـدهم من الفصاحـة و البلاغة التى لم يخرج القرآن عن طورها- كانوا قادرين على معارضة القرآن و الإتيان بمثله، أو بمثل بعض سوره، فهو فى ذاته لا إعجاز فيه.

و إنما صار القرآن معجزا، لأن اللّه تعالى أعجز الخلق بمنعهم من الإتيان بمثله، مع قدرتهم عليه.

و إنى لا زلت منذ أن سمعت هذا القول فى أوائل طلبى للعلم، إلى هذا اليوم، لا زلت أستغرب من هذا القول و قائله، و لا سيما بعد أن اطلعت على ما اطلعت عليه من ضروب الإعجاز الغيبى و العلمى فى القرآن، مما سنذكره إن شاء اللّه فى الصفحات القادمة.

---

(۱) القواطع ص ۲۵۴.

و إنى لأظن أن كل من يسـمع هـذا القول، و إن لم يكن على معرفة بلغة العرب و بلاغتها- سوف تأخذه الدهشة، و يملكه العجب، إذ يسـمع أن قائل هـذا القول يسوى بين قدرة اللّه، و قدرة البشـر فى الكلام، فلا يرى لكلام اللّه مزيد فضل على كلام الفحول من شـعراء الجاهلية.

و سوف تزيـد دهشـته، و تتسع دائرة تعجبه حينمـا يعلم العـارف بلغـة العرب و أساليبها أن قائل هـذا القول هو من أكبر أدباء العربيـة و علمائها، ألا و هو الجاحظ، و أنه ينسب أيضا للنظام و بعض المعتزلة، و المرتضى من الشيعة، و أبى إسحاق الأسفراييني من أهل السنة.

أمـا نسـبته إلى النظـام فإنهـا قريبـة و ليست ببعيـدة، لما كان يعرف عن النظام من الكفر و الإلحاد و الزندقـة، حتى صـنف كتاب «نصـر التثليث على التوحيد» على ما قاله ابن السبكى.

و لكن العجب من نسبته إلى المرتضى و الأسفراييني، و إنى لعلى شك من صحة هذه النسبة إليهما.

و أما نسبته للجاحظ فقد قال الإمام أبو مظفر بن السمعانى بعد أن ذكر هذا الكلام عن الإعجاز فى القرآن، قال:

و هـذا قول باطل، و زعم كاذب. و سـمعت والـدى- رحمه اللّه- يقول: إن هذا قول اخترعه الجاحظ، و لم يسـبقه إليه أحد، و من قاله بعده فإياه اتبع، و على منواله نسج، و هو فى نفسه مستثمج مستهجن.

و التأمـل فى نظم القرآن، و جزالته و فصـاحته، و عرضه على كـل نظم عرف من أسـاليب كلاـم العرب، و كـل كلام فصـيح عرف من كلاـمهم، ثم امتيـازه عن الكـل- بروائه و بهـائه، و طلاـوته و حلاوته و إعراقه و إيناقه، و إعجازه- ظاهر لكل ذى لب من الناس، لو لا خذلان يلحق بعض القوم، و نسأل اللّه العصمة بمنه «۱» ا ه.

---

(۱) القواطع ۲۵۴.

و الخلاصـة أن قائل هذا القول، و الآتى بهذه الفرية، يزعم أن القرآن لم يصل بذاته إلى حد الإعجاز الذى لا يسـتطيع البشـر معارضـته به، بل إن الإعجاز فيه كان عارضا له بصـرف اللّه الناس عن معارضته، و ذلك لأحد الأسباب الآتية:- ۱- إن بواعث معارضة القرآن و دواعيهـا لم تتوفر عنـد العرب، و لو توفرت عنـدهم دواعى المعارضـة و بواعثهـا لعارضوه، إذن فقـدرة اللّه تعلقت بالبواعث التى تبعث على المعارضة، فلم توجدها، حتى لا توجد المعارضة و تسلم المعجزة.

۲- إن البواعث و الدواعى قد وجدت، إلا أن اللّه تعالى صرفهم عن المعارضة بتزهيدهم بها، و عدم اهتمامهم لها، و لذلك تقاعسوا و قعدوا عن المعارضة، فقدرة اللّه صرفتهم عن المعارضة بتزهيدهم فيها.

۳- إن البواعث وجدت، و الدواعى توفرت، و الهمم استوفزت، و الرغبة فى المعارضة ظهرت، و كانوا يريدون هذا، إلا أن اللّه عطل مواهبهم، و أذهب قدرتهم، فلم يستطيعوا معارضة القرآن.

«و إذا تأملنا هذه الفروض الثلاثة التى التمسوها، أو التمست لهم، علمنا أن عدم معارضة العرب للقرآن لم تجىء من ناحية إعجازه البلاغى فى زعمهم، بل جاءت على الفرضين الأولين من ناحية عدم اكتراث العرب بهذه المعارضة، و لو أنهم حاولوها لنالوها، و جاءت على الفرض الثالث من ناحية عجزهم عنها، لكن بسبب خارجى عن القرآن، و هو وجود مانع منعهم منها قهرا، و ذلك المانع هو حماية اللّه لهذا الكتاب، و حفظه إياه من معارضة المعارضين، و إبطال ۶ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۸۲

المبطلين، و لو أن هذا المانع زال، لجاء الناس بمثله، لأنه لا يعلو على مستواهم فى بلاغته و نظمه» «۱».

و سوف نتكلم إن شاء اللّه على كل واحد من هذه الاحتمالات التى توهموها بما يوضح المقال، و يزيل الإشكال، و يبين الحقيقة، و نبدأ بالكلام على الاحتمال الأول الذى فرضوه لتعليل الصرفة، و هو عدم وجود الدواعى التى تدعو إلى معارضة القرآن، و لذلك صرفت هممهم عنها فنقول:

إن هذا زعم باطل، و وهم كاذب، و خروج عن طور النقاش و الجدل، إلى طور العناد و البهتان، و إعراض عن الواقع البين الصريح إلى الخيال العاجز القبيح.

و ذلك أن الخيال يقبل من الإنسان إذا كان له إلى التصديق سبيل، و لو كان هذا السبيل من قبيل الاحتمال المرجوح الضعيف، أما إذا وصل الخيال لدرجة لا يمكن فيها أن يصدق و لو على سبيل الاحتمال المرجوح، فإن الأمر فى هذه الحالة يرجع إلى العجز و الضعف، و السفسطة و السخف، و كيف يجوز لعاقل أن يفرض مثل هذا الاحتمال، و آيات القرآن الكريم تتلى صباح مساء، تقرع أسماع العرب بفصحائهم، و شعرائهم، و بلغائهم، و سادتهم، و سوقتهم، تقرع أسماعهم بعبارات التحدى، الذى بدأ بكل القرآن، ثم نزل إلى عشر سور منه، ثم نزل إلى سورة واحدة، كما بينا ذلك مفصلا فى أول البحث «۲».

ثم بعد ذلك وصل ذروته حينما أخبرهم القرآن بأنهم لن يستطيعوا ذلك إلى يوم القيامة، فى قوله جلّ ذكره: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ (سورة البقرة: آية ۲۴).

---

(۱) مناهل العرفان ۲/ ۴۱۴.

(۲) انظر: ص ۳۳.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۸۳

أو يقال بعد هذا: إن الدواعى التى تدعو إلى المعارضة لم توجد؟ على ما هو معروف للعامة و الخاصة من حمية العرب، و أنفتهم، و عدم صبرهم على ما هو دون هذه التحديات بكثير؟.

و متى تتوفر الدواعى إذا لم تتوفر ساعة التحدى ..؟؟.

و لا سيما أن القرآن لم يكتف بالتحدى فى مجال المعارضة فحسب، بل أثار حفائظ العرب، و استنفر كل طاقاتهم لتحديه، و ذلك بتسفيهه لأحلامهم، و تشويهه لمعتقداتهم، و تغييره لعاداتهم، و لا يمكن للإنسان أن يستثار أبدا استثارة أقوى و أعنف من استثارته فى مجال عقيدته، عند ما تهان، أو يعتدى عليها.

فكيف يمكن أن يقال: إن بواعث المعارضة لم توجد رغم هذا التحدى لهم؟.

إن البواعث بلا ريب قد وجدت، و كانت كافية لا لإثارة الإنسان العربى فقط، بل لإثارة كل من قرع سمعه ذلك التحدى الرهيب فى أعظم و أبلغ معانيه، مما أثار الحفائظ، و أضرم نار الحقد و التحدى عند كل المعارضين لهذا الدين، و الواقع أكبر شاهد على هذا و

دليل.

و ذلك بإعلان العداء الصريح لمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم، و لأصحابه، من كل من آمن معه، من وجوه العرب و غيرهم.

فآذوه بكل أنواع الأذى حتى هموا فى نهاية المطاف بقتله.

و آذوا أصحابه أشد أنواع الأذى، و ساموهم أبشع أنواع العذاب، من رجال و نساء حتى وصل الأمر ببعضهم إلى الموت فى أبشع صوره و ألوانه، على أيدى الحاقدين من رجال قريش و ساداتهم.

و لم يقف الأمر عند حد العداء فى مكة بل تابعوا أصحاب رسول اللّه فى

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۸۴

مهاجرهم، فتبعوهم إلى الحبشة، يحرضون عليهم النجاشى، و يطالبونه بتسليمهم.

و ناصبوهم العداء بعد الهجرة إلى المدينة، فشنوا عليهم الحروب و الغارات، حتى بلغت المواقع بينهم و بين المسلمين خمسا و سبعين موقعة كانوا حريصين فيها كل الحرص على القضاء على كل ما له علاقة بهذا الدين.

و رصدوا الجوائز العظيمة لمن يقتل محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم، و رموه بكل عظيمة، فرموه بالجنون، و رموه بالسحر، و رموه بالكهانة، و رموا القرآن بأنه شعر، و أنه أساطير الأولين اكتتبها، و أنه يمليه عليه رجل، إلى غير ذلك من الأقاويل و الأباطيل التى حاولوها لتشويه القرآن.

أو يقال بعد هذا: إن البواعث و الدواعى لم تتوفر ليثور الناس إلى المعارضة، أو أن البواعث وجدت، إلا أن العرب زهدوا فيها، و أعرضوا عنها ..؟!.

إن من يشن الحرب، و يستنفر كل ما لديه من قوة، للوقوف فى وجه القرآن، و القضاء على الإسلام، لا يمكن أن يلجأ إلى هذه الوسيلة التى يحتمل أن تذهب به، إلا بعد العجز عما دونها من الوسائل و الأسباب، و ما إعلان الحرب إلا الدليل الساطع، و البرهان القاطع، على اعترافهم بإعجاز القرآن و فشلهم فى معارضته.

و أما الاحتمال الثالث، و هو أن اللّه تعالى قد أعجزهم عن معارضة القرآن بتعطيل مواهبهم، و إذهاب بلاغتهم، فإنه لا يقل ركة و ضعفا، و سفسطة و سخفا، عن الاحتمالين السابقين.

و ذلك أن التحدى لم يكن موجها إلى جيل واحد من البشر، و إنما هو موجه لكل أمة، و لكل جيل، فى كل زمان و مكان، فإذا كان هذا القائل قد يتبين له أن مواهب الأولين قد تعطلت عن المعارضة، فلما ذا لم يعارضه أهل الجيل الثانى أو الثالث، بل لما ذا لم يعارضه هو نفسه؟ و لا سيما أنه قد وجد فى

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۸۵

الإسلام من فحول الشعراء و البلغاء العدد الكبير، و الجم الغفير، كجرير، و الفرزدق، و الأخطل، و أبى تمام، و البحترى، و المتنبى، و أبى علاء المعرى، و ابن المقفع، إلى جانب الكثير من أمثال هذه الطبقة؟.

و لم يبلغنا عن واحد منهم أنه قال: إن مواهبه معطلة، بل كلنا نعلم أنهم كانوا على رهان دائم فى ميدان البلاغة و البيان، فى الشعر و النثر، حتى خيل لبعضهم أنه يلقى عليه الإلهام الشعرى، مما برّز فيه من البيان الفنى.

و ما يقال فيمن عاصر القائل بالصرفة من الشعراء، يقال فيمن عاصر نزول القرآن منهم، فلقد قيل الشعر فى كل الأغراض الشعرية فى زمن نزول القرآن، كما كان الحال قبل القرآن، و لم تتغير فى شاعر ممن لم يسلم ملكته، بل كانوا ما زالوا متمتعين بها، و لكنهم كانوا يعترفون بإعجاز القرآن، على ما عرفناه فى هذا البحث أيضا بالتفصيل و البيان.

و لنفترض جدلا أن مواهبهم قد تعطلت عن المعارضة، و لكن لننظر فى كلامهم السابق الذى كان لا يقل- فى زعم القائل بالصرفة- عن القرآن بلاغة، هل كان يجارى القرآن فى بلاغته و إعجازه ...؟.

إذا كان كذلك، فالقرآن إذن لم يأت بشيء معجز جديد، و بناء على ذلك فلا تحدى، و لا داعى للتحدى.

إلاـ أن الواقع يقول: إن الأمر ليس كذلك، و ذلك أنه ما من عربى سمع القرآن، إلا و أدرك الفرق الشاسع بين كلام كل من نطق بالعربية من شاعر و ناثر، و بين كلام القرآن، و أسلوبه، و بلاغته، مما هو معروف بالتواتر، و مما جعل فحول شعراء الجاهلية، و أعظم العارفين بشعر العرب و نثرهم، يقر بهذه الحقيقة، و يعترف بأن أسلوب القرآن و بلاغته مما لم ينظم العرب على منواله، و لا اقتربوا من بيانه و إعجازه، على ما نقلناه و بيناه فى مكانه.

و مما يبين هذا، و يجعله يقينيا هو أنه ما من شاعر إلا و قد عيب عليه شيء من شعره، إما فى قوانين الشعر، و إما فى صوره و خيالاته، و تعليلاته و تحليلاته،

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۸۶

و إما فى بنية الكلمة و فصاحتها، و دقتها و مناسبتها، أو فى تركيب الجملة من الفصاحة و البلاغة و غير ذلك من العيوب الكثيرة.

و من كان يريد الوقوف على هذا فليرجع إلى كتب النقد فى الأدب العربى، ليرى من ذلك العجب العجاب.

و ليرجع بصورة خاصة إلى معلقة امرئ القيس أمير شعراء الجاهلية، و لينظر ما فيها مما قاله الإمام الباقلانى، من نقد و اعتراض و وهم و تناقض، و غير ذلك من العيوب التى لا تليق بفصاحة امرئ القيس و بلاغته، إذ أبدى فيها الباقلانى العشرات و العشرات من العيوب.

و إذا كان هذا شأن امرئ القيس سيد شعراء الجاهلية، فى خير شعره و أبلغه، فما هو شأن غيره، ممن لم يبلغ مبلغه؟.

فأين هذا من كلام القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و هو فى الذروة العليا، من الدقة و الإحكام، و التناسق و الترابط، و عدم التناقض و الاضطراب، فى كل باب طرقه، من كل شئون الكون و الحياة؟!.

إن التحدى لم يكن فقط بأن يأتى العرب بمثل القرآن، بل كان بأن يوجد البشر فيه أى نوع من أنواع الخلل أو الخطأ، أو الاضطراب و التناقض فقال تعالى: وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً.

و إن هذا التحدى ما زال قائما، و سيبقى إلى يوم القيامة، فمن عرف فى القرآن تناقضا أو خللا فليوجدناه، و ليخبرنا به، فى كل جانب من جوانب العلم، و فى كل شأن من شئون الكون و الحياة التى ذكرها القرآن، و إن كل من فى الأرض من أهل الكفر و الشقاق مدعوون إلى هذا، و إنهم لإلى الوقوف عليه بالأشواق ...، إلا أن الواقع أنه لا تناقض فيه و لا خلل، فى كل ما عرض له أو خاض فيه، باعتراف كل عاقل فى الأرض.

على أننى أريد أن أختم هذا الموضوع بقولى: إن من زعم أن إعجاز القرآن كان بالصرفة، إنما هو إنسان ساذج، و لئن كان بحاجة للرد عليه فى الماضى، فهو ليس بحاجة للرد عليه فى وقتنا الحاضر، فى عصر الاكتشافات

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۸۷

العلمية التى فاقت الخيال، و لم تخطر للإنسان يوما على بال، و التى وجد فيها أصحابها- على ما سنذكره فى الإعجاز العلمى- أنهم على أعتاب القرآن، الذى كان قد سبقهم إليها، و أخبر عنها، قبل أن يضع الإنسان اللبنة الأولى فى صرح حضارته العلمية الحديثة بقرون طويلة.

إن التحدى بالقرآن لم يكن أبدا بالموضوع اللغوى فقط، بل كان بكل ما فى القرآن من إعجاز لغوى، و غيبى، و علمى، و غير ذلك.

فعلى افتراض أن بعض العرب كان قادرا على الإتيان بما يشبه القرآن فى أسلوبه، فأنى له، بل لكل من فى الأرض من إنس و جن أن يأتوا بمثل القرآن فى غيوبه و علومه؟ على ما سنبينه و نوضحه؟.

و إنى لعلى يقين بأن من قال بالصرفة يوما ما، لو وجد فى عصرنا، و رأى إعجاز القرآن العلمى و الغيبى، لذهل، و لعلم أنه حينما قال قالته تلك، كان فى غاية الغفلة و السذاجة و البعد عن الواقع ...

لقد كان الملاحدة يوما ما يتناقلون فيما بينهم أن أحدهم- فيما يزعمون- قد عارض القرآن، و لما قيل له: لما ذا لا يترنم الناس

بكتابك حينما يقرءونه؟ قال لهم: لم تصقله المحاريب خمسة قرون ... أى أن الترنم بكتاب اللّه كان لما للقرآن من كثرة التلاوة فى المحاريب فى الصلاة و غيرها، مما جعله سهلا على الألسن، لذيذا فى القلوب ... و لو أن كتابه تردد على ألسنة الناس كما تردد القرآن لاستعذبوه كما استعذبوا القرآن إن هذا الكلام يكون صحيحا لو كان الأمر فى التحدى أمر ترنم و استعذاب، إلا أن التحدى لم يكن بهذا، و إعجاب الناس بالقرآن قديما و حديثا لم يكن أبدا لهذا، بل إننا نرى كثيرا من الناس ينكر أن يقرأ القرآن بالألحان.

إن إعجاب الناس بكتاب اللّه لما ذكرناه و سنذكره من احتوائه على أنواع و أنواع من الإعجاز التى تفرض على كل من يقف عليها أن يحنى أمام القرآن هامته، و يعلن بين يدى اللّه عجزه و عبوديته.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۸۸

إن التحدى يكون بالاستعذاب حينما يكون أغنية أو ترنيمة نصرانية فى كنيس، و لم و لن يكون أبدا فى كتاب أحكمت آياته و فصلت ليكون للبشرية نبراسا و هاديا، و للمجد سائقا و حاديا، و شتان بين أغنية للطرب، و ترنيمة للهو، و آية معجزة تكشف حجب الغيب، و تضع أسس الحياة الفاضلة، و تشير إلى أدق و أبلغ قوانين العلم، و تحل ألغاز الكون و الحياة ...

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۸۹

المبحث الثانى فى الإعجاز الغيبىّ فى القرآن الكريم

اشارة

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۹۱

[معنى الاعجاز و وجه الاعجاز فيه]

لقد أخبرنا اللّه تعالى فى كتابه الكريم عن بعض الأمور الغيبية، و أخبرنا أنها ستقع، و وقعت هذه الأمور التى أخبر القرآن عنها على نحو ما أخبر، مما يعرفه المؤمن و الكافر، و البر و الفاجر.

و ليست الغرابة فى الإخبار عن أمر، و وقوع الأمر على نحو ما جاء به الخبر، ففى كل زمان و مكان نجد من الناس من يتنبأ، و يخبر عن أمور ستقع فى المستقبل، و قد تقع الأمور على نحو ما أخبر به، و قد لا تقع.

فإذا وقعت على نحو ما أخبر به ذلك المتنبئ عزاها الناس إلى الصدفة فى كثير من الأحيان، و لا سيما إذا كان ما تنبأ به المتنبئ بعيد الوقوع، أو مستحيله عادة، فلم لا يقال: إن الأمور التى أخبر عنها القرآن، و وقعت على نحو ما أخبر به، إنما كانت من قبيل المصادفات التى تقع لكل متنبئ فى الحياة ...؟.

سؤال يطرح نفسه، و يطرحه الماديون، على أنه الجواب لما وقع فى القرآن من ظاهرة الإخبار عن الغيب.

إلا أنه توجد أمور، تفرض علينا القول بأن تحقق الأشياء التى أخبر عنها القرآن لم يكن من قبيل الصدفة، التى تحققت بها نبوءات كثير من المتنبئين فى العالم، بل لأن الإخبار من اللّه، خالق الكون و مدبره، و عالم سره و علنه، و العالم بما جرى فيه، و يجرى، و سيجرى إلى يوم القيامة، أخبر بما سيقع فى المستقبل ليقع على وفق الخبر الذى أخبر به، و ليكون المعجزة الناطقة الدالة على صدق الرسول فيما جاء به، و إن هذا القرآن من عند اللّه، و ليس من صنع البشر.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۹۲

أما هذه الأمور التى تفرض علينا هذه النتيجة الحتمية، فإننا نستطيع أن نوجزها فيما يلى:

إن من طبيعة الإنسان أن يتنبأ لمستقبله، و كلما كبرت آماله و طموحاته، كثر تنبؤه لمستقبله، و زادت اهتماماته به.

و إنه عنـد ما يتنبأ يبنى نبوءته على طبيعـة الواقع الذى يعيش فيه، و الطاقة التى يسـتطيع أن ينطلق من خلالها، و الاحتمالات التى يمكن أن يحققها.

و لـذلك لاـ بـد أن تكون نبوءته متمشـية مع طاقـاته و إمكانياته، و إلا كانت ضـربا من الخيال الساذج، الـذى لا يغنى و لا يسـمن، بل سرعان ما يصـحو منه صاحبه على حقيقـة واقعه الباسم أو اليائس، و سـرعان ما ينهار ذلك الصـرح الخيالى الشامخ الذى بناه بعيدا عن حقيقة طاقاته و إمكانياته.

و لذلك نجد الناس جميعا يهللون لبطل من أبطال العالم، فى أى نوع من أنواع الرياضة و لتكن الملاكمة مثلا، نجدهم يهللون لبطلها، عند ما يعلن لهم أنه سـيهزم خصـمه فى الجولة الثانية أو الثالثة ... نجد الآذان صاغية، و القلوب واعية، لكل كلمة يقولها لهم قبل موعد مباراته مع خصمه، و ذلك لأنه يقولها من منطق القوة التى يتمتع بها، و الحقيقة التى يعيش فيها.

و مع ذلك نجد كل سامع و هاتف يضع احتمال الهزيمة لذلك البطل، مع أنه فى ذروة قوته، و أوج عظمته، و لذلك يتريث كثيرا فى مراهناته، و يضع القيود و الضوابط لتحدياته.

و لكن .. متى تكون الغرابة، و تتعالى صيحات الإنكار ...؟!

تكون الغرابـة بالغـة، و الإنكار قويا، عند ما يعلن صـعلوك ضـعيف، لا يتماسك حينما يقوم من مقامه، و لا يمكنه أن يدافع عن نفسـه أمـام عـاجز من العجزة، و مع ذلك نجـد أنه يعلن أمام الناس جميعا أنه يريـد أن يتحـدى بطل العالم فى الملاكمـة، و أنه سـيهزمه فى الجولة الثانية أو الثالثة ...؟!.

إنها كلمات لا تلفت الأنظار، و تثير الاستنكار فقط، بل هى كلمات تدفع

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۹۳

كل من يسمعها إلى الهزء و السخرية من قائلها، لأنه إنما يقول و هو فى واقع و حقيقة لا يمكنانه من مثل هذا القول الساخر الهازئ.

و لـذلك لاـ تأخـذ كلمـاته طريقهـا إلى الآـذان و القلوب، بل تأخـذ طريقها إلى السـقوط فى سـجلات العابثين الساخرين، أو الحمقى المغفلين.

و من خلال هذه المقدمة البديهية المسلمة، سننظر إلى نبوءات الزعامات السياسية، و القيادات الحربية فى العالم، و ننظر إلى مصيرها.

كما أننا من خلال هذه المقدمة سـننظر إلى نبوءات القرآن، و ننظر إلى نهايتها و مصـيرها، ليرى كل ذى عقل سـليم الفرق بين نبوءات البشـر و نبوءات القرآن و ليؤمن بـأن نبوءات القرآن، إنمـا هى إخبـار من خـالق الكون و الحيـاة، و عالم السـر و العلن، و أنها المعجزة الدالة على صدق الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم فيما جاء به من عند ربه.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۹۴

نبوءات عظماء العالم

اشارة

إنه- كما ذكرنا- ما من عظيم من عظماء العالم إلا و تنبأ لمسـتقبله، و مسـتقبل حروبه و حياته، و كانت نبوءاته و هو فى ذروة مجده، و أوج عظمته، و كل الظروف من سياسية، و عسكرية، توافقه و تؤيده، و لذلك كان لنبوءاته الأثر البالغ فى النفوس، مع احتمال الفشل.

و لـذلك كثرت المراهنـات عليهـا، و تحزب النـاس لها، و لكنها رغم هـذا كانت فى كثير من الحالات- إن لم أقل فى كل الحالات- كانت يصاحبها الفشل الذريع، و الهزيمة المرة، رغم كل ما كان يحيط بها من الظروف التى تساعد على التكهن بمثلها.

نبوءة نابليون:

فهذا نابليون بونابرت ... من أعظم قواد الجيوش الذين عرفهم العالم فى عصره، و قد سمت به فتوحاته التى أحرزها لدرجة أنه صار يتكهن بأنه سيكون ندا للإسكندر المقدونى، و أخذ الغرور مأخذه من رأس نابليون حتى أصبح يتوهم أنه مالك لقدره، فقال: لا يوحد فى قدرى إلا الغلبة و النصر ...؟!.

لقد قال بونابرت هذا الكلام و كل الظروف المحيطة به تساعده على أن يقول مثل هذا الكلام، و يتنبأ مثل هذه النبوءة.

إنه القائد الذى هز العالم، و هتفت له الجماهير، و حيكت حوله القصص و الأساطير، و كل من يسمع كلامه هذا يقول: إنه يحق له أن يتنبأ مثل هذه النبوءة ...

و لكن ... ما هو مصير هذه النبوءة ...؟.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۹۵

بل ما هو مصير نابليون نفسه ...؟

لا- داعى للإطالة بسرد الوقائع التى هزم فيها، بل يكفينا أن نعرف أنه بعد أن هزمه «دوق ولنجتون» شر هزيمة فى «ووترلو» بأراضى بلجيكا، و أيقن من مصيره المحتوم، فر هاربا من القيادة الفرنسية، متوجها إلى أمريكا، حيث القى عليه القبض، و انتهى به قدره إلى أن نفى فى جزيرة «سانت هيلانة» حيث مات بعد معانات سنوات طويلة من البؤس و الشقاء، مع آماله المحطمة و نبوءاته الفاشلة ..!!.

لا نستطيع أن نقول: إن نبوءته ساذجة، فإن كل الظروف كانت تساعد على مثل تلك النبوءة.

و لكنا نستطيع أن نقول: إنها نبوءة فاشلة، بعد أن عرفنا المصير الذى صارت إليه مع قائدها.

نبوءة ماركس:

و ها هو كارل ماركس يتنبأ سنة ۱۸۴۹ بأن الجمهورية الحمراء ستبزغ فى سماء باريس.

إلا أنه رغم مرور قرن و ثلث قرن على هذه النبوءة، لم نر شمس الجمهورية الحمراء تسطع فى سماء باريس.

كما تنبأ البيان الشيوعى الصادر سنة ۱۸۴۸ بأن أول البلاد التى ستقود الثورة الشيوعية هى ألمانيا.

إلا- أنه رغم مضى ما يقارب القرن و نصف القرن على هذه النبوءة لا تزال ألمانيا بعيدة كل البعد عن هذا النبوءة، و خالية من مثل تلك الثورة.

نبوءة هتلر:

و ها هو هتلر القائد الألمانى الشهير، الذى هز العالم بأسره، و قد اجتاحت قواته معظم دول أوروبا فى أيام، خلال الحرب العالمية الثانية، يقول فى خطابه

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۹۶

الشهير الذى ألقاه فى ميونخ، فى مارس سنة ۱۹۳۱.

«إننى سائر فى طريقى، واثق تمام الثقة بأن الغلبة و النصر قد كتبا لى».

كما قال فى خطابه الشهير الذى ألقاه فى المجلس النيابى الألمانى، فى ۱ أيلول سبتمبر ۱۹۳۹، قال:

«هناك لفظة ما عرفتها فى حياتى قط، ألا و هى الهزيمة».

و لكن ... ما هو مصير ألمانيا ... بل ما هو مصير هتلر نفسه ..؟.

لقد قال كلماته هذه و هو فى أوج عظمته، و كل الظروف تساعده لقول مثل تلك الكلمة ...

و لكنها النبوءة الفاشلة، التى أدركناها بعد أن رأينا ألمانيا مقسمة أسيرة فى أيدى الحلفاء ... عند ما بحث الناس عن هتلر فلم يعثروا له

على أثر ..؟!.

إنها نبوءات كبار قواد العالم فى أحسن الظروف التاريخية، و هم فى قمم مجدهم، و كل من يسمع نبوءاتهم يقول: إن الظروف مواتية لهم، و ربما تحقق ما يطمعون إليه، بل ربما جزم بما تنبئوا به ...

إلا أنه الواقع المرير الذى كشف لنا عن غرورهم، و أبان لنا عجزهم، بعد أن مرغ كرامتهم بالهزائم، و دفن أحلامهم و نبوءاتهم تحت أنقاض بلادهم المدمرة ...؟.

الفرق بين نبوءات البشر و نبوءات القرآن

و إننا إذ نسوق هذا الكلام، لا نسوقه لنتكلم عن تاريخ العالم، و تاريخ المغامرين فيه.

كما أننا لا نسوقه لنتشفى من أولئك القادة، فإن من حق كل إنسان أن

يتنبأ، و القدر إما أن يصدق نبوءته، و إما أن يكذبها.

و لكننا نسوقه لنبين الفرق بين نبوءات البشر، و نبوءات القرآن الكريم ..

التى تحققت حرفا حرفا، رغم أنها نزلت فى أقسى الظروف و أعتاها على محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، و على المسلمين معه ... و التى كانت من أكثر الأمور إثارة للدهشة، و سببا للاستغراب .. إذ كانت من النوع الذى لا يمكن صدوره عمن عقل حقائق الأشياء، و أدرك حقيقة الواقع، بل كانت من أبعد الأمور التى يمكن للعقل السليم أن يتصورها.

إلا أنها رغم هذا كله ... و فى هذه الظروف الحرجة تلاها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم غير عائب بكل الحقائق التاريخية التى كانت تحيط به، و لا بالواقع الذى كان يعيش فيه .. و جاءت الأيام، لتثبت كل ما تلاه من القرآن الكريم حرفا حرفا، دون أن يتخلف منها خبر واحد، و ليثبت للناس جميعا أن هذا القرآن من كلام اللّه ... و ليس من صنع البشر، و ليكون المعجزة الناطقة الدالة على صدق الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم فى دعواه، على مر الأيام و الأعوام، إلى قيام الساعة ..

نبوءات القرآن

اشارة

لنستمع الآن إلى نبوءات القرآن .. و إخباره عن الأمور الغيبية فى المستقبل، و الظروف التى جاءت فيها تلك الأخبار، لنعرف بعد ذلك أن مثل تلك الأخبار، يستحيل أن يكون من قبل البشر، و إنما هو من قبل اللّه.

۱- التنبؤ بانتصار المسلمين و سيادتهم

لقد بدأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم دعوته، و كل من فى الأرض يخالفه، المشركون فى مكة، و اليهود فى المدينة، و النصارى فى الشام، و الفرس فى العراق، و كل أصحاب الملل و النحل فى كافة أصقاع الأرض.

بدأت الدعوة، و بدأ التصدى لها، و بدأ العناد و التحدى، و بدأ الضر و الأذى ينصبان على الضعفاء من المسلمين، الذين ساروا فى ركب هذه الدعوة الجديدة الضعيفة.

و ما زالت الأحقاد تنمو، و الأذى يكبر، إلى أن وصل لدرجة السجن، و التنكيل، و القتل ...

و حوصر المسلمون فى الشعب، حتى وصل بهم الضر لأن يأكلوا الأخضر و اليابس، بل ما تعافه النفس و تأباه.

و خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الطائف، لعله يجد فيها ما يسرى عنه، من بعض الأتباع الجدد، فى بعض بيوتات ثقيف و هوازن، إلا أن الأمر كان على

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۹۹

خلاف ما توقع، صد و طرد، استكبار و هزء، و عاد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى مكة، و لكنه لم يستطع أن يدخلها كما كان يدخلها سابقا، مما اضطره لأن يدخلها فى جوار أحد المشركين، ألا و هو المطعم بن عدى.

فالتحدى على أشده، و الأذى فى أوجه، و المؤامرات تحاك من قبل سادة قريش، لإيقاع الأذى ببعض المسلمين فى هذه المرة، بل للقضاء على الدعوة الجديدة بأسرها.

فلقد أخذت العزة بالإثم قريشا، فأنفقت الأموال، و رسمت الخطط، و أعلنت العداء السافر، و هددت بإبادة كل من يعتنق الدين الجديد.

فى هذه الظروف الحرجة الصعبة من مسيرة الدعوة الجديدة، و فى هذه الحالة التى تشبه ساعات ما قبل النهاية المحتومة، بين قوى جبار عنيد، و ضعيف مضطهد مغلوب، فى هذه الحالة البائسة اليائسة فى ميزان العقل المادى حينما ينظر إلى جوع المسلمين و فقرهم، و اضطهادهم و تعذيبهم، و تشريدهم و قتلهم، فى هذه الحالة يخرج رسول اللّه ليقول قولة القوى المنتصر، و هو فى أوج سلطانه و ذروة انتصاراته، يخرج ليقول للمشركين، و كأنه هو القوى و هم الضعفاء، يخرج ليقول لهم: «لقد جئتكم بالذبح» .. و ينزل قول اللّه تعالى، ردا على خيلاء قريش و غرورها، ينزل متهددا متوعدا، و معلنا لأغرب خبر يمكن للإنسان أن يسمعه فى مثل هذه الحالة ... أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ، سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ، بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهى وَ أَمَرُّ.

و ينزل قوله تعالى: وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ، وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ، فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ، وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ» (سورة الصافات: آية ۱۷۱- ۱۷۵).

و ينزل قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَسَيُنْفِقُونَها، ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً، ثُمَّ يُغْلَبُونَ، وَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (سورة الأنفال: آية ۳۶).

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۰۰

إنه لأغرب خبر يمكن للإنسان أن يسمعه فى مثل ذلك الظرف و تلك الحالة، و بين فئتين لا تكافأ بينهما، فئة تملك كل وسائل البطش و القوة، و فئة ضعيفة لا تملك شيئا لا لغيرها و لا لنفسها .. و هى فى حالة اضطهاد و تشرد و استعباد، و مع ذلك يأتى هذا الخبر المرعب المفزع، الغريب المستنكر فى ميزان جميع العقول المادية، و جميع الاحتمالات و التقديرات ...، فإنه لا يمكن لأى عاقل أن يتنبأ مثل هذا النبأ فى مثل ذلك الظرف.

و يهلل المسلمون لهذا الخبر، و ترتسم على وجوههم علامة الفرح بهذه البشارة، و كأنهم يرونها رأى العين .. و يحيى الأمل فى نفوسهم .. و تغمر الطمأنينة قلوبهم، و يعدون الأيام و الليالى لاستقبال ذلك اليوم الذى يتحقق فيه هذا الخبر الذى أيقنوا به ...

و يزداد بأس قريش، و يتضاعف أذاها، و تطارد ضعاف المسلمين فى كل ناحية و صوب .. مما دفع المسلمين للهجرة إلى الحبشة.

و يهاجر المسلمون إلى الحبشة، و تطاردهم قريش فيها، تريد استئصال شأفتهم، و تبديد شملهم.

و يأبى اللّه إلا أن يتم نوره، و يحقق وعده، فتقوم دولة الإسلام الأولى فى المدينة المنورة، على عاتق أولئك الضعفاء من المهاجرين و الأوفياء من الأنصار، و سرعان ما تدور الدائرة على المشركين فى مكة، و تتغير الموازين عندهم، و تتلاشى طموحاتهم و أحلامهم، إذ أعلنوا النفير العام، و لكن ليس للهجوم فى هذه المرة .. و إنما للدفاع عن تجارتهم القادمة من الشام مع أبى سفيان، و التى عزم المسلمون على مهاجمتها.

و تتطور الأمور، لتنكشف عن أعظم معركة فى التاريخ، و أغرب معركة فى ميزان العقل المادى .. إذ هزم أولئك الضعفاء المهاجرون، و الفقراء الجياع، هزموا جيش المشركين فى بدر، و قد بلغ فى العدد ثلاثة أضعافهم، مع ما لديهم من العدد، و كان أول إعلان عن تحقيق وعد اللّه، و صدق نبوءة القرآن.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۰۱

قال عبد اللّه بن عباس رضى اللّه عنهما: كان بين نزول قوله تعالى:

سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ و بين غزوة بدر سبع سنين.

إن أى عاقل فى الكون كان يسمع الخبر، بأن أولئك المستضعفين فى مكة، سيهزمون قريشا، و ينتصرون عليها، كان يعجب و يدهش، بحسب الموازين المادية، و يعتبره ضربا من الخيال الساذج الذى يراود محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم، و لكن أى إنسان يعرفه اليوم، يعلم يقينا أنه ما كان ليصدر عن بشر، لأن موازين البشر و طاقاتهم لا تسمح لهم بمثل ذلك التفاؤل، و لذلك فإنه يقطع بأنه خبر اللّه، و يقطع بأن هذا الكلام ليس من كلام البشر، و إنما هو من كلام الخالق العليم، معجزة ناطقة دالة على أن هذا القرآن من لدن حكيم خبير.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۰۲

۲- التنبؤ بانتصار المسلمين على الفرس و الروم

إن ما ذكرناه فى الفقرة الماضية كان مما أخبر عنه القرآن فى مكة، و رأينا كيف وقع ما أخبر به القرآن مع أن كل الظروف كانت ضد ما أخبر عنه حينما جاء الخبر.

و لو ذهبنا نعدد الآيات و المواقف التى كانت من هذا القبيل فى مكة، لعددنا من ذلك الشىء الكثير.

و لكننا سننتقل إلى المدينة المنورة لنقف على نظير هذا الموقف فى مكة، هناك فى المدينة، بل لنرى موقفا أشد منه غرابة، و أكثر بعدا فى مقاييس العقل البشرى، و لنرى فيه المعجزة القرآنية آية بينة صريحة.

لقد تظاهرت القبائل العربية بعضها مع بعض، و كونت جيشا جبارا من عشرة آلاف مقاتل، بقيادة أبى سفيان بن حرب، و تحالفت مع اليهود من بنى النضير و غيرهم لغزو المدينة، و قتال المسلمين و استئصالهم، و كانت غزوة الأحزاب، أو غزوة الخندق.

و جمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم المسلمين الذين لم يزد عددهم على ثلاثة آلاف مقاتل، ينقصهم الكثير من العدد و العدد، و هم لما يقو عودهم بعد، و لم يستريحوا من آثار غزواتهم السابقة المتلاحقة التى أرهقتهم.

إنها المحنة الشديدة، و البلاء المزلزل، إذ حوصرت المدينة من أسفلها و أعلاها، و زاد الأمر شدة عند ما نقض بنو قريظة عهدهم مع المسلمين، و انحازوا إلى مشركى مكة فى أعظم فرصة تسنح لهم للقضاء على الدين الجديد،

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۰۳

الذى هدد كيانهم و وجودهم.

فعظم البلاء على المسلمين، و اشتد خوفهم، كما اشتد جوعهم و عوزهم، و ظهرت علامات الاجهاد عليهم، و زلزلوا زلزالا شديدا.

و لقد صور القرآن هذه الحالة البائسة التى مروا بها فى ذلك الموقف العصيب بقوله تعالى: إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ، وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ، وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ، وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيداً.

فى هذا الظرف الحرج، و فى هذا الموقف العصيب المتأزم، تعرض للمسلمين صخرة عظيمة أثناء حفر الخندق، يعجزون جميعا عن اقتلاعها، و يشكون أمرهم لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و يأخذ رسول اللّه المعول، و يضربها الضربة الأولى مسميا اللّه، فيكسر بعضها و يقول: اللّه أكبر أعطيت مفاتيح الشام، و اللّه إنى لأبصر قصورها الحمر إن شاء اللّه، و يضربها الضربة الثانية، و يكسر بعضها و

يقول: اللّه أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، و اللّه إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم يضربها الضربة الثالثة، و يقول: اللّه أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، و اللّه إنى لأبصر أبواب صنعاء ... و وعد الأمة بأن ملكها سيصل إلى تلك الأماكن، و يردد قول اللّه تعالى الذى نزل فى المدينة، مؤكدا لما نزل فى مكة:

كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِى و يردد قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ، وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً.

إنه لإخبار رهيب، عن غيب مكتوم، تقول كل الظروف المحيطة بالمسلمين إنه إخبار من أبعد ما يكون على العقول أن تصدقه و تؤمن به، أمة خائفة، محاصرة، انهكها الجوع، و أتعبتها الغزوات، و أحاطت بها الجيوش الجبارة الحاقدة من كل جانب، تفوقها فى العدد و العدد، و تساندها كل الظروف المادية.

و بدلا من أن يسارع قائدها للاستسلام، و التخلى عن فكر الهجوم بل

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۰۴

و الدفاع، يعلق و بكل صراحة و عزم و طمأنينة، بأنه سيفتح العالم.

إنه لأمر غير مفهوم أبدا فى معايير العقل المادى .. لأنه يتنافى مع أبسط مبادى القوة و الحرب و القتال .. و يتنافى مع ما جرت عليه العادة، و ألفه البشر، و قامت به سنة الكون.

و فى هذه الحالة ظهر النفاق، فأخذ المنافقون يروجون فى صفوف المسلمين ما يغل عزائمهم، و يضعف هممهم، و يقولون لهم: لا يأمن أحدكم على قضاء حاجته خوفا من الأحزاب، و محمد يعدكم مفاتيح كسرى و قيصر ..؟؟.

و يستأذن بعض الناس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى الرجوع إلى المدينة قائلين: إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ، وَ ما هِيَ بِعَوْرَةٍ، إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً.

و من خلال هذا الموقف الرهيب، و هذه العاصفة العاتية، التى جمعت بين المشركين، و اليهود، و المنافقين ...

من خلال الظلام الدامس المخيف فى موازين البشر، يظهر بصيص الأمل، فتنطلق جنود اللّه التى لا نراها .. و تنقلب المعركة، و تندحر جيوش الشرك، و ينقلب ذاك البصيص من الأمل إلى نور ساطع يبهر العيون، و يغمر القلوب، و تظهر آيات القرآن الكريم، و نبوءات الرسول العظيم، متلألئة براقة، لتعلن على الملأ بأن تلك الآيات التى كانت تتلى فى ذلك الموقف الرهيب، ما كانت من قول البشر، و إلا لما كانت فى هذا المستوى من التفاؤل المستحيل فى موازين العقل، و إنما هى من قول اللّه، خالق الكون و مدبره، ليدل بها أخا الإنكار و الجحود و الإلحاد على جوانب الإعجاز الغيبى فى كتاب اللّه.

لقد وعد اللّه المؤمنين بالنصر فى أحرج الظروف التى مرت بهم فى حياتهم، و قبلها المسلمون، لإيمانهم بالغيب، و إيمانهم بأن هذا الكلام إنما هو كلام الذى لا يتخلف وعده، و هزئ بها المشركون و المنافقون .. و عاش من عاش من الفريقين ليرى وعد اللّه قد تحقق ... و ليرى جيوش المسلمين تقتحم حصون

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۰۵

فارس و قلاع الشام و أبواب صفاء، لتنهى أسطورة كسرى و قيصر، و ليعلم الجميع أن هذا من جوانب الإعجاز الغيبى فى القرآن الكريم.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۰۶

۳- الاخبار عن انتصار الروم على الفرس

اشارة

إنه الحادث الـذى يعتبر أشـد إثارة، و أبعـد غورا من الحادثتين السابقتين، اللتين تنقلنا فيهما بين مكـة و المدينـة، و جموع المؤمنين، و الحاقدين، من المشركين و اليهود و المنافقين ...

إنها نبوءة لا تتعلق بالعرب، و لا بجزيرة العرب، و إن كانت من نوع ما ذكرناه من النبوءتين السابقتين.

و إنما هى نبوءة تتعلق بمصير دولة من الدول العظمى فى ذلك الزمان، فى صراعها مع دولة أخرى ...

إنها دولة الروم فى صراعها مع دولة الفرس.

و لنـدرك حقيقـة الإعجـاز القرآنى فى هـذه الحادثـة، لا بـد لنا أن نقف على بعض الحقائق التاريخيـة لدولـة الفرس و الروم، لنتصور الظروف التى نزلت بها الآية القرآنية التى نريد أن نتكلم عنها.

لقد اعتنق الملك قسطنطين الديانة النصرانية سنة ۳۲۵ م، و جعلها الديانة الرسمية للبلاد، مما جعل أكثر رعايا الدولة الرومانية يعتنقونها و يؤمنون بها.

و اسـتمر الحـال فى الدولـة الرومانيـة على ما هى عليه من القوة و المنعـة إلى أن تولى زمامها الملك «موريس» فى أواخر القرن السابع الميلادى.

و كان «موريس» غافلا عن شـئون البلاد، و عن السياسة، مما دفع قادة جيشه للقيام بثورة ضده، بقيادة «فوكاس» الذى أصبح هو الملك فى الدولة الرومانية، بعد أن نجحت الثورة، و قضى على العائلة الملكية، و من ثم أرسل

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۰۷

سفيرا له إلى امبراطور الدولة الفارسـية «كسـرى أبرويز الثانى» إلا أن كسرى هذا كان مخلصا شديد الإخلاص للملك «موريس» الذى قتله «فوكاس».

و ذلك لأن كسرى كان قد لجأ إليه عام ۵۹۰- ۵۹۱ م بسبب مؤامرة داخلية فى الإمبراطورية الفارسية، و قد ساعده «موريس» فى ذلك الوقت بجيشه لاستعادة عرشه، فحفظ كسرى هذه اليد لموريس، و لم ينسها.

فلمـا عرف بأخبار انقلاب الروم، و قتل فوكاس لصـديقه الملك موريس، غضب غضـبا شديـدا، و أمر بسـجن السـفير الرومى، و أعلن عدم اعترافه بشرعية الحكومة الجديدة.

و من ثم قاد حملـة حربية على بلاد الروم، و عبرت جيوشه نهر الفرات إلى الشام، و لم يتمكن فوكاس من مقاومة جيوش الفرس، التى استولت على «أنطاكية» و «القدس»، و اتسعت حدود الدولة الفارسية فجأة إلى وادى النيل.

و كانت بعض الفرق النصـرانية- «كالسـنطورية» و «اليعقوبيـة»- حاقـدة على النظام الجديد فى روما، فناصـرت الفاتحين الجدد، و تبعها اليهود، مما سهل غلبة الفرس.

فى هذا الظرف الكئيب الحرج الذى تمر به الدولة الرومانية، أرسل بعض أعيان الروم رسالة سرية إلى الحاكم الرومى فى المستعمرات الإفريقية، يناشدونه فيها إنقاذ الإمبراطورية.

فأرسل الحاكم جيشا كبيرا بقيادة ابنه «هرقل» الذى استولى فجأة على الإمبراطورية الرومانية، و قتل «فوكاس».

إلا أنه رغم هذا لم يتمكن من إيقاف زحف الفرس الذين علت راياتهم العراق، و الشام، و مصر، و آسيا الصغرى.

و تقلصت الإمبراطوريـة الرومانية إلى عاصـمتها، و حوصـرت حصارا اقتصاديا قاسـيا، مما أدى إلى كساد التجارة، و إغلاق الأسواق، و تفشى الأمراض، و تحول دور العلم إلى مقابر موحشة مقفرة.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۰۸

و بـدأ عبـاد النـار يسـتبدون بالرعايا الروم المسـيحيين للقضاء عليهم، و بـدءوا يسـخرون علانيـة من الشـعائر الدينيـة المقدسـة، فـدمروا الكنائس، و قتلوا ما يزيـد عن ۱۰۰۰۰۰ مائـة ألف من المسـيحيين المسالمين، و أقاموا بيوت عبادة النار فى كل مكان، و أرغموا الناس

على عبادة الشمس و النار، و اغتصبوا الصليب المقدس، و أرسلوه إلى «المدائن».

و انقلب كسرى من ثائر لأجل صديقه الحميم موريس، إلى حاقد، و فاتح، لم يعد لأطماعه فى دولة الروم حدود ... فى استعلاء و كبرياء، يظهران من الرسالة التى وجهها إلى هرقل من بيت المقدس، قائلا فيها:

«من لدن الإله كسرى، الذى هو أكبر الآلهة، و ملك الأرض كلها، إلى عبده اللئيم الغافل هرقل، إنك تقول: إنك تثق فى إلهك، فلما ذا لا ينقذك إلهك المقدس من يدى ...؟.

و استبد اليأس و القنوط بهرقل، و حاول الفرار و الهرب إلى قصره الواقع فى قرطاجة، لينجو بنفسه، بعد أن يئس من إمكانية الدفاع عن الإمبراطورية الرومانية، التى أصبحت مهددة بالسقوط بين الساعة و الأخرى.

و خرج يريد الركوب فى إحدى السفن الملكية التى أعدت لهربه.

إلا أنه فى هذه اللحظة، تمكن كبير أساقفة الروم من إقناع هرقل بالبقاء مع شعبه، و أرسل هرقل سفيرا إلى كسرى يطلب منه الصلح.

إلا أن كسرى رفض و صاح بغضب شديد: «لا أريد هذا القاصد، و إنما أريد هرقل مكبلا بالأغلال تحت عرشى، و لن أصالح الرومى حتى يهجر إلهه الصليبى، و يعبد الشمس إلهتنا».

إنها ذروة اليأس التى وصل إليها هرقل، و وصل إليها الروم، و ذروة الاستعلاء التى وصل إليها الفرس.

و إنها لحالة أشبه ما تكون بحالة المؤمنين فى مكة مع أعدائهم من المشركين

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۰۹

الذى يسومونهم أشد أنواع العذاب، و يعملون كل ما فى وسعهم من أجل القضاء على الدين الجديد.

و ازداد بأس المشركين بغلبة الفرس على الروم، إذ كانوا يرون الروم و هم على الدين النصرانى أقرب إلى محمد صلّى اللّه عليه و سلّم و المسلمين منهم، و كانوا يرون الفرس أقرب إليهم من المسلمين، لاجتماعهما على الوثنية.

فبلغت النشوة أوجها عند المشركين بانتصار الفرس على الروم، و اعتبروا هذا انتصارا لهم، فهللوا لهذا النصر و رحبوا به، و أخذوا يرددون أمام المسلمين قولهم: «لقد غلب إخواننا على إخوانكم».

و فى هذا الظرف الحرج، البائس اليائس عند الروم، و فى حالة الضيق و الشدة التى كان فيها المسلمون .. نزل قول اللّه تعالى كالصاعقة بما لم يتوقعه أحد من أهل الأرض، لا من المسلمين و لا من غيرهم، نزل قوله تعالى: الم، غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ، وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ، وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ، يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ، وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ، وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ.

إنه لكلام لا يكاد العقل المادى يفهم مراده و بواعثه، المسلمون فى محنة، يعمل فيهم المشركون ما يعمله الفرس بالروم، من القتل، و السجن، و التشريد، و الروم فى يأس و شدة، ملكهم يريد الفرار و تسليم آخر ما بقى فى يديه من مملكته، و الفرس فى نشوة النصر و الفرح، و فى هذا الموقف الصعب الحرج، و بدلا من أن يكسب المسلمون ودّ الفرس المنتصرين، أو على الأقل دفع نقمتهم بالتزام الصمت، بدلا من هذا يعلن القرآن هذا الموقف الرهيب، و يخبر بهذا الخبر العجيب، و تنزل آياته بأغرب نبوءة يمكن للعقل البشرى أن يتنبأ بها فى مثل تلك الظروف، تثير دهشة المشركين، كما تلفت نظر الفرس إلى مواقف الدين الجديد الذى بدأ يطل على العالم من مكة، و من المحتمل أن تثير أحقادهم ضد المسلمين.

إنها لنبوءة عجيبة غريبة، تجاوزت الوعود المحلية للمسلمين بالنصر على أعدائهم- كما سمعنا فى الفقرات السابقة- إلى الوعود الدولية بانتصار الروم و هم

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۱۰

فى أدنى الأرض على الفرس، رغم حالة البؤس و اليأس التى وصل إليها الروم، و القوة و البأس التى يتمتع بها الفرس.

ما علاقة المسلمين بالإمبراطورية الرومانية ..؟.

و ما علاقة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم بتلك الأمة البعيدة، و الديار النائية، و أصحابه يسامون أشد أنواع العذاب فى مكة ..؟.

و كيف ينزل القرآن بمثل تلك الأخبار العجيبة التى ينكرها العقل المادى، و تزيد من حدة الصراع بين المسلمين و أعدائهم، كما تثير على المسلمين طائفة من الشكوك الجديدة فى دينهم و أخبار قرآنهم ..؟؟.

و لما ذا يتورط المسلمون فى مثل تلك الأخبار ..؟؟.

إلا أنهم لا سلطان لهم على هذا .. و لا دخل لهم و لا لمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم، و لا لأحد من أهل الأرض به.

إنها كلمات خالق السماء و الأرض، و المهيمن عليهما و على مقاديرهما، يريد أن ينبه البشر إلى أن هذا الكلام إنما هو من كلامه، لعلمه بما جرى، و يجرى، و سيجرى فى هذا الكون الذى خلقه و عرف أسراره، و ليس من قول البشر، و لا من قبيل نبوءاتهم، بل هو على نقيض كامل لما يمكن أن يتنبأ به أى مخلوق، فى هذا الكون بمثل ذلك الظرف الرهيب العجيب.

إنها كلمات الخالق الحكيم العظيم، التى يريد أن يجعل منها معجزة دالة على وجوده و قدرته و علمه و صدق نبيه.

و لذلك قال المؤرخ إدوارد جبن تعليقا على هذه النبوءة: «فى ذلك الوقت حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعا، لأن السنين الاثنتى عشرة الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية».

لو كان هذا الكلام الذى يتلوه محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، و يردده المسلمون من بعده، لو كان من كلام محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، أو من كلام البشر، لكان من المحال أن يتنبأ بمثل تلك النبوءة العجيبة الغريبة، التى تثير الدهشة، و تبعث فى أقل احتمالاتها على السخرية و الاستهزاء بالمسلمين و بقرآنهم.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۱۱

لو كان محمد صلّى اللّه عليه و سلّم هو الذى يقول القرآن من قبل نفسه، أو من قبل إيحاءات البشر إليه، كما زعمه المشركون، لتنبأ كما يتنبأ كل عاقل من البشر، لتنبأ بأن الغلبة ستكون للفرس- و لصدقه فى هذه الحالة كل مشرك و لهلل له- أو لسكت على الأقل أمام تحديات المشركين و نشوتهم بانتصار إخوانهم الفرس.

و لئن كان يريد أن يتنبأ بانتصار الروم- و لو كانت النبوءة بعيدة فاشلة- لضمن ماء وجهه، و حفظ خط الرجعة فيما لو سقطت دولة الرومان نهائيا، فلم يحدد زمن انتصارهم ببضع سنين، كما هو صريح فى الآية القرآنية، و كما جرى عليه الرهان مع المشركين على ما سنسمعه فى بقية أحداث القصة.

و لكنه حدد لهم الزمان ببضع سنين، و كأن النصر بيديه، أو كأنه مشرف عليه و ناظر إليه.

نعم .. إنه واثق كل الثقة به، لأنه يعلم أنه لم يقله و لم يفتره، و إنما هو كلام اللّه، خالق الكون و مسيره، و قد أمره أن يبلغه للناس، على ما فيه من الغرابة و البعد، ليكون آية ناطقة دالة على وجوده، و صدق نبيه فيما يخبر به من آيات ربه.

و لننظر إلى ما حدث بعد هذا الخبر.

لقد صدم خبر القرآن عن انتصار الروم الغريب على الفرس- لقد صدم هذا الخبر المشركين، و أثار دهشتهم، و دفعهم لأن يضيفوا إلى سخريتهم السابقة بالمسلمين سخرية جديدة بهذا النبأ العجيب.

إلا أن هذه النبوءة، فى تلك الآية الكريمة، كانت على العكس من ذلك عند المسلمين، إذ أعطتهم عزيمة و قوة، و زادتهم يقينا و ثقة، و لذلك خرجوا يردون على المشركين فخرهم بانتصار إخوانهم الفرس، و يبلغوا خبر اللّه فى انتصار الروم عليهم فى بضع سنين.

فقد ذكرت لنا دواوين السنة أنه حينما نزلت هذه السورة قرأها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على المسلمين فى صلاة الفجر، و كان المسلمون يحبون ظهور الروم، لأنهم

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۱۲

و إياهم أهل كتاب، و كانت قريش تحب ظهور الفرس، لأنهم و إياهم ليسوا أهل كتاب و لا إيمان ببعث.

فخرج أبو بكر رضى اللّه عنه يصيح فى نواحى مكة: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ، وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ.

فقال ناس من قريش لأبى بكر: ذاك بيننا و بينكم، يزعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس فى بضع سنين ...! أ فلا نراهنك على ذلك؟.

قال: بلى.

و كان ذلك قبل تحريم الرهان.

و ولى رهان المسلمين أبو بكر، و ولى رهان المشركين أبى بن خلف، فتراهنا على أن الروم سيغلبون الفرس فى ثلاث سنين، أو خمس سنين.

ثم عرض ذلك على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: «أ لم تكونوا أحقاء أن تؤجلوا أجلا دون العشر؟ فإن البضع ما بين الثلاث إلى العشر» ثم قال لأبى بكر:

«اذهب إليهم فزايدهم فى الرهان، و زد فى الأجل».

فخرج أبو بكر، و زادهم فى الرهان، و زادوا الأجل إلى تسع سنين.

إنه عمل الإنسان الواثق المطمئن، الذى يوقن بوعد اللّه، و يثق بنصره و نصرته .. و هل تحقق ما أخبر اللّه به ..؟.

نعم .. لقد تحقق كفلق الصبح، ليصدق الخبر، و يفرح المؤمنون بنصر اللّه، و يعرف من لم يكن قد عرف أن هذا الكلام إنما هو كلام اللّه، و ليس بكلام البشر.

يقول المؤرخون: إنه حينما حاول هرقل الفرار، بعد أن أوشكت عاصمة الإمبراطورية على السقوط، استطاع كبير أساقفة الروم أن يقنعه بعدم الهرب، و البقاء مع شعبه، ثم عرض الصلح على كسرى، فأبى كسرى ذلك، كما عرفناه أول القصة، إلا أنه بعد ستة أعوام من الحرب رضى كسرى بالصلح مع هرقل، و لكنه كان صلحا مخزيا، التزم هرقل بموجبه أن يدفع ألف تالنتTalent

من الذهب، و ألف تالنت من الفضة، و ألف ثوب من الحرير، و ألف جواد، و ألف فتاة عذراء ...

و لكن ما ذا حدث بعد هذا ..؟!.

لقد حدث بعدها العجب العجاب، إذ انقلب هرقل اللاهى اليائس إلى بطل شجاع، هجر ترفه، و انقطع عن ملذاته، و بدأ بوضع الخطط الرهيبة لهزيمة الفرس، و كان يعرف أن قوة الفرس البحرية ضعيفة، و لذلك أعد العدة البحرية، للإغارة على الفرس من الخلف، و رغم هذا كان الكثير من سكان القسطنطينية يرون أن هذا الجيش الذى يعده هرقل آخر جيش فى تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.

و شن هرقل هجومه الأول المفاجئ على الفرس الذين لم يستطيعوا مقاومة هذه الغارة، و لاذوا بالفرار.

مما أغرى هرقل أن يفاجئ الفرس مرة أخرى و ينزل بهم هزيمة ثانية، ليرجع بعدها إلى القسطنطينية عاصمته، عن طريق البحر، و يعقد معاهدة مع الأقارين، استطاع بواسطتها أن يسد سيل الفرس و يوقف تقدمهم.

و بعد ذلك شن هرقل ثلاثة حروب أخرى ضد الفرس فى سنوات ۶۲۳، ۶۲۴، ۶۲۵، و استطاع أن ينفذ إلى أراضى العراق القديم المعروفة ب «ميسوبوتانيا» عن طريق البحر الأسود.

و اضطر الفرس للانسحاب من الأراضى الرومية نتيجة لهذه الحرب، و أصبح هرقل فى مركز يسمح له بالتوغل فى قلب الإمبراطورية الفارسية، و كانت آخر هذه الحروب المصيرية تلك التى خاضها الفريقان فى «نينوى» على ضفاف دجلة، فى ديسمبر ۶۲۷ م.

و لما لم يستطع كسرى أبرويز مقاومة سيل الروم حاول الفرار من قصره المحبب إليه «دستكرد» و لكن ثورة داخلية نشبت فى الامبراطورية، و اعتقله ابنه ۸ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۱۴

«شيرويه» و زجّ به فى سجن، داخل القصر الملكى، حيث لقى حتفه فى اليوم الخامس من اعتقاله.

و لكن شيرويه هو الآخر لم يستطع أن يجلس على العرش أكثر من ثمانية أشهر، حيث قتله أخوه.

و هكذا بدأ القتال داخل البيت الملكى، و تولى تسعة ملوك زمام الحكم فى غضون أربعة أعوام، مما جعلهم عاجزين عن متابعة الحرب مع الروم، مما دفع «قباز الثانى» ابن كسرى أبرويز الثانى- إلى طلب الصلح مع الروم، و أعلن تنازله عن الأراضى الرومية، كما أعاد الصليب المقدس إلى الروم.

و رجع هرقل إلى عاصمته القسطنطينية فى مارس عام ۶۲۸ م، فى احتفال رائع حيث كان يجر مركبته أربعة أفيال، و استقبله الآلاف من أبناء شعبه خارج العاصمة، و فى أيديهم المشاعل و أغصان الزيتون ...

و عمت الفرحة أيضا صفوف المؤمنين، إذ تحقق وعد اللّه الذى وعدهم به، و صدق خبره الذى أخبر به قبل بضع سنين، فى وقته المحدد له مسبقا، و خرج المسلمون يطالبون المشركين رهانهم ... و لم يبق بعد هذه الحادثة ريبة لمرتاب، و لذلك دخل كثير من المشركين فى الإسلام إثر هذه الحادثة، كما تروى لنا كتب الحديث عن أصحاب رسول اللّه.

أ فيجوز لعاقل بعد أن يرى مثل هذه الحادثة، و يسمع مثل تلك القصة أن يقول: إن هذا القرآن من كلام محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، أو أنه من إيحاءات و تعاليم البشر ...؟.

إنه لمن أبسط صور العدل و الإنصاف أن يقول كل من يسمع مثل هذا:

إن هذا لا- يمكن أن يصدر عن البشر، لأن البشر مهما كانت طاقاتهم، و مهما بلغت إمكانياتهم، و مهما زادت تفوّلاتهم، لن يتمكنوا من مثل ذلك الفأل الغريب البعيد، و لئن تمكنوا من مثله، فلن يتمكنوا من تحديده بذلك الزمن القريب.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۱۵

إنه إخبار اللّه عن الغيب الذى يعلمه، و الذى لا- بد له أن يقع على نحو ما يعلمه، ليعلم من فاته العلم أن هذا من المعجزات الباهرة الناطقة الدالة على أن هذا القرآن من كلام اللّه.

معجزة أخرى ضمن هذه المعجزة:

لم يكن هذا الذى ذكرناه من هذه المعجزة هو كل ما فى الآية من الإعجاز، بل كان فيها معجزة أخرى، حملتها نبوءة ثانية ضمن النبوءة الأولى، ألا و هى قوله تعالى: وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ.

ما هو النصر الذى سيفرح به المؤمنون؟ هل هو انتصار الروم على الفرس؟ أم هو شىء آخر وراء ذلك؟.

إن مما يتبادر إلى الأذهان أن الفرح حينذاك إنما هو بانتصار الروم على الفرس، كما هو متبادر من سياق الآية، و مبعث هذا الفرح تحقق وعد اللّه و إخباره.

إلا- أن الحقيقة هى أن فرح المؤمنين كان بشىء آخر وراء ذلك، ألا- و هو انتصارهم فى غزوة بدر الكبرى .. إذ كان وقت انتصار الروم و وقت انتصار المؤمنين فى غزوة بدر الكبرى، فى وقت واحد.

إنه لأمر مذهل مدهش، نبوءة ضمن نبوءة، و كل منهما أبعد من الأخرى، و كلاهما يقع دون تخلف أو تأخر.

مما يدفعنا و يدفع كل عاقل أن يقول: اللهم إنا لنشهد أن هذا يستحيل أن يصدر عن أحد سواك.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۱۶

۴- الاخبار عن عصمة اللّه لرسوله من الناس

و هذا ضرب آخر من الإعجاز فى الإخبار عن المغيبات، ربما كان أبلغ فى الدلالة على أن القرآن من عند اللّه و من كلامه، و ليس من صنع البشر، و لا- من إيحاءاتهم، و ذلك لأنه فى هذه المرة يتعلق بشخص نبينا عليه أفضل الصلاة و السلام، فهو من الأمور التى تستحيل فيها المزايدات، و يستحيل فيها التغرير و الخداع و المجاملات.

إننا جميعا نعرف ما كان يلاقيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من عنت، بسبب أذى المشركين.

كما أننا جميعا نعرف أن كثيرا من المشركين كانوا يتربصون برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الدوائر، و ينتهزون الفرص لإلحاق الأذى به، بل لقتله إن وجدوا لذلك سبيلا.

و لذلك حرص رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من مكرهم و تربصهم به، و اتخذ لنفسه حرسا من أصحابه، يرقبون له الطريق، و يحفظونه من كيد العدو ... إلى أن نزل قول اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ، وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.

أخبر اللّه نبيه عليه الصلاة و السلام بأنه سيحفظه من الناس، و أمره أن لا يلقى لهم بالا، و لا يخشى منهم بأسا.

إنه لأمر غريب ... الأعداء كثر، و أقوياء، و ذوو بأس، و المؤمنون قلة، و ضعفاء، يتوارون من الخوف، و يستترون من الضعف، و رغم هذا، و رغم احتياج رسول اللّه للحراسة و الاستتار ... رغم هذا كله يؤمر بمثل هذا الأمر الغريب.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۱۷

و يخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أصحابه بما أوحى إليه، و يأمرهم بالانصراف عن حراسته، و يقول لهم: إن اللّه كفل له ذلك ... فلم يعد بحاجة إليهم ... كما يخبرنا بذلك أصحاب السير، و كما تروى كتب الحديث.

إن كثيرا من طغاة هذا الكون عبر التاريخ قد قتلوا و هم بين جنودهم و حراسهم، رغم اتخاذهم أشد تدابير الحيطة و الحذر ... و محمد صلّى اللّه عليه و سلّم رغم إعلان الحرب عليه من قبل أعدائه، و رغم تهديداتهم المتكررة له بالقتل، يأمر حراسه بالانصراف عنه بقوله: «أيها الناس .. انصرفوا .. فقد عصمنى اللّه» «۱» و يمشى وحده، لا يهاب أحدا، و لا يحسب حسابا لأحد.

أو كان يمكن لمن كان فى مثال حال محمد صلّى اللّه عليه و سلّم من الضعف، و المطاردة، و التهديدات المتوالية أن يخدع نفسه بمثل هذا الأمر الخطير ...؟!.

إن كل عاقل فى الأرض يقول: لا ... إنه من المستحيل أن يخدع أى إنسان نفسه بمثل هذا، و لا سيما إذا كان فى ظرف كظرفه.

و لو كان هذا القرآن من صنع رسول اللّه لكان مخادعا نفسه قبل أن يكون مخادعا لأصحابه، فى مثل هذه الآية، و مثل هذا التصرف العجيب.

و لكنه الدليل القاطع، و البرهان الساطع، الذى يتلألأ فى سماء الحقيقة، التى لا تدع مجالا للشك فى أن هذا القرآن لم يكن من صنع البشر، و إنما هو كلام خالق الإنسان، و مالك زمامه و تصرفاته.

و لقد بقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم طيلة حياته على هذه الحالة، و قد حقق اللّه وعده، و حفظه من بأس عدوه.

عند ما هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لم يكن معه أحد من الحرس، و إنما هى حراسة عين اللّه التى لا- تنام ... و حاول المشركون قتله، و لكن اللّه الذى عصمه من الناس صرف الناس عنه، و هو أمام أعينهم، و بين ظهرانيهم، فى فراشه،

---

(۱) الطبرانى عند أبى سعيد، و انظر: الدر المنثور ۲/ ۲۹۹.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۱۸

قبل أن يغادر مكة، و فى الغار، بعد أن غادرها من بين صفوفهم.

و لما لحق به سراقة بن مالك ليقتله، كانت النتيجة أن طلب الأمان من رسول اللّه لما رأى من آية اللّه فى حفظ رسوله.

و كان أصحاب رسول اللّه إذا أتوا فى سفر على شجرة ظليلة، تركوها له، فلما كانت غزوة ذات الرقاع، نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تحت شجرة، و علق سيفه فيها، فجاء رجل من المشركين، فأخذ السيف، فاخترطه، و قال للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم:

أ تخافنى؟ قال: «لا»، قال: من يمنعك منى؟ قال: «اللّه يمنعنى منك، ضع السيف» فما كان من المشرك إلا أن وضعه، كما رواه مسلم فى صحيحه.

و من أبلغ الشواهد فى هذا الموضوع، ما ثبت من أنه صلّى اللّه عليه و سلّم فى يوم حنين، حين أعجبت المسلمين كثرتهم، و أدبهم اللّه بالهزيمة حتى ولوا مدبرين، أنزل اللّه سكينته على رسوله، حتى لقد جعل يركض بغلته إلى جهة العدو، و العباس بن عبد المطلب آخذ بلجامها، يكفها، إرادة ألا تسرع، فأقبل المشركون إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فلما غشوه لم يفر، و لم ينكص، بل نزل عن بغلته، كأنما يمكنهم من نفسه، و جعل يقول: «أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» كأنما يتحداهم و يدلهم على مكانه، فو اللّه ما نالوا منه نيلا، بل أيّده اللّه بجنده، و كفّ أيديهم عنه بيده. كما رواه البخارى و مسلم.

و لقد وصل الأمر بأصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى أن صاروا يتقون به بأس العدو، و يحتمون به فى شدة المعركة.

فقد روى عن على رضى اللّه عنه أنه قال: «كنا إذا احمر البأس، و حمى الوطيس، اتقينا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فما يكون أحد منا أقرب إلى العدو منه».

لقد أخبر اللّه بحمايته، و أنجز له ما وعد، و إن فى ذلك لأكبر الشواهد على إعجاز القرآن .. فهل من مدكر ..؟!.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۱۹

۵- الاخبار عن حفظ القرآن إلى يوم القيامة

اشارة

لقد بعث اللّه نبيه محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم، ليس نبيا للعرب، بل رحمة للعالمين.

و ليس لزمان معين و مكان مخصوص، و إنما لكل زمان و مكان إلى قيام الساعة.

إذن فهو يخاطب كل من فى الأرض، من عربى و أعجمى، و مشرك و كتابى، و ملحد و مادى.

و أنزل عليه القرآن الكريم، كتابا يتلى إلى يوم القيامة، ناسخا لكل كتاب قبله، من التوراة، و الإنجيل، و غيرهما من الكتب السماوية، فيجب على كل إنسان أن يدين اللّه به، حتى عيسى عليه السلام عند ما ينزل فى آخر الزمان سيكون حاكما به و تابعا له، و حتى موسى لو كان حيا لما وسعه إلا اتباعه.

إذن فمهمة رسول اللّه شاقة، و دعوى القرآن عريضة، و المجابهة حينما تقوم، لن تكون مجابهة بين رسول اللّه و قومه خاصة، بل بين رسول اللّه و كل من يدعى إلى دينه من أهل الأرض.

و الثورة التى ستقوم ضد القرآن، لدعواه التفرد بأحكام اللّه إلى يوم القيامة، من بين سائر الكتب الموجودة على الأرض، هذه الثورة لن تكون من قبل العرب فقط، بل من قبل كل صاحب دين، أو نحلة، أو ملة.

نعم .. لقد نزلت آيات القرآن الكريم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تدعو الناس جميعا، و تتحدى الناس جميعا، بل تتحدى كل موجود على الأرض، أو فى الكون، من الإنس و الجن ..

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۲۰

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً.

و ما هو حال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حين تلا هذه الآيات ..؟ هل كان فى حالة العز و المنعة و القوة ..؟ إذا فهو جدير بأن

يعمل مثل هذا أو أن يقول مثل هذا؟.

و لكن الحقيقة أنه كان فى حالة من الضعف، و عدم وجدان الناصر أو المعين، جعلته يحتمى بعمه أبى طالب، و جعلت كثيرا من أصحابه يتوارون خوفا من ثأر المشركين، أو يهاجرون طلبا لحياة الأمن ...

فالظروف كلها ضد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و ضد القرآن، و كل من يراقب مجرى الأحداث، و يعرف التحديات التى أتى بها القرآن لكل من فى الأرض، كان يتوقع أن تندثر تلك الدعوة، كما كان يتوقع أن يزول القرآن و تنسى آياته، شأنه فى ذلك شأن كثير من المبادى التى مرت بها ظروف مشابهة للظرف القرآنى، بل ربما كانت فى ظروف أحسن بمئات المرات من ظروف القرآن، و لكنها مع ذلك زالت من الوجود، و محيت من الأذهان، و لم يبق لها من الذكر إلا ما يكتب عنها فى بطون كتب التاريخ فى أحسن أحوالها.

فى هذه الظروف التى صورناها، نزل قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ، وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ.

تحد جديد يضيفه القرآن إلى تحدياته السابقة، لا يخاطب به العرب، و إنما يخاطب به كل عاقل فى الأرض، و يتحداه، بكلام يعتبر من أكثر أنواع الكلام تأكيدا، و أوضحه مضمونا.

و ذلك أنه ألقاه مؤكدا بثلاثة أنواع من التأكيد، ليزيل به أى شبهة أو شك يمكن أن يعترى العقل الإنسانى، من إمكانية احتمال التخلف فى هذا الخبر عند قائله و منزله.

فأكد أول الكلام ب «إنّ» فى قوله: «إنا».

ثم أكد بلام التأكيد أو اللام المزحلقة فى قوله: «لحافظون».

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۲۱

ثم أكد ثالثا بالجملة الاسمية التى تفيد الاستمرار و الدوام الدوام.

بحيث لا يدع للقارئ أو السامع مجالا فى أن قائل هذا الكلام مصر عليه، جازم به، لا يتردد فى تنفيذه و إثباته على نحو ما أخبر به، على عادة العرب فى إلقائهم للكلام المؤكد.

كما أكد نسبة هذا الكلام إليه، و أنه هو الذى أنزله بقوله: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ.

إنه إخبار عن غيب مجهول، إلى مدى بعيد، يطول طيلة استمرار الحياة، بدعوى عريضة، لا يضمن الإنسان تحقق وجودها حالة حياته، حينما تكون كل الظروف مواتية له، علاوة عن إمكانية تحققها بعد موته، فكيف بها و كل الظروف معادية لها، عاملة على إبطالها، و لا يتوقع أبدا أن تسير فى القريب العاجل لصالحها، على الأقل كما كان يتوهم مشركو مكة، و معلنو الحرب على الإسلام و القرآن.

إنها الدعوى بأن هذا القرآن محفوظ من قبل منزله، إلى قيام الساعة، لن يتمكن أحد من أهل الأرض، مهما بلغوا فى قوتهم، و عنادهم، و طغيانهم، لن يتمكنوا من أن يقضوا على هذا القرآن، و سيحفظه اللّه إلى قيام الساعة ليدل بهذا كل من سينظر فى القرآن أنه من كلام اللّه.

و فى نفس الوقت، نزلت دعوى جديدة أخرى، متممة لهذه الدعوى، فيها إخبار عن غيب بعيد مجهول، فيه بيان نوع الحفظ الذى سيحفظ اللّه به قرآنه، و ذلك فى قوله تعالى: إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ، لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

لا شك أن كل عربى سمع هذا الكلام فى ذلك الوقت، لا شك أنه أخذته الدهشة، و تملكه العجب، أمام هذه النبوءة العجيبة، عن غيب بعيد لا يدرى ما ذا ستحمله الأيام فيه، سواء أ كان ذلك فى صالح القرآن، أم فى غير صالحه، و لا شك أن كل من يهمه أمر القرآن ممن عاداه من أهل الأرض، كانت

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۲۲

تهمه هذه النبوءة، و يتمنى أن يرى نقيضها، ليدل على إيجاد التناقض فى هذا القرآن.

لقد تكفل اللّه بحفظ القرآن الكريم و استمراره استمرار الحياة، كما تكفل بحمايته من التبديل و التحريف، و التغيير و التزييف، فلا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه.

إن دعوى الحفاظ على القرآن من يد التبديل و التحريف دعوى عريضة، و لا سيما بعد أن عرفنا الظروف القاسية التى كان يمر بها المسلمون حينما نزلت هذه الآيات ..

إننا لا نكاد نجد على وجه الأرض كلاما يحافظ على معناه و لفظه إلى الأبد، دون أن تتبدل بعض ألفاظه، أو تتغير بعض معانيه.

فهذه الكتب السماوية السابقة، رغم كثرة أتباعها، و حرصهم عليها، قد بدلت و غيرت، و حرفت و زيفت، حتى أصبحت مغايرة لأصولها، و منافية لها.

و ليس هذا شأن الكتب السماوية فقط، بل هو شأن كل منقول يطول عليه الأمد.

إننا حينما نقرأ اليوم شعرا لبعض شعراء الجاهلية نجد فيه اختلافا كثيرا، و قلما يخلوا البيت الواحد من القصيدة- قلما يخلو من تغاير فى ألفاظه، بسبب الرواة قديما، و بسبب تعدد النسخ حديثا، رغم حرص العرب على نقل الشعر، و التغنى به، و الفخر بمضمونه، و لا سيما أنه كان المعبر عن أيامهم، و الحافظ لسيرتهم و تاريخهم، و كرمهم و مآثرهم، و أمجادهم و بطولاتهم.

و هذا لا نجده فى الشعر الجاهلى فقط، بل نجده فى الشعر الإسلامى، فى كافة العصور، رغم كثرة الرواة و شيوع الكتابة و التدوين.

بل إننا لنجد اختلافا فيما ينقل إلينا من مائتى أو مائة عام، أو ما دون ذلك، و هذه طبيعة النقول.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۲۳

و هذا الاضطراب أو الخلاف، لا نجده فقط فى رواية الشعر، بل نجده فى متن اللغة، و كتب التراث حينما نحققها، و ربما اختلفت الأحكام، و تغيرت المعانى بسبب اختلاف النسخ، و ضبط الناسخين.

بل إننا نزيد على ذلك و نقوله: إن الاختلاف بين الرواة فى النقل، بسبب جودة الحفظ أو رداءته، و بسبب الضبط و عدمه، و بأسباب أخرى معروفة مضبوطة فى علوم الحديث- أدى هذا إلى الاختلاف فى متن حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و لا سيما و قد أجاز المحدثون الرواية بالمعنى، لمن عرف العربية، و أدرك المعانى و الأحكام، بضوابط رسموها فى قواعد الرواية، مما اضطر العلماء إلى تصنيف قواعد الترجيح بين الروايات المختلفة عند تعارضها، مما هو معروف عند علماء الأصول.

لقد كان من المتوقع لكل ذى عقل، أن ينال القرآن ما ينال غيره من الكتب، من الاختلاف و الاضطراب، و التغيير و التبديل، بين النّسخ، و بين الأقاليم و الأمم.

و لكن اللّه أراد أن يطمئن رسوله و المؤمنين إلى أن هذا القرآن لن يكون كغيره من الكتب و المنقولات التى تغيرت و تبدلت، و ذلك لأن تلك الكتب قد و كل حفظها إلى البشر، و لذلك كان لا بد من الاضطراب و الاختلاف فيها، و أما القرآن فقد تكفل اللّه بحفظه و بقائه.

و مرت الأيام، و تتابعت السنون و القرون، و مر المسلمون فى حالات من القوة و العزة و المنعة و الرفاهية، كما مروا فى حالات من البؤس و الذل و الهوان، و القرآن رغم كل هذا لم يتأثر، بل لم يزدد إلا قوة و ثباتا.

يقرؤه المسلم فى اليمن، بنفس الصيغة و الرسم اللذين يقرؤه بهما المسلم فى الصين، و يقرؤه المسلم فى أوروبا، كما يقرؤه المسلم فى أمريكا، كما يقرؤه المسلم فى إفريقيا و مكة المكرمة أو المدينة المنورة، أو الشام، أو مصر.

صيغة واحدة، و رسم واحد، لا زيادة فيه و لا نقص، و لو بحرف واحد.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۲۴

نرجع إلى النسخ التى كتبت منذ أربعة عشر قرنا، فنجدها بنفس الكلمات و الحروف التى كتبت بها النسخ بعد ذلك بقرن، أو قرنين، أو ثلاثة، أو عشرة، إلى يومنا هذا.

و الأعجب من ذلك أن المسلم الصينى، أو الروسى، أو الأوروبى، أو الإفريقى، أو الأمريكى، يقرأ القرآن بلغة العرب التى أنزل فيها، فى كثير من الحالات، بل فى أكثرها لا يفهم معناه، و لكنه رغم هذا، يقرؤه و يحفظه، بنفس الصيغة و الأسلوب اللذين كان يقرأ بهما القرآن فى زمن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و فى كل زمان و مكان، و كما يقرؤه المسلم العربى الذى يكاد يفهم معنى كل حرف من حروفه، و كل كلمة من كلماته.

ما السر فى هذا؟.

و كيف ثبت القرآن هذا الثبوت؟.

و كيف وصل إلى هذه المرحلة، خلال هذه القرون الطويلة التى ما أتت على شىء إلا و بدلته و غيرته ..؟.

إنه إعجاز القرآن الغيبى .. الذى أخبر اللّه عنه من أربعة عشر قرنا:

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ، وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ، لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

و لكن ... هل هذا كل ما فى الأمر من هذه المعجزة الغيبية ...؟.

الجواب: لا ..

إن وجه الإعجاز سيظهر جليا واضحا اليوم، فى العصر الحاضر، أوضح مما ظهر فى أى يوم من الأيام ...

لقد دارت الدائرة على دولة الإسلام، فانهارت خلافتها، و تمزقت وحدتها، و قامت الحدود الإقليمية المصطنعة بين أبنائها، فجعلت منهم العربى و الأعجمى، ثم قامت الحدود بين أبناء الأمة العربية ذاتها، و قسمت البلاد العربية إلى دول و دويلات، و فى كل هذا التراجع، تتراجع راية المسلمين، و تلين عزيمتهم، و تضرب حولهم السدود المنيعة حتى لا يقووا على الحركة و النهوض.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۲۵

فقد تداعى الشرق و الغرب، من اليهود، و النصارى، و الماديين الملحدين للقضاء على الإسلام، و إلا قضى عليهم.

و تسابق فلاسفة هذه الدعوة لوضع الخطط الكفيلة بهدم ذلك الصرح الشامخ الذى بناه الآباء و الأجداد خلال مئات السنين، فى أعظم و أسرع حضارة عرفتها الإنسانية خلال تاريخها الطويل.

و تظاهر المبشرون و المستشرقون فى مؤتمرات عديدة لمثل هذه الغاية، و كان مما قرروه و عزموا عليه، هو القضاء على القرآن، الذى عرفوا أنه سر من أسرار التماسك و الاتحاد بين المسلمين، فقالوا:- و قائلهم غلادستون رئيس وزراء بريطانيا- ما دام هذا القرآن موجودا فى أيدى المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق «۱».

و قال الحاكم الفرنسى فى الجزائر، فى ذكر مرور مائة سنة على استعمار الجزائر:

«إننا لن تنتصر على الجزائريين ما داموا يقرءون القرآن، و يتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربى من وجودهم، و نقتلع اللسان العربى من ألسنتهم» «۲».

إذن لا بد من شن حملة على الإسلام و القرآن، تستأصله من بين أيدى المسلمين، و ترفعه من أوساطهم، لتتحقق التفرقة التى يحلم بها أعداء هذا الدين.

لقد قرروا هذا و هم يملكون من القوى ما تمكنوا بواسطته من إزالة كثير من الحضارات، و تغيير كثير من الخرائط، و إنشاء أو إفناء كثير من الدول.

إذن ففى وهمهم أنهم سيتمكنون من الوصول إلى هذا الهدف الذى المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى ۱۲۵ ۵ - الاخبار عن حفظ القرآن إلى يوم القيامة ..... ص : ۱۱۹

---

(۱) الإسلام على مفترق طرق لمحمد أسد ص ۳۹.

(۲) المنار عدد ۹- ۱۱- ۱۹۶۲.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۱۲۶

رسموه، يتحدون بذلك ليس إرادة البشر، و إنما إرادة اللّه، و يثبتون أن خبر القرآن كان كاذبا حينما ألقى إلى محمد صلّى اللّه عليه و سلّم: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ.

و لكن هل وصلوا إلى ما أرادوا ..؟

لقد تمكن المخططون من الوصول إلى كثير من مآربهم فی أمتنا الإسلامية، فنقضوا الخلافة، ثم مزقوا الأمة، ثم كروا على دور العلم الإسلامية فقضوا عليها، بالتطوير تارة، و بتجزئة المناهج تارة أخرى، ليحولوا بين الناس و بين ينابيع ثقافتهم الإسلامية، ثم بثوا فی صفوف المسلمين مناهجهم التعليمية، و ما زالوا يعملون و يدأبون إلى أن وصلت أمتنا إلى ما لا تحسد عليه، مما يسر العدو، و يحزن الصديق، إذ كادت تندثر فی صفوفها كثير من العلوم الإسلامية، و العربية، فعلوم الفقه، و الأصول، و التفسير، و الحديث، لم يبق منها اليوم إلا أطلال دارسة، و معاهد خاوية.

و علوم اللغة اندثرت أو كادت، مما يهدد بكارثة فی جانب علوم الشرع بأسرها.

و كل هذا لم يكن من قبيل الصدفة، و إنما كان نتيجة لتخطيط ماكر رهيب.

و يضاف إلى كل هذا أن أعداءنا نشروا فی أوساط الأجيال المعاصرة روح الإلحاد و الإباحية، حتى لم تعد للقرآن أية قيمة فی نفوسهم، كما أنه لم تعد للفضيلة مكانة عندهم، و صار كثير منهم يهزأ هو نفسه بالقرآن و بتعاليم القرآن بدلا من أن يهزأ بها عدوه.

و إلى جانب هذا وصل المسلمون إلى حالة من الضعف و الوهن، لم يصلوا إليها طيلة تاريخهم الطويل، حتى أصبحوا هدفا لحملات الإبادة الإفرادية و الجماعية، فی معظم بقاع العالم، و هم الآن لا حول لهم و لا طول، مثلهم مثل

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۱۲۷

الشاة التی تنتظر دورها فی المسلخ أمام الذباح ...؟

و لكن و ثانية ما ذا حصل للقرآن فی تلك الخطة المرسومة للقضاء عليه، و قد استطاع أعداؤه أن يصلوا لكل ما رسموه فيما سواه من مظاهر الإسلام و العلوم الإسلامية ...؟!.

لقد كان الأمر بالنسبة للقرآن على العكس تماما مما حدث لجميع العلوم الإسلامية التی ذكرناها، و التی استغنينا بما ذكرناه عن ذكرها، علما بأنه كان هو الهدف الرئيسی، أو من أهم الأهداف الرئيسية فی تلك الحملة الصليبية الخطيرة، التی قامت، و ما تزال قائمة إلى يومنا هذا.

لقد كانت دور تحفيظ القرآن محصورة فی بعض بقاع العالم الإسلامی، و أما اليوم، و رغم بعد الناس عن دينهم، و رغم بعدهم عن لغتهم، و من ثم عن فهم قرآنهم، فقد انتشرت مدارس تحفيظ القرآن فی معظم بقاع العالم الإسلامی.

و إن الإنسان ليدهش حينما يجد الآلاف من الأطفال يتخرجون كل عام حفظة للقرآن الكريم، من ماليزيا، فی جنوب شرق آسيا، إلى مكة قلب جزيرة العرب، و فی معظم بلاد الإسلام، إلى جانب ما يرصد لحفظة القرآن من الجوائز فی بعض الأحيان، مما لا يخفى على كل من يتتبع أحوال القرآن و حفاظه فی جميع أنحاء العالم الإسلامی، حتى وصل الأمر لبعض المؤسسات التعليمية الإلحادية فأخذت ترصد الجوائز، و تعمل المسابقات لحفظ القرآن الكريم ...؟.

كما أصبحت طباعة القرآن، و العناية به من المظاهر التی يتباهى بها كثير من الدول و الحكام فی العالم.

فكثير من الحكام نشروا القرآن بأسمائهم، و طبعوه على نفقاتهم.

و كثير من الدول عملت هذا باسم الدولة التی نشرته.

و إن الإنسان ليعجب حينما يعلم أن روسيا- رائدة الإلحاد فى العالم- قد طبعت القرآن، و هى توزعه على الزائرين و الضيوف و بعض المسلمين فى الاتحاد السوفيتى؟.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۲۸

كما أن أجمل طبعة للقرآن و آنقها كانت فى المانيا الغربية رائدة الحروب الصليبية ...؟.

لقد كانت قراءة القرآن فى الماضى مقصورة على من يعرف القراءة، و أما اليوم فقد صار بإمكان المسلم- ممن يقرأ و لا يقرأ- أن يسمع القرآن، و يتعلم تجويده و يحفظه، بعد أن سجل القرآن الكريم على الاسطوانات، ثم على الأشرطة، بأصوات أمهر القراء فى العالم الإسلامى، و بالقراءات المختلفة من السبعة المتفق على تواترها، فصار بإمكان الأمى، و القارئ، و البدوى، و الحضرى، و العربى، و الأعجمى، أن يستمع إلى القرآن متى شاء، و فى أى زمان أو مكان، و أن يتعلمه و يحفظه ..؟.

المدارس تعمل المسابقات لحفظ القرآن، و الجامعات تعمل أيضا المسابقات، و بعض الدول الإسلامية النائية كماليزيا مثلا تعمل سنويا مسابقة دولية لحفظ القرآن و ترتيله، و الحكام يسارعون للتفاخر بنشر القرآن على نفقاتهم، بأسمائهم أو بأسماء دولهم، و الإذاعات تتسابق لتسجيل القرآن بأصوات القراء، و دور النشر تعمل كل ما فى وسعها من أجل جذب الزبائن عن طريق إصدار أجمل الطبعات للقرآن ...؟

إن كل من يرى هذه الظاهرة اليوم ليقول: إنه من المستحيل إزالة القرآن من الوجود، أو إبعاده عن الناس، بعد أن وصل إلى ما وصل إليه من الثبات و التوثيق فيما ذكرناه من الوسائل.

و لذلك باءت كل محاولات التزوير أو التحريف التى قام بها اليهود و أعوانهم فى العالم، بنشر بعض الطبعات المحرّفة للقرآن، لأنه لم يعد هناك أى مجال لمثل هذه المحاولات اليائسة، بعد أن وصل القرآن إلى ما وصل إليه.

أ ليس هذا دليلا على مصداق قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ، وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ؟.

أو ليس فى هذا دليل على حفظ اللّه قرآنه من التبديل و التغيير و التحريف فى قوله تعالى: إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ، لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ،

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۲۹

تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ؟.

أو ليس فى هاتين الآيتين ما يبهر العقول من الإعجاز الغيبى فى كتاب اللّه ..؟.

أو ليس هذا دليلا على أن هذا القرآن من عند اللّه، و من كلامه، لا من كلام البشر، و إلا لما استطاع أى إنسان فى الأرض أن يجزم بحفظ القرآن على نحو ما ذكرناه.

بلى اللهم إنا لنشهد على أن فى هاتين الآيتين من الإعجاز الغيبى ما يفحم به المعاند، و يذعن له المنصف العاقل.

۹ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۳۰

۶- الاخبار عن عجز البشر عن تحدى القرآن إلى يوم القيامة

لقد نزل القرآن الكريم فى أمة الفصاحة و البلاغة و البيان، كما قدمنا ذلك و بيناه.

نزل بلغة هذه الأمة، و جرى على أساليبها فى الخطاب، و الخبر، و المحاورة، و تصرف فى تلك الأساليب كما كان يتصرف العرب.

إلا- أنه فى نفس الوقت كان المعجزة اللغوية الحية الناطقة، الدالة لكل عربى تذوق لغته و عرفها على أن هذا القرآن ليس من عند البشر، لما احتواه من أساليبه المعجزة، فى كل سورة من سوره، و إنما هو من عند اللّه، و لذلك تحداهم اللّه به.

و نحن لا نريد الآن أن نعيد ما تقدم، و إنما نريد أن نبين وجها من وجوه الإعجاز الغيبى فى آيات التحدى بالقرآن.

لقد تحدى اللّه العرب بالقرآن فى مكة فى ثلاثة مواطن، تحداهم فى سورة الإسراء، أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فقال: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ، لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً.

ثم كان التحدى فى سورة هود، ليس بكل القرآن، و إنما هو بعشر سور مثله، فقال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ، وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ».

ثم ترقى التحدى إلى التحدى بسورة واحدة من سور القرآن، فقال تعالى فى سورة يونس: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ، قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۳۱

مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ.

و كان كل من يهمه أمر القرآن، من مشرك أو مؤمن، يترقب نتيجة هذا التحدى، و يتمنى كل مشرك لو أنه وقع، إلا أنه لم يقع طيلة فترة القرآن المكى قبل الهجرة، على ما بيناه.

و بعد الهجرة نزلت آيات القرآن الكريم، ليس فقط بالتحدى للمشركين بسورة واحدة من سور القرآن، بل بأمر آخر أعجب و أغرب، و فيه دلالة قاطعة أخرى على إعجاز القرآن، و أنه ليس من صنع البشر، ألا و هى الجزم بأن القرآن لن يعارض، و لو فى سورة واحدة من سوره، فقال تعالى فى سورة البقرة:

وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَ لَنْ تَفْعَلُوا، فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ.

إن التحدى لم يعد قاصرا على معارضة القرآن، و إنما أصبح بأمر آخر غيبى، لا يمكن لأحد من البشر أن يتنبأ به بمثل هذا الجزم و هذا التأكيد، ألا و هو أن هذا القرآن لن يتحدى، و بأن العرب و كل من فى الأرض، و بكل تأكيد سيعجزون عن معارضة القرآن إلى يوم القيامة.

أما الشق الأول من التحدى، و هو التحدى بمعارضة القرآن، و لو بسورة واحدة من أقصر سوره، فقد ثبت عجز العرب عنها كما رآه و أدركه كل عربى من المشركين و المؤمنين على السواء، و كما اعترف به أساطين الشرك و زعماء البلاغة و البيان فى مكة، على ما ذكرناه من قبل، مما ثبت معه إعجاز القرآن.

و أما الشق الآخر ألا و هو الجزم بأمر غيبى، فلا سبيل لأن يدركه أحد ممن عاصر نزول القرآن و قيام التحدى، و ربما وقع فى نفوس بعض المشركين أو المعادين للإسلام من اليهود و النصارى و المنافقين، ربما وقع فى نفوس بعضهم أنه إذا لم يتمكن أهل الجيل الأول من معارضة القرآن، فإنه من المحتمل أن يعارضه أهل الجيل الثانى، و هذا احتمال يقبله العقل المجرد و لا يدفعه.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۳۲

و لكن الواقع حسبما هو معروف فى تاريخ الإسلام و القرآن يثبت أن المعارضة لم تقع، رغم تكرر الأيام، و توالى القرون و الأعوام، و رغم كثرة الحريصين على هذه المعارضة، و المهتمين بها، إذ لو وقعت لانتشرت انتشار النار فى الهشيم، و لشاعت و ذاعت، و ملأت الدنيا ضجيجا، و لكانت رمز الفخار لكل من رفض الإسلام و أبى الإيمان.

و هذا إلى جانب ما اكتشفناه فى هذا العصر من الإعجاز العلمى فى القرآن، مما جعل كل عاقل يدرك أن من المستحيل أن يأتى البشر بأى كتاب كهذا الكتاب، يخوض فى كل جوانب الكون و النفس و الحياة، دون أن يوجد فيه أى خلل أو تناقض، بل تأتى العلوم التى بذل الإنسان من أجلها و ضحى، تأتى لتثبت صدق القرآن فى كل ما أخبر به أو خاض فيه من أمور الكون و الحياة ... دون أى اضطراب، أو تناقض، أو خلل، كما بيناه، و كما سنبنيه إن شاء اللّه.

و لذلك كانت هذه الآية المخبرة عن هذا الأمر الغيبى العجيب معجزة ناطقة، لا لأهل الجيل الأول، بل لكل جيل إلى يومنا هذا، و إلى يوم القيامة، إذ أدركنا أن المعارضة لم تقع أبدا، على نحو ما أخبر اللّه به فى القرآن قبل أربعة عشر قرنا من الزمان.

و لذلك ذهب الإمام الزمخشرى إلى أن «لن» تدل على النفى المؤبد، لا على مطلق النفى، مستدلا بهذه الآية الكريمة.

إذن فإننا حينما نقرأ قوله تعالى: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا يجب علينا أن نذعن إذعانا يقينا إلى أن هذا القرآن ليس من صنع البشر، و إنما هو من كلام علام الغيوب، الذى أخبر عما علم من حال خلقه أنه سوف لا يكون بوسعهم معارضة القرآن و إن اجتمع إنسهم و جنهم على قلب رجل واحد، و كان الأمر إلى يومنا هذا على نحو ما أخبر اللّه به، و سيبقى كذلك إلى يوم القيامة، ليدل كل من ينظر فى القرآن من أهل كل جيل على أن هذا القرآن هو المعجزة الدالة على أنه من وحى الخالق و كلامه، لا من صنع البشر.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۳۳

۷- الاخبار عن دخول مكة

لقد رأينا فى الفقرات السابقة كيف أن نبوءات القرآن كلها قد وقعت على نحو ما أخبر به القرآن، دون أن يتخلف واحد منها.

و من هذا القبيل، و مما رأى المسلمون تحققه فى زمن وجيز، و على التحديد خلال سنة من تاريخ الإخبار تقريبا- ما كان من أمر دخول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مكة.

فقد أخرج الفريابى، و عبد بن حميد، و ابن جرير الطبرى، و ابن المنذر، و البيهقى فى دلائل النبوة، عن مجاهد قال: «أرى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و هو بالحديبية، أنه يدخل مكة هو و أصحابه آمنين محلقين رءوسهم و مقصرين» «۱».

فقص رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم رؤياه على أصحابه، ففرحوا، و ظنوا أنهم سيدخلون فى ذلك العام، بناء على ما فهموه من رؤيا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، لأن رؤيا الأنبياء حق، لا ريب فيه، بل هى من أنواع الوحى.

إلا- أن الأمر جرى على خلاف ما أخبر به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و وقع ما لم يكن بالحسبان، إذ خرجت قريش، و صدت المسلمين عن البيت، و منعتهم من أداء العمرة، و كادت تكون حرب، بين المسلمين و المشركين، و هو الأمر الذى لم يخرج المسلمون له و ما أرادوه، لو لا أن الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم رضى الصلح الذى اشتهر بصلح الحديبية، على أن ينحر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أصحابه الهدى فى مكانهم، و يحلقوا رءوسهم، و يرجعوا، حتى إذا كان العام المقبل، يخلى له المشركون الحرم و مكة ثلاثة أيام، يؤدى فيها نسكه مع أصحابه، شريطة أن لا يدخلوها بسلاح، و لا

---

(۱) الدر المنثور ۶/ ۸۱.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۳۴

يخرج معهم أحد من أهل مكة.

فنحر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم هديه، و حلق رأسه، و قفل راجعا إلى المدينة.

فعز ذلك على أصحابه و آلمهم، و سر المنافقين، و أعطاهم مادة جديدة للبلبلة بين المسلمين، فقال عبد اللّه بن أبىّ رأس النفاق: و اللّه ما حلقنا، و لا قصرنا، و لا رأينا المسجد الحرام ....، يشير إلى رؤيا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم التى رآها، و أخبر بها أصحابه، و رؤياه كما هو معروف لجميع المسلمين حق و وحى، فكيف تخلفت فى هذه المناسبة ..؟!.

و على الرغم من حرج الموقف، و على رغم ما هو معروف من غدر قريش، و نكثهم العهود و المواثيق، و تعطيلهم الأرحام، نزلت الآية الكريمة، تؤكد رؤيا رسول اللّه، و أنها حق لا ريب فيه، تحمل نفس المعانى التى رآها رسول اللّه فى المنام، فقال تعالى:

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ، لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ، مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ، لا تَخافُونَ، فَعَلِمَ ما لَمْ

تَعْلَمُوا، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً.

و فرح المسلمون و هللوا، و زاد غيظ المنافقين، و كثر دسهم، و اتسعت دائرة عملهم، لما عرفوه من مشركى مكة، من نكثهم للعهود، و نقضهم للمواثيق، ظنا منهم بأن قريشا ستنقض عهدها، و لن تسمح لمحمد و أصحابه بدخول مكة، و هى التى طردتهم منها، و حاولت بكل الوسائل قتلهم .. و ما تزال تحاول.

و يأبى اللّه إلا أن يتم نوره، و يظهر دينه و قدرته، فثبتت قريش على عهدها، و جاء العام التالى، و ادخل المسلمون مكة، و اعتمروا، و حلقوا رءوسهم و قصروا، آمنين مطمئنين، مصداقا لما أخبر اللّه به فى القرآن الكريم.

لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ، مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ، لا تَخافُونَ.

ليكون فى هذا ما يدل كل ذى عقل على أن هذا القرآن إنما هو من عند

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۳۵

خالق البشر، و المتصرف بمقاديرهم و أمورهم، ما أخبر عن شىء إلا وقع كما أخبر عنه، «و لو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا».

و ليس هذا فقط، فقد حملت الآية التى نزلت بصيغة الجزم و التأكيد- حملت بشارة عظيمة للمسلمين، و أخبرتهم عن أمر لم يكن بحسابهم، ألا و هو الفتح القريب الذى سيكون دون تحقق هذه الرؤيا، و كان الأمر على نحو ما أخبر اللّه به فى هذه الآية الكريمة.

و ذلك أنه بعد أن عقد الصلح، و اطمأن الناس و أمنوا، التقى الناس و تفاوضوا، و تبادلوا الحديث و المناظرة، فما كلّم أحد بالإسلام، إلا و دخل فيه، فدخل فى تلك الفترة الوجيزة من الزمان، أضعاف ما كان قد دخل فيه قبلها.

فقد كان عدد المسلمين سنة ست من الهجرة يوم الحديبية ألفا و أربعمائة رجل، و كانوا بعد عام الحديبية سنة ثمان من الهجرة حوالى عشرة آلاف رجل «۱».

و لذلك قال ابن شهاب الزهرى: ما فتح اللّه فى الإسلام فتحا كان أعظم من صلح الحديبية.

إنها بشائر متتابعة يسوقها القرآن الواحدة تلو الأخرى، و كلها تحمل الإخبار عن غيب لا يمكن لأحد من البشر أن يتنبأ عنه كما تنبأ القرآن، و لا سيما أن الظروف كلها بعيدة كل البعد عن مثل تلك النبوءات، و مع ذلك كانت تتحقق بكل صراحة و وضوح، لتدل على أن هذا الكلام إنما هو كلام اللّه، و ليس من صنع البشر.

---

(۱) القرطبى ۱۶/ ۲۹۱.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۳۶

۸- الاخبار عن بعض أسرار بنى إسرائيل التى لم تكن معلومة حتى لليهود المعاصرين للقرآن

إن ما ذكرناه فى الفقرات الماضية من صور الإعجاز الغيبى، إنما كان بالنسبة للأمور التى أخبر القرآن عنها بأنها ستقع فى المستقبل.

و قد رأينا كيف أنها تحققت، دون أن تتخلف واحدة منها، على نحو ما أخبر به القرآن، ليكون فى ذلك المعجزة الخالدة الناطقة الدالة لكل إنسان فى كل زمان و مكان على أن هذا القرآن إنما هو من كلام اللّه الذى لا يجوز لعاقل أن يمترى فيه بعد أن رأى أو سمع عن تلك المعجزات اليقينية، فى الإخبار عن الأمور الغيبية، التى تحقق بعضها فى زمن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و تحقق بعضها بعد وفاته عليه السلام، و ما زال بعضها تدرك حقيقته فى أيامنا الحاضرة، و سيبقى القرآن هكذا، تكشف لنا الأيام عن إخباره بالغيوب إلى قيام الساعة.

و ليس ما ذكرناه عن غيب المستقبل هو كل ما أخبر عنه القرآن، و إنما ذكرنا ما ذكرناه، كنموذج للإخبار عن الغيب.

و هناك أمور لم نذكرها، تعرض لها العلماء، و تعرضت لها كتب التفسير، استغنينا بما ذكرناه- مما اتضحت دلالته- عنها، ففى اليسير الواضح ما يغنى عن الكثير.

و لكن الإعجاز فى الإخبار عن الغيب ليس مقصورا على غيب المستقبل، بل هو عام، يشمل غيب المستقبل، كما يشمل غيب الماضى، و غيب الحاضر.

أما بالنسبة للماضى، فذلك لأن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان رجلا أميا، لا يعرف قراءة و لا كتابة، و هذه حقيقة لم يختلف فيها مشرك و لا مؤمن، و لا يهودى و لا نصرانى.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۳۷

قال تعالى: هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ.

و قال: ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ، إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ.

و فى نفس الوقت لم يكن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على علم بأخبار الأمم السابقة، على التفصيل الدقيق الذى يخفى على كثير من المتخصصين علاوة عن الأميين.

و كانت أخبار الأمم السابقة مقصورة فى الجاهلية على بعض الناس، من العرب و غيرهم، ممن شاع ذكرهم، و انتشر فى الناس صيتهم.

و ما عرف هذا يوما عن نبينا عليه الصلاة و السلام.

و مع ذلك فقد ورد فى القرآن الكريم الكثير و الكثير من أخبار الأمم الماضية، و فى بعض الحالات بأدق التفاصيل التاريخية، التى كانت لا تخفى على كثير من الذين كانوا على صلة بتاريخ الأمم السابقة، كالإخبار عن قصة نوح عليه السلام، فى دعوته لقومه، و عن سير تلك الدعوة، و مدتها، و عاقبتها، و عن الطوفان الذى غمر الأرض، و غير ذلك من الأمور.

و كالإخبار عن أحوال بنى إسرائيل مع فرعون، و مع نبيهم موسى عليه السلام، و الكشف عن سوءاتهم و مخازيهم، من قتل الأنبياء، و التعنت فى المطالب، و الغلو فى الأمور، و التحايل على الشرع، و العبث فى الدين.

و كالإخبار عن حياة موسى عليه السلام، من بدئها إلى نهايتها، و بأدق التفاصيل التاريخية التى كان يجهلها أكثر العرب إن لم نقل كلهم، كما كان يجهلها كثير من بنى إسرائيل.

كما كشف عن كثير من الأخطاء التى كان عليها بنو إسرائيل، من اليهود و النصارى، فى شأن مريم ابنة عمران، و عيسى عليه السلام، و عزيز، فكان مطابقا لما كان معروفا عند بعض أحبار اليهود و النصارى، ممن عرفوا الحقيقة.

فتكلم عن بدء حياة ابنة عمران، و ما صاحب حياتها من الكرامات التى

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۳۸

رآها زكريا عليه السلام، ثم تكلم عن حقيقة حملها، و برأها مما كان يرميه بها اليهود من الزنا.

ثم تكلم عن حقيقة عيسى بن مريم، و أنه بشر من البشر، و نفى عنه ما يزعمه النصارى من أنه ابن اللّه، و ثالث ثلاثة، كما نفى عنه أنه قتل أو صلب، على خلاف ما يعتقده النصارى أيضا، و مما يتوافق مع الحقيقة التى كان يعرفها بعضهم، و الحقيقة التى كشفت عنها الأيام حينما اكتشف إنجيل برنابا.

فلم تكن قصصهم فقط سردا للحقائق التاريخية التى كانت تخفى على نبينا عليه السلام، و التى لم يكن قد تعلمها من قبل، بل كانت فى كثير من الأحيان تصحيحا لمعتقداتهم الباطلة التى بنوها على تاريخ محرف مزيف.

و لذلك لما هاجر المسلمون هجرتهم الأولى إلى الحبشة، و عرضوا فى القصة المعروفة التى تعقبهم بها المشركون- عرضوا حقيقة الإسلام التى جاء بها القرآن لم يكن من النجاشى العارف بالحقيقة إلا أن قال: «إن هذا و الذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة».

ثم قال لما عرضوا عليه حقيقة عيسى بن مريم التى جاء بها القرآن، و التى كان يجهلها أكثر من فى الأرض حتى النصارى، من أنه عبد اللّه و رسوله، و روحه، و كلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، لم يكن من النجاشى إلا أن أخذ من الأرض عودا، ثم قال: «و اللّه ما زاد عيسى بن مريم على ما قلتم مقدار هذا العود».

فمن أين عرف محمد صلّى اللّه عليه و سلّم تلك الحقائق التاريخية، بذلك التفصيل الدقيق، الذى كان خافيا على جل أهل الأرض، إن لم يكن خافيا عليهم كلهم.

و على افتراض أنه كان يتلقى هذه الأمور عن بعض أهل الكتاب- كما يزعمه الملاحدة، و كما زعمه المشركون فى الماضى، كيف يمكن للعقل البشرى أن يؤمن بمثل هذه الأباطيل و هو يحدث الناس بنقيض العقيدة التاريخية التى كان يؤمن بها كل أهل الكتاب فى ذلك الوقت، و إلى يومنا هذا؟ و كان ما حدث به

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۳۹

و أخبر عنه هو الحق الذى أقره النجاشى، و سلمان الفارسى، و عدى ابن حاتم، و كل من أسلم من اليهود و النصارى، و كشف عنه فى التاريخ الحديث إنجيل برنابا؟!.

إن هذا القصص و إن كان إخبارا عن الماضى إلا أنه إخبار من رجل أمى، لا يعرف قراءة، و لا كتابة، و لا تاريخا، بل أتى بأشياء تخالف ما كان يعرف علماء التاريخ من الحقائق العلمية التى جعلت إخباره معجزة ناطقة دالة على أنه ما أخبر بما أخبر به إلا من قبل عالم السر و العلانية، و عالم الماضى و الحاضر و المستقبل، من قبل اللّه، و لذلك قال اللّه تعالى لنبيه عليه السلام فى قصة موسى عليه السلام: وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ، وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَ لكِنَّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ، وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا، وَ لكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ، وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا، وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ، لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ، لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ.

و قال فى نهاية قصة مريم: ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ، وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ.

و قال فى عيسى بن مريم: ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ، ما كانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ، إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

و قال فى صلبه و قتله: وَ ما قَتَلُوهُ، وَ ما صَلَبُوهُ، وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ، وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ، ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً.

و قال فى يوسف عليه السلام بعد أن ذكر قصته و كشف حقيقة ما جرى له: ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ.

نعم .. إنه الإنباء عن الغيب الماضى بما يجعل منه معجزة لأهل العصر، و لأهل كل عصر.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۴۰

۹- الاخبار عن زعم اليهود أن عزيزا ابن اللّه

إن من أهم الحقائق التاريخية التى كشف عنها القرآن، فى الإخبار عن غيب الماضى، و التى تعتبر من غرائب الأخبار، الإخبار عن أن اليهود زعمت أن عزيزا ابن اللّه.

و غرابة هذا الخبر فى أهل الكتاب كغرابته فى غيرهم.

لقد أخبرنا اللّه فى القرآن الكريم أن اليهود تزعم أن عزيزا ابن اللّه، فقال تعالى فى سورة التوبة: وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ، وَ قالَتِ

النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ، يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ.

أما النصارى فما أنكروا هذا، و هم لا ينكرونه إلى يومنا هذا، و هو أمر معروف عنهم قبل الإسلام و بعده.

و أما اليهود فما كانوا يقولون هذا، و ما كان فيهم من يقول: عزير ابن اللّه فى زمن نزول القرآن، و إنما هى قالة تاريخية لفئة منهم، قالتها ثم انقرضت، كما نقله القرطبى عن النقاش «۱»، و كما هو معروف فى كتب اليهود و عقائدهم.

و لذلك ضرب أعداء الإسلام فى الكلام على هذا الموضوع، و زعموا أن فى القرآن من الأخبار عن عقائد اليهود ما ليس فى عقائدهم، و قال اليهود منهم:

إن القرآن بقولنا ما لم نقل فى كتبنا و لا فى عقائدنا.

إلى أن جاء العصر الحديث، و كشفت المعرفة التاريخية لعقائد بعض قدماء

---

(۱) القرطبى ۸/ ۱۱۷.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۴۱

المصريين ما أثبت هذا الخبر القرآنى، ليكون الآية الناطقة، و الحجة البالغة، الدالة على أن هذا القرآن من عند اللّه و ليس من صنع البشر.

قال صاحب مجلة الفتح الغراء: فى سورة التوبة نقرأ هذه الآية: وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ، وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ، يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ، قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

قال: فصدر هذه الآية و هو قوله تعالى: وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ يتضمن من وقائع التاريخ، و حقائق العلم، أمرا لم يكن أحد يعرفه على وجه الأرض فى عصر نزول القرآن.

ذلك أن اسم عزير، لم يكن معروفا عند بنى إسرائيل إلا بعد دخولهم مصر، و اختلاطهم بأهلها، و اتصالهم بعقائدها و وثنيتها.

قال: و اسم عزير هو «أوزيرس» كما ينطق به الإفرنج، أو «عوزر» كما ينطق به قدماء المصريين.

و قدماء المصريين منذ تركوا عقيدة التوحيد، و انتحلوا عبادة الشمس، كانوا يعتقدون فى «عوزر» أو «اوزيرس» أنه ابن اللّه.

و كذلك بنو إسرائيل، فى دور من أدوار حلولهم فى مصر القديمة، استحسنوا هذه العقيدة عقيدة أن عوزر ابن اللّه، و صار اسم أوزيرس أو عوزر من الأسماء المقدسة التى طرأت عليهم من ديانة قدماء المصريين، و صاروا يسمون أولادهم بهذا الاسم الذى قدسوه ضلالا و كفرا، فعاب اللّه عليهم ذلك فى القرآن الحكيم، و دلهم على هذه الوقائع من تاريخهم الذى نسيه البشر جميعا.

قال صاحب مجلة الفتح: إن اليهود لا يستطيعون أن يدعوا فى وقت من الأوقات أن اسم عزير، كان معروفا عندهم قبل اختلاطهم بقدماء المصريين، و هذا الاسم فى لغتهم من مادة «عوزر» و هى تدل على الألوهية، و معناه: الإله المعين، و كانت بالمعنى نفسه عند قدماء المصريين فى اسم عوزر أو اوزيرس، الذى كان عندهم فى الدهر الأول بمعنى الإله الواحد، ثم صاروا يعتقدون أنه

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۴۲

ابن اللّه، عقب عبادتهم الشمس.

و اليهود أخذوا منهم هذا الاسم فى الطور الثانى، عند ما كانوا يعتقدون أن أوزيرس ابن اللّه.

قال: فهذا سر من أسرار القرآن، لم يكتشف إلا بعد ظهور حقيقة ما كان عليه قدماء المصريين، فى العصر الحديث، و ما كان شىء من ذلك معروفا فى الدنيا عند نزول القرآن.

حتى إن أعداء الإسلام كانوا يصوغون من جهلهم بهذه الحقيقة التاريخية شبهة يلطخون بها وجه الإسلام، و يطعنون بها فى القرآن، فقال اليهود منهم:

إن القرآن بقولنا ما لم نقل فى كتبنا و لا فى عقائدنا، و أتى دعاة النصرانية منهم، بما شاء لهم أدبهم من السب و الطعن و الزراية بالقرآن، و دين الإسلام، و نبى الإسلام» «۱» ا ه.

و قال الإمام القرطبى فى قوله تعالى: وَ قالَتِ الْيَهُودُ قال: هذا لفظ خرج على العموم، و معناه الخصوص، لأنه ليس كل اليهود قالوا ذلك، و هذا مثل قوله تعالى: الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ و لم يقل ذلك كل الناس.

قال النقاش: لم يبق يهودى يقولها، بل انقرضوا، فإذا قالها واحد، تلزم الجماعة شنعة المقالة، لأجل نباهة القائل فيهم، و أقوال النبهاء أبدا مشهورة فى الناس، يحتج بها، فمن هاهنا صح أن تقول الجماعة قول نبيها و اللّه أعلم «۲» ا ه.

و بهذه المعجزة الغيبية، عن أمر تاريخى قديم، كان الناس يجهلونه جهلا تاما عند نزول القرآن، مما يدلنا دلالة قاطعة على أن هذا الكلام إنما هو كلام عالم الغيب و المحيط به، لا كلام أمى، لا علم له بهذه الحقيقة التاريخية، بل لم

---

(۱) عن مناهل العرفان ۲/ ۳۸۲.

(۲) القرطبى ۸/ ۱۱۷.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۴۳

يكن كلام أحد من البشر فى ذلك الوقت، لأن الجميع كانوا يجهلون هذا، و لا سيما أن أهل الكتاب من اليهود كانوا ينكرونه.

بهذه المعجزة نأتى على ختام الكلام فى الإعجاز الغيبى، لننتقل إلى الإعجاز العلمى فى القرآن، كما أسلفنا فى التقسيم، و اللّه المستعان.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۴۵

المبحث الثالث فى الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

اشارة

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۴۷

مقدمة

قبل أن نخوض فى موضوع الإعجاز العلمى، و نتكلم على الآيات المتعلقة بعلوم الكون و الحياة و ما فيها من إعجاز، لا بدّ لنا أن نقدم على الموضوع مقدمة وجيزة، نضع بها الخطوط العريضة للمنهج الذى سنسلكه فى سبيل الوصول إلى الغاية و الهدف، دون غلو نحمل به آيات القرآن ما لا تحمله من المعانى و الاحتمالات، أو تفريط نعرض به عن كثير من الحقائق الكونية و العلمية التى لا يجوز الإعراض عنها لجمود فى التفكير، أو قصور فى العلم و المعرفة.

لقد كثر الكلام منذ بداية هذا القرن عن الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، بحيث غطى نوعا ما على بعض جوانب الإعجاز الأخرى فيه، لا من حيث كونها معجزة فى الواقع و نفس الأمر، فتلك الجوانب كانت و ما زالت معجزة، و لكن من حيث كونها أصبحت بعيدة عن أفهام الناس و عقولهم، بينما أصبحت الجوانب العلمية مسيطرة على حياة الناس و عقولهم.

فحينما نتكلم اليوم على الإعجاز اللغوى فى القرآن، لا نجد الناس يتفاعلون معنا فى إدراك وجوه الإعجاز فى كلماته، و جمله، و أساليبه، لأن معظم الناس اليوم يجهلون لغة العرب، بسبب المخطط الخطير الذى فرض على أساليب التعليم و مناهجه فى أمتنا و بلادنا، من قبل أعدائنا.

بل تجاوز الأمر فى الإعجاز اللغوى، تجاوز صفوف العامة إلى صفوف القلة المتبقية من العارفين بقواعد اللغة، و المهتمين بأدبها، فإن أكثرهم لا يحس بالإعجاز اللغوى بسليقته و طبعه، و إنما يدركه بعقله و دراسته و معارفه.

و شتان بين رجلين، الأول يسمع القرآن، فيدرك بمجرد سماعه و بتذوقه الفنى أن هذا الكلام ليس من كلام البشر، و إنما هو معجز من كلام اللّه.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۴۸

و بين رجل آخر قد يصل إلى هذه النتيجة فى بعض آيات القرآن، و لكن ليس بمجرد سماعها، و إنما بدراستها و تحليلها و إخضاعها لعلومه و معارفه.

و قد تكلمت على هذا الموضوع بالتفصيل فى بداية هذا البحث، و سنرجع إليه بمزيد من التفصيل إن وفقنا اللّه للكتابة فى الإعجاز اللغوى.

بينما نجد عامة الناس فى مجتمعنا يتمايلون طربا حينما نعرض لهم بعض وجوه الإعجاز فى الإخبار عن المغيبات، و ذلك لأنها تتفق مع كل عقل، كما يمكن لكل عقل أن يدركها و يدرك وجه الإعجاز فيها، فهى لا تحتاج للغة، و إنما تحتاج للعقل و التفكير.

كما نجد المثقفين أكثر تمايلا و طربا عند ما نعرض عليهم وجها من وجوه الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، لا سيّما إذا كان هذا الوجه قطعى الدلالة، بينا ظاهرا، لا يحتاج إلى الاستنباط و الاستنتاج.

و ذلك لأن هذا الوجه ملائم للثقافة التى يحملها أبناء العصر الحاضر، و التى أصبحت قاسما مشتركا بينهم جميعا.

و إذا كان هذا شأن مجتمعنا العربى، فمن باب أولى أن يكون هذا شأن غيره من المجتمعات.

فإننا حينما نتكلم على إعجاز القرآن، لا نريد بذلك إقناع العرب فحسب، و إنما نريد إقناع العالم بأسره، من عربى و غيره، فإن هذا القرآن أنزل للبشر جميعا، و تحدى به البشر جميعا، فى كل زمان و مكان.

و لذلك يجب علينا أن نخاطب البشر بما تستوعبه عقولهم، و إن الجوانب العلمية اليوم، من أهم ما يستهوى عقول الناس فى الشرق و الغرب، فإذا رأوا ما يدل على الإعجاز فى كتاب اللّه، فى جانب العلوم التى يتقنونها، هان عليهم الإيمان و التسليم، كما سنبين هذا عند الكلام على من تأثر بهذا الجانب من القرآن إن شاء اللّه.

إذن فالذى دفع العلماء و المفكرين المسلمين للبحث و التحقيق فى جوانب

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۴۹

الإعجاز العلمى فى القرآن، هو الواقع الذى يعيش فيه الناس، و الذى صارت فيه العلوم أساس الحياة و الحضارة الإنسانية.

فإذا كانت هذه العلوم كاشفة عن سر من أسرار الآيات القرآنية، و مثبتة لوجه من وجوه الإعجاز، فإننا يجب علينا أن نبحث فيها، و ندل الناس عليها، و لا- سيما أن القرآن نفسه حث الناس على النظر فى ملكوت السموات و الأرض، و مجاهل الكون و النفس، و ضرب الأمثال، ليلفت نظر الناس إلى عظمة الخالق، من خلال عظمة المخلوق ... و بما يتناسب مع عقولهم و معارفهم فى كل زمان و مكان.

و إنى لأعتقد أن هذا الوجه من وجوه الإعجاز هو أبلغ هذه الوجوه، إذ يستطيع الإنسان فى كل عصر من العصور أن يجد بغيته فى كتاب اللّه من الإيمان بأن هذا الكلام ليس من كلام البشر، و إنما هو من كلام اللّه.

فكلما تقدمت العلوم الإنسانية، كلما كشفت لنا عن سر جديد، لم نكن قد اطلعنا عليه من قبل.

و هذا وحده كان ليدل على أن القرآن ليس من صنع البشر، إذ يستحيل على البشر، و لو كانوا على قلب رجل واحد، و بتفكير رجل واحد، أن يوجدوا مثل هذا الكتاب الذى لم تتخلف آية واحدة من آياته على توالى الأيام، و كر السنين و الأعوام ..

و لكن .. هل نزل القرآن الكريم على أنه كتاب جيولوجيا، أو فلك أو غيرهما من العلوم ... يبين حقيقتها، و يرسم مناهجها، و يدلل على نظرياتها ..؟.

لا شك أن الجواب: لا.

نعم .. لم ينزل القرآن كتاب علوم يقرر فى المدارس و الجامعات، يتلقى الناس من خلاله معارفهم الكونية.

و إنما نزل القرآن الكريم كتاب هداية و إرشاد للبشرية الحائرة، و دستورا و نظام حياة للإنسانية.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۵۰

قال تعالى: ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ، هُدىً لِلْمُتَّقِينَ.

و قال: قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ، وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَ يَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ.

و قال جلّ شأنه: وَ ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

إلا- أنه رغم هذا تعرض لكثير من حقائق الكون و الحياة التى كانت مجهولة، إما إجمالا، و إما تفصيلا عند نزول القرآن، للفت نظر الإنسان إلى الكون و الحياة، و الاهتمام بالعلم و المعرفة، و فى نفس الوقت ليكون يوما ما معجزة دالة على أن هذا الكلام ليس من كلام البشر، و إنما هو من كلام اللّه، و ذلك عند ما يضع الإنسان يده على كثير من أسرار الكون و الحياة و العلم و المعرفة.

و بناء على ذلك يجب علينا حينما نعرض للإعجاز العلمى فى القرآن، يجب علينا أن لا ننسى الوظيفة الأساسية التى جاء من أجلها، ألا و هى هداية البشر، و رسم المنهاج القويم، و السبيل المستقيم، و إخراج الناس من الظلمات إلى النور، و من الضلالة إلى الهدى.

فلا يجوز لنا بعد هذا أن ننحرف عن الوظيفة الأساسية لكتاب اللّه، و نحمل الآيات ما لا تطيق من المعانى العلمية التى لم تسق الآية من أجلها، و لا نزلت لبيانها، و إنما هى من أوهام القارئ، و ربما انقلبت إلى ضرب من التأويل الباطنى الباطل.

كما لا يجوز لنا فى نفس الوقت أن نجمد على معارفنا القديمة الضيقة، و تفسيراتنا الجزئية المحدودة، المبنية على تلك المعلومات القديمة، و التى ربما كانت قاصرة، بل خاطئة فى تفسير ظواهر بعض أو أكثر الجوانب العلمية التى كشف عنها العلم الحديث، مما يؤدى فى النتيجة إلى فهم القرآن فهما غير سليم فى ضوء المعارف الحديثة، و فى الآيات التى لها مساس بالعلوم.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۵۱

فلقد انقسم الناس فى هذا الموضوع إلى فئتين، بل إلى ثلاث فئات.

الفئة الأولى: رفضت- بضيق أفقها و قصر معارفها- رفضت أن تنفتح للعلوم الحديثة المعاصرة

و التى أصبحت فى كثير من حالاتها حقائق يقينية لا يجوز الإعراض عنها بحال، و جمدت على العقلية المبنية على المعارف الخاطئة القديمة، و أصرت على عدم جواز تفسير بعض آيات القرآن فى ضوء المعارف الحديثة، مما أدى فى بعض الحالات إلى إيجاد ثغرات خطيرة بين التفسير الذى أرادوه و الحقائق العلمية اليقينية الثابتة.

كمن رفض القول بأن الأرض كروية، أو أنها تسبح فى الفضاء، أو أنها تدور حول الشمس، مستدلا بفهم خاطئ لقوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ، أو قوله تعالى: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ أو قوله تعالى: وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً- فزعم أن هذا يتنافى مع كرويتها.

و استدل بقوله تعالى: وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها بأن هذا يتنافى مع القول بأن الأرض تدور حول الشمس، و لا سيما و قد وردت بعض الأحاديث التى تدل على أن الشمس تسير، و أنها تسجد تحت العرش، إلى آخر ما يمكن أن يستدل به فى هذا الموضوع، مما يدل بظاهره على ما ذهب إليه.

و هذا الاستدلال ناتج- كما ذكرت- عن ضيق فى أفق قائله، و قلة معرفته و اطلاعه على حقائق العلم فى الكون و الحياة، و قصره

للمدلولات اللغوية على بعض معانيها الظاهرة التى يعرفها، أو جموده على حقيقتها دون مجازها السائغ الصحيح.

و أنا لا أريد الآن أن أبين ما يجب أن يقال فى مثل هذه المواطن، لأننى فى معرض المثال للفئة الأولى، من الذين لم يستطيعوا أن يهضموا الحقائق العلمية، و المعارف اليقينية، فجمدوا على المعارف القديمة، بصوابها و خطئها.

و هذه الفئة لم يعد لها وجود الآن فى عصرنا تقريبا، و لئن وجد من يؤمن بمنهجها فإنما هى بقية منهم و أطلال لهم ... فالحقائق العلمية لا تثبت فى تيارها الأوهام.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۱۵۲

و إنى اعتبر أن مثل هذا الموقف تفريط فى حق القرآن، و إعراض عن الفهم الحقيقى للآيات المتعلقة بالكون و الحياة، بل ربما كان سببا لإيجاد فجوة هائلة بين الدين و العلم، مما قد يؤدى إلى ما لا تحمد عقباه، كما حدث للكنيسة حينما حاولت أن تقف فى وجه الحقائق العلمية، لتفرض على الناس أن يفكروا من خلال عقليتها القديمة المتعارضة مع حقائق العلم، زعما منها أن هذا هو الدين، مما أدى فى نهاية المطاف إلى الثورة على الكنيسة، بل على الدين المحرف الباطل الذى كانت تمثله ...

إننا نحن المسلمين مدعوون فى كل زمان و مكان، و بنص الشرع، إلى الاستفادة من كل حقيقة علمية، لأن ديننا دين العلم و المعرفة، و لم و لن يتعارض فى يوم ما مع حقائق العلم فى الكون و الحياة.

و أما الفئة الثانية، فقد كانت على النقيض من الفئة الأولى فتنت بالنهضة العلمية الحديثة

، و رأت الجمود الذى كان عليه بعض المسلمين، فأرادت أن تسمو بدينها و قرآنها فى عصر المادة، فصارت تحمل- بمناسبة و غير مناسبة- صارت تحمل آيات القرآن على المكتشفات أو القوانين العلمية الحديثة، مما جعلها تخرج بالآيات القرآنية عن معانيها اللغوية، و مدلولاتها الشرعية، و تنحرف بها عن الغاية و الهدف الساميين اللذين جاءت من أجلهما، و مما جعلها أيضا تقع فى كثير من المتناقضات.

و ذلك أنها بمجرد سماعها بنظرية علمية- فى الشرق أو الغرب- تعمد إلى الآيات القرآنية التى ربما كان لها مساس بالموضوع، و أخذت تتوسع فى مدلولاتها بعيدا عن القوانين اللغوية و الشرعية، زاعمة أن هذه الآية نطقت بهذه النظرية منذ قرون كثيرة، فإذا ما تغيّرت تلك النظرية العلمية ثانية، و استبدلت بنظرية أخرى أحدث منها و أدق، و ربما كانت مخالفة للأولى تماما، أسقط أولئك فى أيديهم، و عمدوا ثانية إلى التلاعب بالآية و معانيها ليطبقوها على النظرية الجديدة، مما جعل عملهم أشبه بالعبث منه بالدفاع عن القرآن أو إظهار إعجازه، بل ربما أوقع القرآن فى تناقض خطير بسبب تأييده لنظريتين متناقضتين بدون ضابط أو قانون من لغة أو شرع.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۱۵۳

و ربما وصل الأمر ببعض أفراد هذه الفئة إلى درجة إنكار المعجزات، أو الخروج عن قوانين الشرع و قواعد اللغة التى لا تقبل التغيير و التبديل.

و نحن لا ننكر تغيير رأى العالم أو الباحث بسبب تغير النظرية، أو تطور طريقة البحث و النظر، و من ثم تغير المعرفة، فهذا شأن الإنسان مع العلم و المعرفة، و لكننا ننكر المسارعة إلى تأويل آيات القرآن تبعا لكل فكر حديث يطرح، أو نظرية علمية ما زالت فى طور البحث و النظر- و بعيدا عن قوانين الشروع و قواعد اللغة.

إن مثل هذه المسارعة أوقع أفراد تلك الفئة بالعديد من المتناقضات، و من ثم أوصلها إلى نقيض قصدها فى إظهار إعجاز القرآن.

و هذه الفئة أيضا كسابقتها، لم تلق التشجيع و الترحيب، بل على العكس من ذلك جوبهت من قبل علماء المسلمين بالإنكار و الاستهجان لهذا المسلك، فكلا جانبى الإفراط و التفريط مذموم غير محمود.

و أما الفئة الثالثة، و هى فئة جماهير علماء المسلمين، فهى فئة التوسط بين جانبى الإفراط و التفريط.

فلم تجمد هذه الفئة جمود الفئة الأولى، و لم تتهور تهور الفئة الثانية.

و لكنها عمدت إلى الآيات التى لها مساس بالعلوم، و فهمتها بناء على ضوء المعارف الحديثة اليقينية، لا الظنية، و فى نطاق قوانين الشرع العامة، و قواعد اللغة الثابتة، فرأت فيها ما يدل كل ذى عقل على أن هذا القرآن ليس من عند البشر، و إنما هو من عند اللّه، و إلا- لما كان من الممكن قول مثل تلك الآيات فى تلك القرون الخالية، التى لم يكن الإنسان عارفا فيها شيئا عن الحقائق العلمية الحديثة.

و لم يضرها أبدا أن تقف عند ظاهر النص القرآنى إذا كانت دلالته قطعية، و إن كان يتعارض مع بعض النظريات العلمية الرائجة، جازمة بأن الخطأ فى النظرية العلمية، و أن على أصحابها أن يبحثوا عن وجه الصواب فى موضوعها،

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۵۴

و إلا فمن المحال أن يتعارض الدين مع العلم، أو القرآن مع القوانين اليقينية الثابتة.

و هذا هو الحق الذى لا يجوز لأحد أن يتعداه، و الذى يجب المصير إليه، و التعويل عليه، و لا يوجد بعد الحق إلا الضلال.

فنحن ما دام الأمر العلمى لم يصل إلى درجة القانون اليقينى الثابت، و إنما هو فى طور التجربة و البحث و النظر، لا يمكننا أبدا أن نجعل القرآن تبعا لشهوات البشر و أهوائهم، و لا يمكننا أبدا أن نعبث بآيات القرآن و نتلاعب بها.

فإذا ما وصل الأمر العلمى إلى درجة القانون اليقينى، فمن المحال عند ذلك أن يتعارض مع القرآن، بل سنجده عند ذلك راكعا على أعتاب الدين، كاشفا لنا عن سر الآية، معترفا بأن قائلها و صانعه و مبدعه واحد، ألا و هو اللّه الذى لا إله إلّا هو، و داعيا كل عاقل إلى الإيمان بهذه الحقيقة.

و عند ذلك يجب علينا أن نستفيد من هذه المعارف الحديثة اليقينية، و أن نستغلها من أجل إظهار الحقيقة، و بيان الإعجاز القرآنى الذى يخفى على كثير من الناس، من مسلمين و غيرهم.

فالحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها التقطها .. و القرآن أنزل معجزة لكل زمان و جيل و مكان، و لم يكن إعجازه قاصرا على الجيل الأول،- كما بينا سابقا- و لذلك كان لا بد لهذا الجيل المعاصر أن يجد فى القرآن المعجزة، و لئن فاته الوقوف عليها عن طريق اللغة، فلن يفوته الوقوف عليها عن طريق العلوم المعاصرة.

كما أن أهل الأجيال القادمة سوف يجدون فيه الإعجاز، و لكن لا ندرى كيف سيكون ذلك.

ربما كان عن بعض الطرق التى نعرفها اليوم، و ربما كان عن بعض الطرق التى سيعرفها إنسان المستقبل و هى خافية علينا الآن، و لا يجوز لأى إنسان أن يمنع مثل هذا ما دام خاضعا للضوابط العلمية السابقة التى ذكرناها، من قوانين الشرع و قواعد اللغة.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۵۵

هل الاعجاز العلمى وليد العصر الحديث؟

إن السؤال الذى سيطرح نفسه الآن بعد هذه المقدمة التى قدمناها، هو:

هل الإعجاز العلمى فى القرآن وليد العلوم و المكتشفات الحديثة، و كان خافيا قبل هذا على علماء المسلمين، كما زعم بعض الكاتبين؟.

و الجواب اليقينى على مثل هذا التساؤل: لا، و ذلك يدرك بأدنى تأمل فى كتاب اللّه ..

فإن القرآن الكريم فى أول الآيات التى نزلت منه إلى الأرض .. قد اهتم بالعلم، فأمر به، و حثّ عليه، و رفع مرتبة العلماء حتى جعلهم

ورثة الأنبياء.

و لم يقتصر الأمر بالعلم على العلوم الشرعية، بل تعداها إلى العلوم الكونية و العقلية، إذ أمر القرآن بالنظر فى ملكوت السموات و الأرض، كما أمر بالتبصر فى علوم الكون و النفس، ليهتدى الناس من خلال النظر السليم إلى الخالق العظيم.

فقال تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ، وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ، وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها، وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ، لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (سورة البقرة: آية ۱۱۴).

و قال تعالى: قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ (سورة يونس: آية ۱۰۱).

و قال جلّ شأنه: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُ.

و قال: وَ فِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَ فِي أَنْفُسِكُمْ، أَ فَلا تُبْصِرُونَ.

فهذه الآيات، و أمثالها، مما يعسر حصره، ليست فقط مجيزة للنظر، بل هى آمرة به، حاثة عليه، و لو لم يكن اللّه مريدا أن يستفيد عباده من معالم الكون

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۵۶

و الحياة، مما يحدو بهم إلى الإيمان السليم، لما أمرهم بهذا النظر، و لما حثّهم حثّا دائبا عليه.

و لذلك انكبّ علماء المسلمين على العلوم فأتقنوها، و بلغوا بها إلى الذروة العليا، و حاولوا جاهدين و فى كثير من المواطن أن يربطوا بين ما توصلوا إليه من القوانين العلمية، و بين بعض آيات القرآن التى لها مساس بالعلم، و أثبتوا كما نثبت نحن اليوم أن القرآن كشف عن تلك القوانين قبل معرفتها بمئات السنين، ليستدلوا من خلال هذا على الإعجاز القرآنى فى جانب العلم، و ليثبتوا أن هذا القرآن من كلام اللّه، لا من كلام البشر.

إلا أنهم لم يتمكنوا مما تمكنا منه نحن اليوم فى ميدان العلوم و المكتشفات و المخترعات، و لذلك قل خوضهم فى هذا الجانب من الإعجاز، فلما جاء العصر الحديث، بعلومه و مكتشفاته، وضعنا أيدينا على كثير من المعانى التى كنا نجهلها فى الماضى، و التى وردت فى آيات القرآن تصريحا أو تلميحا.

و لذلك كنا كمن كشف عنه الغطاء، فأدرك من الحقائق ما لم يكن يعرفه، و فى بعض الحالات ما لم يكن يتوقعه، فكثر خوضهم فى هذا الجانب من الإعجاز لما وجدوا فيه من الدلالة القاطعة على ما يرمى إليه من أمر الدين و العقيدة و الخالق جل شأنه.

كيفية الوقوف على وجه الاعجاز فى الآيات:

و أما كيفية الوقوف على وجه الإعجاز العلمى فى القرآن، مما نثبت معه أن هذا القرآن من كلام اللّه، و ليس من صنع البشر، فنستطيع أن نلخصه إجمالا بما يلى:

لقد نزلت آيات القرآن الكريم على نبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم قبل أربعة عشر قرنا من الزمان .. و فى عصر لم يكن الإنسان يعرف فيه عن الطبيعة و الكون و الحياة إلا القليل النادر، و كان يعتقد الكثير من العقائد الباطلة عن الكون و الحياة.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۵۷

فكان يعتقد أن الأمطار تنزل من ثقوب فى السماء.

و أن الأرض مستطيلة مستوية، أو أنها محاطة بماء يغلى.

كما كان يعتقد أن السماء سقف للأرض، و أن النجوم التى فيها مسامير لامعة من الذهب أو الفضة، و أنها معلقة بقبة السماء بسلاسل ذهبية.

و أن الأرض ثابتة لا تتحرك .. و أنها على قرن ثور، فإذا ما تعب قرنه من ثقلها نقلها إلى قرنه الآخر، فأحدث الدمار بما يحدثه من الزلازل، إلى آخر ما هناك من المعتقدات الخاطئة التى كانت تسود ذلك العصر، إلى جانب بعض المعارف البسيطة الأخرى.

فجاء القرآن فى خضم تلك المعتقدات ... و كان من المفترض أن يتكلم القرآن بنفس الأساليب و المعتقدات التى يعتقدها الناس فى ذلك الوقت، فيما لو كان القرآن من صنع البشر و كلامهم، كما هو المتوقع و المعروف.

إلا- أن القرآن لم يخض أبدا فى مثل تلك الخرافات، بل جاء على خلافها، فأثبت أن الأرض كوكب سابح فى الفضاء، فليست على قرن ثور.

و أن الأمطار تنزل من السحاب، و أن السحاب يجتمع بفعل الرياح، و أنه بفعل اجتماعه يخرج البرق.

إلى آخر ما هنالك من الآيات التى نزلت مخالفة لما كان سائدا فى ذلك العصر، و لعصور طويلة بعده، و التى جاء العلم الحديث، فأثبت بالبراهين اليقينية ما أخبر به القرآن قبل قرون طويلة، مخالفا لكل اعتقاد البشر، على ما سنذكره فى الفقرات القادمة إن شاء اللّه.

فلو كان القرآن من صنع محمد صلّى اللّه عليه و سلّم لكان من المستحيل أن يصدر عنه مثل هذا الكلام الذى كان يجهله أهل عصره، بل كانوا يعتقدون خلافه، و الذى يعتبر تصحيحا لمعتقداتهم و علومهم، مطابقا للواقع الحقيقى الذى كشف عنه العلم الحديث بالبراهين اليقينية، بعد أن بذل الإنسان فى سبيل الوصول إليه النفس و النفيس، و أمضى فى الطريق إليه الأيام و الدهور و الأعوام ..

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۵۸

خوض القرآن فيما لم يكن الانسان يعرف عنه شيئا:

اشارة

و لم يقتصر القرآن فى العلوم التى تكلم عنها على جانب ما كان يعرفه الناس فى ذلك العصر، مصححا لمعتقدات الناس فيه، أو مفصلا لما كان مجملا منه، بل تعدى هذا فتكلم فى آيات كثيرة على أنواع أخرى من العلوم التى لم يكن يعرف الإنسان عنها شيئا البتة فى ذلك العصر، مما أثار دهشته، و جعله يؤمن بها إيمانا غيبيا، دون أن يعرف الحقيقة التى تبنى عليها، كاشتعال الماء مثلا، إلى أن جاء العلم الحديث، فأثبت هذه الحقيقة العلمية على نحو ما أخبر به القرآن، مما لفت نظر الإنسان ثانية، و جعله يؤمن أنه من المستحيل أن يكون هذا الكلام من كلام البشر، لأنه لم يكن يعرف عن هذه الحقيقة العلمية إبان نزول القرآن شيئا، و لم يكن له سبيل أبدا إلى إدراكها.

إذن فلا- بدّ أن يكون هذا الكلام من قبل عالم السر و العلن، و خالق الإنسان و المادة، و الكون و الحياة، و لذلك أخبر بما علم مما خلق.

لقد امتلأ القرآن بالإخبار عن العلوم، مما كان يعرف الإنسان منه الشىء البسيط، و مما كان لا يعرف عنه شيئا أبدا، و مما يعرفه على خلاف ما أخبر به القرآن، كما سنبينه فى القريب إن شاء اللّه.

و لا شك أن هذا قد لفت نظر الذين تحداهم القرآن أن يثبتوا فيه تناقضا أو خلفا، مما جعلهم يتربصون به الدوائر، قديما و حديثا.

و كان الناس قديما، و ما زالوا حديثا، يطرحون نظرياتهم العلمية التى يبحثون من خلالها عن أسرار الكون و الحياة.

و تقدم العلم، و زادت قوة المشاهدة عند الإنسان، و تشعبت معارفه و مدركاته، و تغير كثير من النظريات القديمة التى طرحت فى سبيل الكشف عن الحقيقة، و ما زالت فى كل يوم تتغير و تتبدل.

و هذا يدلنا دلالة قاطعة، على أنه لا وجود لكلام إنسانى تدوم صحته كليا، دون تبديل، أو تغيير، أو تصحيح.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۵۹

لأن الإنسان يتكلم عما هو معروف من المعتقدات و العلوم فى عصره، و لذلك لو ألقينا نظرة سريعة على كل الكتب القديمة التى صنفت فى مضمار العلوم، لوجدناها إلى جانب ما حوته من الصحة، مليئة بالأخطاء العلمية، و فى جميع جوانب العلم، إذا ما قارناها بكشوفنا الجديدة و نظرياتنا الحديثة.

و لكن القرآن الكريم لم يكن أبدا كهذه الكتب، و لم يكن خاضعا لهذه الحقيقة، بل كان على خلافها تماما، فهو حق و صادق فى كل ما قاله و أخبر عنه، كما كان فى الزمن الماضى، فلم يطرأ على مقاله أى تغيير أو تصحيح، و رغم تقدم العلوم، و كثرة المكتشفات، و ظهور الأسرار، لم يتمكن أحد من أهل الأرض جميعا أن يثبت خطأ القرآن فى حرف واحد مما قاله فى جانب من جوانب العلوم الكثيرة التى خاض فيها، أو أشار إليها.

و لو كان القرآن صادرا عن بشر، محدود العلم و النظر، لكان شأنه شأن جميع الكتب، و لأثبتت العلوم المتطورة بطلان الكثير من كلماته و أخباره و قوانينه.

إن الإنسان حينما يكون جاهلا أو ناقص المعلومات حول موضوع ما، فإنه لا يتكلم فيه، إلا أنه إذا تجرأ على الكلام و تكلم، كان لا بدّ له أن يقع فى كثير من الأخطاء فى كلامه، كما حدث ذلك لكل من فعل مثل هذا، من العباقرة و غيرهم، و كما يحدث لأمثالهم فى كل زمان و مكان.

و على سبيل المثال نذكر ما قاله أرسطو استدلالا على أسبقية الرجل للمرأة، إذ قال:

«إن فم المرأة يحوى أسنانا أقل عددا من أسنان الرجل».

إلّا أن هذا الكلام لا علاقة له بعلم الأجسام، بل هو يدل على أن صاحبه جاهل بهذا العلم.

على أن عدد الأسنان عند الرجل و المرأة سواء كما هو معروف «۱».

---

(۱) الإسلام يتحدى: ص ۱۹۲.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۶۰

و نحن لا نريد بهذا أن نطعن فى علم أرسطو و فلسفته، و لكننا نريد أن نبين أن الإنسان مهما أوتى من الذكاء و الدهاء، و العبقرية و العلم، ثم أراد أن يخوض فى فن غير فنه أتى بالعجائب.

فكيف بالإنسان الأمى إذا أراد أن يخوض فى كل العلوم و الفنون. إنه لا بدّ له أن يقع فى كثير من المتناقضات و الأوهام.

إلا أنه و كما ذكرت قبل قليل، لم يتمكن أحد من أهل الأرض جميعا أن يوجد فى القرآن تناقضا واحدا، فى كل ما خاض فيه من فنون العلم، و سبل المعرفة، رغم تقدم العلوم، و تطاول الزمان، بل كان الأمر على خلاف ذلك، إذ كان العلم فى نهاية مطافه مصدقا للقرآن فى كل ما أتى به، و راكعا بين يديه.

إذا فلا بدّ أن يكون قائل هذا الكلام محيطا بكل علم تكلم فيه، و إحاطته به إحاطة يقينية جازمة، لا يعتريها نقص أو تخلف، لا سيما أنه تكلم بها فى الزمن الذى لم يكن أحد من أهل الأرض يعلم عنها شيئا، لا كثيرا و لا يسيرا.

إنه اللّه الذى لا إله إلّا هو أحاط بكل شىء علما.

و بهذا الأسلوب المنطقى من الاستدلال أثبتنا إعجاز القرآن العلمى إجمالا، و سنثبته إن شاء اللّه تفصيلا.

و من أجل هذا آمن كثير من الناس قديما و حديثا، آمنوا باللّه، و أثبتوا فى طريق إيمانهم شهاداتهم و اعترافاتهم بأنهم ما آمنوا إلا من خلال مثل هذه المعجزات العلمية فى القرآن، على أن كثيرا منهم كان من كبار علماء الكون و الحياة، و ربما كان يوما ما من دعاة الإلحاد، و من ذلك:

شهادة السير جيمس جنز:

فى سياق إثبات شهادة كبار علماء الكون الذين تأثروا بالإعجاز العلمى فى القرآن، يجدر بنا أن تذكر هذه الحادثة العظيمة المدهشة، التى نقلها العلامة الهندى الشهير المرحوم «عناية اللّه المشرقى» الذى كان يعتبر من أعظم علماء الهند

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۶۱

فى الطبيعة و الرياضيات، و الذى كان يتمتع بشهرة عظيمة فى الغرب، لاكتشافاته العديدة، و أفكاره الجديدة، و هو أول من عرض فكرة القنبلة الذرية، و عرضت عليه جائزة نوبل فرفضها.

يقول العلامة الدكتور المشرقى:

«كان ذلك يوم الأحد، من أيام سنة ۱۹۰۹، و كانت السماء تمطر بغزارة، و خرجت من بيتى لقضاء حاجة ما، فإذا بى أرى الفلكى المشهور السير جيمس جنز- الأستاذ بجامعة كامبردج- ذاهبا إلى الكنيسة، و الإنجيل و الشمسية تحت إبطه، فدنوت منه، و سلمت عليه، فلم يرد على، فسلمت عليه مرة أخرى، فسألنى: ما ذا تريد منى؟

فقلت له: أمرين يا سيدى.

الأول: هو أن شمسيتك تحت إبطك رغم شدة المطر، فابتسم السير جيمس، و فتح شمسيته على الفور.

فقلت له: و أما الآخر، فهو: ما الذى يدفع رجلا شائع الصيت فى العالم- مثلك- أن يتوجه إلى الكنيسة؟؟.

و أمام هذا السؤال توقف السير جيمس لحظة، ثم قال: عليك اليوم أن تأخذ شاى المساء عندى.

و عند ما وصلت إلى داره فى المساء خرجت «ليدى جيمس» فى تمام الساعة الرابعة بالضبط، و أخبرتنى أن السير جيمس ينتظرنى.

و عند ما دخلت عليه فى غرفته، وجدت أمامه منضدة صغيرة موضوعة عليها أوراق الشاى، و كان البروفسور منهمكا فى أفكاره.

و عند ما شعر بوجودى سألنى: ما ذا كان سؤالك ..؟.

و دون أن ينتظر ردى بدأ يلقى محاضرة عن تكوين الأجرام السماوية، و نظامها المدهش. و أبعادها و فواصلها اللامتناهية، و طرقها، و مداراتها، ۱۱ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۶۲

و جاذبيتها، و طوفان أنوارها المذهلة، حتى أننى شعرت بقلبى يهتز بهيبة اللّه و جلاله.

و أما السير جيمس، فوجدت شعر رأسه قائما، و الدموع تنهمر من عينيه، و يداه ترتعدان من خشية اللّه، و توقف فجأة ثم بدأ يقول:

يا عناية اللّه! عند ما ألقى نظرة على روائع خلق اللّه، يبدأ وجودى يرتعش من الجلال الإلهى، و عند ما أركع أمام اللّه و أقول له: إنك عظيم، أجد أن كل جزء من كيانى يؤيدنى فى هذا الدعاء، و أشعر بسكون و سعادة عظيمين، و أحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين ألف مرة.

أ فهمت يا عناية اللّه خان لما ذا أذهب إلى الكنيسة ..؟

و يضيف العلامة عناية اللّه قائلا: لقد أحدثت هذه المحاضرة طوفانا فى عقلى، و قلت له: يا سيدى .. لقد تأثرت جدا بالتفاصيل العلمية التى رويتموها لى، و تذكرت بهذه المناسبة آية من كتابى المقدس، فلو سمحتم لى لقرأتها عليكم ..؟.

فهز رأسه قائلا: بكل سرور.

فقرأت عليه الآية التالية:

وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها، وَ غَرابِيبُ سُودٌ، وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ، إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ (سورة فاطر: آية ۲۷).

فصرخ السير جيمس قائلا: ما ذا قلت ..؟ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ ... مدهش، و غريب، و عجيب جدا ..!!!.

إنه الأمر الذى كشفت عنه دراسة و مشاهدة استمرت خمسين سنة، من أنبأ محمدا به ..؟.

هل هذه الآية موجودة فى القرآن حقيقة؟.

لو كان الأمر كذلك، فاكتب شهادة منى أن القرآن موحى به من عند اللّه.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۶۳

و يستطرد السير جيمس قائلا:

لقد كان محمد أميّا، و لا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه، و لكن اللّه هو الذى أخبره بهذا السر، مدهش، و غريب، و عجيب جدا «۱» ...

نعم .. إنه لأمر مدهش، و عجيب و غريب جدا، أن نجد أميّا، لا يعرف قراءة و لا كتابة، و لم يدرس فلكا، و لا طبّا، و لا هندسة، و فى عصر انتشرت فيه الخرافة، و شاعت الكهانة، و هو مع هذا ينطق بكلام يتعلق بكل شأن من شئون الكون، و الحياة، و النفس الإنسانية، و بأوضح العبارات و أفصحها، و بأسلوب يفهمه الإنسان المعاصر له، و إن كان فى بعض الحالات لا يستطيع إدراك حقيقته و سره.

يتكلم على نشأة الكون و الأرض و السماء، و سير الكواكب و الأفلاك، و تكوين الجبال و البحار، و أساس الحياة و سرها، و تطور الجنين و نموه، و تكاثف السحاب، و سقوط الأمطار، و تمدد الكون، و يخبر عن الغيب، غيب الماضى و المستقبل، و يضع أعظم الأسس فى الحياة الاجتماعية، و السياسية، و الاقتصادية، و الفكرية، ثم مع كل هذا لا يتمكن واحد من أهل الأرض جميعا أن يوجد أمرا واحدا يتناقض مع العلم و هو فى ذروة سلطانه و مجده، بل يجد كل ما قاله فى ذلك العصر قد جاء العلم الحديث ليقره، و يعترف بأحقيته و سبقه.

أ لا يدل كل هذا على أن هذا الكلام يستحيل أن يكون من كلام البشر ..؟!.

لقد كان فلاسفة الإلحاد فى العصر الحديث يتوقعون أن تتفجر كل المعتقدات القديمة بتفجير الذرة، و لنستمع إلى جوليان هكسلى و هو يتكلم عن هذا الموضوع فيقول:

«تعتبر التطورات العلمية التى حدثت فى القرن الماضى انفجارا معرفيا فى وجه الأساطير الإنسانية عن الآلهة و الدين، كما تفجرت الأفكار القديمة و نسفت بمجرد تفجير الذرة».

---

(۱) الإسلام يتحدى: ص ۲۱۰.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۶۴

نعم هكذا كان يتوقع فلاسفة الإلحاد، و لا سيما أنهم يعرفون أن محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم كان أميّا، و هم فى ذروة غرورهم العلمى، و لكن جاء العلم لا ليثبت توقعهم، بل ليذهلهم، إذ كشف لهم عن أخطر سر كانوا لا يتوقعونه، ألا و هو أن كل ما جرى على لسان ذلك الأمى صلّى اللّه عليه و سلّم كان نهاية الطريق الطويل الذى تعثرت به البشرية آلاف السنين، حتى وصلت إليه فى هذا القرن، فى عصر العلم و المعرفة.

نعم ... لقد كشف لهم عما لم يتوقعوه ألا و هو أنهم رغم الأحقاد الدفينة فى صدورهم، لم يتمكنوا أن يجدوا تناقضا واحدا، أو خطأ واحدا مما قاله ذلك الأمىّ منذ أربعة عشر قرنا، و فى أخص خصائص العلم، و أدق مباحثه، مما جعل كثيرا منهم يذعن رغم أنفه للحقيقة، و يعلن أن هذا الكلام إنما هو كلام اللّه المحيط بكل شىء علما، و من المحال أن يكون من كلام البشر.

و صدق اللّه إذ يقول: وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً.

الاعجاز العلمى فى القرآن يلفت نظر الباحثين من غير المسلمين:

اشارة

لم تقتصر دراسات الإعجاز العلمى للقرآن على المسلمين فحسب، بل تجاوزتها إلى غيرهم من الباحثين، من مستشرقين و غيرهم، و لا سيما أولئك الذين لهم صلة بالكتب المقدسة، إذ أصبحوا على يقين بأن بعض ما ورد فى الكتب السماوية المقدسة عندهم، قد أيده العلم، و جاء على وفقه، رغم ما فى تلك الكتب من التغيير و التحريف، و التبديل و التزييف، مما يدل على أن أصل تلك الكتب من قول اللّه، و ليس من قول البشر.

لقد وقع هذا رغم ما فى كتبهم من التحريف .. فكيف يكون الحال لو لم تحرف ..؟ لا بد أنهم كانوا سيجدون فيها كثيرا من الحقائق التى تعبوا فى سبيل الوصول إليها.

و لذلك التفت نظرهم إلى القرآن، لما يعلمونه عنه من الصحة فى نقله

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۶۵

متواترا، كما أنزله اللّه على نبيه عليه الصلاة و السلام، فلم تمسه يد تحريف و لا- تزييف، و دون أن يكون فى هذه الحقيقة نزاع أو اختلاف.

و لنضرب على ذلك مثالا لما وجدوه فى الإنجيل، ثم نرجع للكلام عما قالوه فى القرآن و علموه منه، و أترك الكلام للأستاذ وحيد الدين خان فى كتابه «الإسلام يتحدى» إذ يقول:

كانت بعثة لطلبة الصين تدرس فى كاليفورنيا منذ بضع سنين «۱» و قد ذهب اثنا عشر من هؤلاء الطلبة إلى كاهن كنيسة «بركلى» طالبين منه أن ينظم لهم دراسة حول الدين المسيحى فى أيام الأحد.

و قالوا له بكل صراحة: إننا غير راغبين فى اعتناق المسيحية، و لكننا نريد أن نعرف مدى تأثير هذا الدين على الحضارة الأمريكية.

و اختار القسيس عالما فى الرياضيات و الفلك هو البروفسور «بيترد.

ستونر» للتدريس لأولئك الشبان.

و بعد أربعة أشهر من هذا الواقع اعتنقوا الدين المسيحى!!.

أما الدوافع وراء هذا العمل المدهش فلنسمعها من الأستاذ نفسه إذ يقول:

«لقد كان السؤال الأول أمامى، ما ذا أقول لهم عن الدين؟ إنهم لا يؤمنون بالإنجيل إطلاقا، و تدريس الإنجيل على الطريقة التقليدية لن يأتى بفائدة ما، و فى ذلك الوقت تذكرت أنى أثناء دراستى كنت ألاحظ علاقة كبيرة بين العلوم الحديثة و سفر التكوين فى الإنجيل و لذلك رأيت أن أعرض هذا الكلام أمام هذه الجماعة من الشباب.

و كنا أنا و الطلبة نعرف بطبيعة الحال أن ما جاء فى هذا الكتاب عن بدء الكون قد كتب قبل آلاف السنين من كشوف العلوم الحديثة عن الأرض و السماء، و كنا نشعر كذلك أن أفكار الناس فى زمن موسى ستبدو لغوا باطلا لو درسناها فى ضوء معلومات العصر الحاضر.

---

(۱) فى الستينيات.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۶۶

و قد أمضينا فترة الشتاء كلها ندرس فى سفر التكوين، و كان الطلبة يكتبون الأسئلة حول ما جاء فى السفر، ثم يبحثون عن أجوبتها بكل جهد فى مكتبة الجامعة.

و عند انتهاء الشتاء أخبرنى القسيس أن الطلبة حضروا إليه ليخبروه أنهم يريدون اعتناق المسيحية، و قد أقروا أنه ثبت لهم أن الإنجيل

كتاب موحى من عند اللّه».

يقول الأستاذ خان: و على سبيل المثال يقول سفر التكوين عن حالة الأرض فى بداية الأمر: «لقد غشى على الأغوار ظلام».

و هـذا أحسن تصوير للحالة التى وجدت فى الأرض فى ذلك الوقت، كما عرفناها من العلوم الحديثة، فكان سـطح الأرض حارا جدا، و تبخرت الميـاه بسـبب هـذه الحرارة، و لم يصـل النور إلى سـطح الأـرض، لأـن مياه بحارنا كانت معلقـة فى صورة سـحب كثيفـة فى الفضاء، و كان ظلام حالك يسود الأرض.

ثم يسـتطرد الأسـتاذ خان و يقول: إننا نؤمن بأن الإنجيل و التوراة من الكتب الإلهيـة، كالقرآن الكريم، و لـذلك توجد فيها قبسات من العلم الإلهى، و لكن النصوص الأصـلية قـد ضاعت، و طرأ فارق كبير بين الإنجيل الحقيقى و إنجيل هـذا العصـر، بعد مضـى ألف عام حافلـة بعمليات الترجمـة من لغـة إلى أخرى، ثم بأعمال التحريف البشـرى الـذى أصاب النسـخة الإلهيـة أكثر ما أصاب على حد تعبير العالم الأمريكى «كريستى موريسون».

و لما كانت هذه الصـحائف قد فقدت قيمتها نتيجة لما حدث، فقد أرسل اللّه تعالى «طبعة جديدة» من كتابه إلى البشر- على حد تعبير الأستاذ خان- و هـذا الكتاب هو القرآن الكريم، و هو يحمل من أجل صـحته و كماله، كل المميزات و الخصائص التى لا توجد منها إلا لمحات فى الكتب القديمة» «۱» ا ه.

---

(۱) الإسلام يتحدى: ص ۱۹۲.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۶۷

فهـذه إشارات بسـيطة إلى بعض الحقائق العلميـة الحديثة، عثر عليها أولئك الطلبة أثناء دراسـتهم لسـفر التكوين، جعلتهم يعترفون بأن هذا الكلام ليس من كلام البشر، و أنه من كلام اللّه، رغم إيمانهم العميق بما فى تلك الكتب من التغيير و التحريف و التبديل.

فكيف بهم إذا و بأمثـالهم لو وقفوا أمام آيات القرآن الكريم التى لم تمسـها يـد تحريف أو تغيير، بل نقلت إلينا متواترة قطعيـة، غضـة طريّة، و كأننا نتلقاها عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مباشرة ..؟!.

لا بدّ أنهم سيجدون فيه ما تطمئن له قلوبهم، و تستريح به نفوسهم، من الأدلة القاطعة، و البراهين الساطعة، على أنه من كلام اللّه.

و لـذلك التفت نظر كثير من الباحثين و العلماء إلى كتاب اللّه يـدرسونه و يتعمقون فى فهم ما فيه من الآيات التى لها علاقة بالكون و الحياة، لعلهم يختصرون الطريق من خلالها إلى نهاية آمالهم فى الوقوف على حقائق العلوم.

موريس بوكاى و نظراته فى الاعجاز العلمى فى القرآن:

إن من أهم ما صـدر من الدراسات القرآنيّة، و لا سـيّما فيما يتعلق بالآيات التى لها مساس بالعلوم مما يسـتدل به على إعجاز القرآن، و أنه من كلام اللّه، هو ما كتبه المستشرق «موريس بوكاى» فى كتابه «دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة».

و نحن سوف لاـ نسـتطيع فى مثـل هـذه العجالـة أن نـذكر كـل ما فى الكتاب، و لكننا سنشـير إن شاء اللّه إلى أهم الفقرات فيه، مما له علاقة بموضوعنا.

يقول موريس بوكاى: لقـد تناولت القرآن منتبها بشـكل خاص إلى الوصف الـذى يعطيه عن حشـد كبير من الظاهرات الطبيعية، و لقد أذهلتنى دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات.

لقد أذهلتنى مطابقتها للمفاهيم التى نملكها اليوم عن هذه الظاهرات

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۶۸

نفسها، و التى لم يكن ممكنا لأى إنسان فى عصر محمد صلّى اللّه عليه و سلّم أن يكوّن عنها أدنى فكرة.

إن أول ما يثير الدهشة فى روح من يواجه مثل هذا النص أول مرة، هو ثراء الموضوعات المعالجة.

فهناك الخلق.

و علم الفلك.

و عرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض.

و عالم الحيوان.

و عالم النبات.

و التناسل الإنسانى.

و على حين نجد فى التوراة أخطاء علمية ضخمة، لا نكتشف فى القرآن أى خطأ.

و قد دفعنى ذلك لأن أتساءل: لو كان كاتب القرآن إنسانا، فكيف استطاع فى القرن السابع من العصر المسيحى أن يكتب ما اتضح أنه يتفق مع المعارف العلمية الحديثة؟.

ليس هناك أى مجال للشك، فنص القرآن الذى نملك اليوم، هو فعلا النص الأول نفسه.

فما التعليل الذى يمكن أن نعطيه لتلك الملاحظة؟.

ثم يقول: فى رأيى ليس هناك أى تعليل، إذ ليس هناك سبب خاص يدعو للاعتقاد بأن أحد سكان جزيرة العرب، فى العصر الذى كانت تخضع فيه فرنسا للملك داجوبرتDagopert استطاع أن يحظى بثقافة علمية تسبق بحوالى عشرة قرون ثقافتنا العلمية، فيما يخص بعض الموضوعات. ص/ ۱۴۵.

و معظم المقولات العلمية الموصى بها، أو المصاغة بشكل بيّن تماما فى القرآن، لم تتلق التأييد إلا فى العصر الحديث.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۶۹

و إن الثقافة اللغوية لا تكفى لتفسير بعض آيات القرآن، و لا بد من ثقافة انسكلوبيدية تقع على عاتق عدة تخصصات، و لذلك أخطأ القدماء فى فهم هذه الآيات. ص/ ۱۴۶.

ثم قال: إنه احتفظ بعدد من الآيات أقل من الذى اختاره العلماء المسلمون لدراسة جوانبها العلمية، و أنه فى مقابل ذلك، أبرز بعض آيات لم تعط لها من قبل الانتباهة التى تستحق من وجهة النظر العلمية.

ثم بحث ما إذا كان فى القرآن إشارات إلى ظاهرات يسهل على الإدراك البشرى فهمها، و إن لم تكن قد تلقت بعد توكيدا من العلم الحديث، فوجد أن القرآن يحتوى على إشارات بوجود كواكب فى الكون تشبه الأرض، و قال: إن كثيرا من العلماء يرون ذلك معقولا تماما، دون معطيات حديثة لتوكيد ذلك.

و قال: إنه لو قام بدراسة كهذه منذ ثلاثين عاما، لوجد أن القرآن قد صرح بغزو الفضاء، ففى ذلك الوقت كان معروفا أن هنالك آية قرآنية تتنبأ بأن الإنسان سيحقق هذا النصر ذات يوم، و قد تم الآن التأكد من هذا. ص/ ۱۴۷.

ثم تكلم عن مسألة تغير النظرية العلمية، و ما يكون لذلك من الأثر على تفسير النص القرآنى فقال:

إن ما تحدث به بعضهم من أن العلم متغير مع الزمن، و أن ما يمكن قبوله اليوم قد يرفض غدا. يتطلب التعديل ..، فيجب التفريق بين النظرية العلمية، و بين الفعل موضوع الملاحظة، فالنظرية العلمية يمكن أن يستغنى عنها بما هو أكمل منها و أصح، لتفسير الظاهرة، و لكن الفعل موضوع الملاحظة يبقى قائما، و قد يمكن تعريف سماته بشكل أحسن، و لكنه يظل على ما كان عليه قبل.

فدوران الأرض حول الشمس، و القمر حول الأرض، يبقى فعلا واقعا قائما، و لن نرجع عنه أبدا، و لكن قد يمكن فى المستقبل تحديد المدارات بشكل أحسن. ص/ ۱۴۸.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۷۰

ثم قال: إن تبصرى بالطابع المتغير للنظريات، جعلنى استبعد آية قرآنية، ظن عالم فيزيائى مسلم أنها تعلن عن مفهوم ضد المادة، و تلك نظرية مثار جدل حاليا، على حين يمكن منح كل الانتباه لآية قرآنية تذكر الأصل المائى للحياة، و تلك ظاهرة، و إن كنا لم نقدر على التحقق منها، فهناك برغم ذلك عدة حجج تشهد فى صالحها، و تطور الجنين البشرى، و هو خاضع للملاحظة، يمكن فيه مقابلة المراحل الموصوفة فى القرآن مع معطيات علم الأجنة الحديث، لنكشف اتفاق الآيات القرآنية التام مع العلم. ص/ ۱۴۸.

ثم قام بمقابلة مسألتى الخلق و الطوفان بين القرآن و العلم، و التوراة و العلم، فوجد أن العلم لم يتفق مع التوراة، بينما وجد العلم قد اتفق مع القرآن اتفاقا كاملا، و لذلك قبل نص القرآن علميا، و رفض نص التوراة.

و رفض نتيجة لذلك تهمة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم استكتب القرآن محاكيا التوراة ..

ص/ ۱۴۹.

كما رفض الفرية القائلة بأن محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم هو الذى ألف القرآن، و تساءل:

كيف يكون النبى أميّا و يأتى بحقائق ذات طابع علمى لا ينتمى إلى عصره؟.

و من ثم أبدى رأيه الصريح و هو أنه ليس من تفسير وصفى للقرآن، فهو من عند اللّه، و أنه صحيح صحة لا تقبل الجدل، و له- لذلك- مكانة خاصة بين الكتب المنزلة، لأنه لا يشاركه فى صحته التوراة و لا الإنجيل أبدا .. ص/ ۱۵۱.

ثم انتقل موريس بوكاى فى كتابه إلى عرض بعض الآيات القرآنية، و ما يستفاد منها، مما يدل على ما ذكرناه.

و إنى موجز بعض ما قاله فيما يلى، على أن أعود إلى تفاصيله عند الكلام على تلك الآيات بالتفصيل.

فتكلم أولا على خلق السموات و الأرض، فبين نقاط الخلاف و التجانس، بين روايات التوراة و آيات القرآن.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۷۱

فاستنتج أن القرآن أطلق الدخان على الكتلة السديمية، و هى الكتلة الغازية ذات الجزئيات فى قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ.

و أشار إلى عملية الفتق بعد الرتق للكتلة الفريدة الأولى فى قوله تعالى:

أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما.

و ذكر أن القرآن فرق بين وصف الشمس و القمر، فوصف الشمس بالسراج الوهاج، و القمر بالنور، و أوضح أن وصف الشمس يراد منه أنها مصدر إشعاع، و أن وصف القمر بالنور يراد منه أنه مظلم فى نفسه يتلقى الضوء و يعكسه نورا.

و قال: إن مما يثير دهشة القارئ هو الآيات التى تشير إلى ثلاث مجموعات من المخلوقات:

۱- تلك التى توجد فى السماء.

۲- تلك التى توجد على الأرض.

۳- تلك التى توجد بين السماء و الأرض، و ذلك فى قوله تعالى: لَهُ ما فِي السَّماواتِ، وَ ما فِي الْأَرْضِ، وَ ما بَيْنَهُما، وَ ما تَحْتَ الثَّرى.

و قال: إن شيئا آخر يثير دهشة القارئ، و هو أن القرآن يشير إلى وجود كواكب كالأرض: إذ قال: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ، وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ، يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ، لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً.

ثم ذكر قوله تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ.

و قال: إن فى هذه الآية رد على التوراة التى تزعم أن اللّه تعب بعد عملية الخلق فاستراح فى اليوم السابع.

و ينتهى بعد عرض آيات الخلق إلى خمس نقاط يستنتجها، و هى:

۱- وجود ست مراحل للخلق عموما.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۷۲

۲- تداخل مراحل خلق السموات مع مراحل خلق الأرض.

۳- خلق الكون من كومة أولية فريدة كانت مجتمعة فتفصلت.

۴- تعدد السموات و تعدد الكواكب التى تشبه الأرض.

۵- وجود خلق وسيط بين السموات و الأرض.

و تكلم على كل نقطة من هذه النقاط بما يلائمها من العلوم الحديثة.

ثم قال: إذا كانت المسائل التى تطرحها آيات القرآن لم تتلق تماما حتى يومنا هذا توكيدا من المعطيات العلمية، فإنه لا يوجد على أى حال أقل تعارض بين المعطيات القرآنية الخاصة بالخلق، و بين المعارف الحديثة عن تكوين الكون، و ذلك أمر يستحق الالتفات إليه فيما يخص القرآن.

على حين أنه قد ظهر بجلاء أن نص العهد القديم الذى نملكه اليوم، قد أعطى عن هذه الأحداث معلومات غير مقبولة من وجهة النظر العلمية.

و نحن لا ندهش لذلك، إذا علمنا أن النص الأكثر تفصيلية عن رواية الخلق فى التوراة قد كتب بأقلام كهنة عصر النفى إلى بابل، و قد كان لهم الأهداف التشريعية، فاصطفوا لتلك الأهداف رواية تتفق و نظراتهم اللاهوتية.

و أن نص الكهنة هذا يحجب السطور القليلة من الرواية الأخرى المسماة باليهودية، فهى من الإيجاز و الغموض بما لا يسمح لعقل علمى أن يأخذها فى اعتباره.

إن وجود هذا الاختلاف بين رواية التوراة و المعطيات القرآنية عن الخلق، جدير بالتنويه، أمام الاتهامات التى لم توفر على محمد صلّى اللّه عليه و سلّم منذ بدايات الإسلام.

و التى تقول: إن محمدا قد نقل روايات التوراة فيما يتعلق بموضوع الخلق.

فإن الاتهامات لا تتمتع بأى أساس، فكيف كان يمكن لإنسان منذ أربعة عشر قرنا أن يصحح إلى هذا الحد الرواية الشائعة فى ذلك العصر، و ذلك باستبعاد أخطاء علمية، و بالتصريح بمبادرته وحده بمعطيات أثبت العلم أخيرا صحتها فى عصرنا.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۷۳

هذا فرض لا يمكن الدفاع عنه، إن القرآن يعطى عن الخلق رواية تختلف تماما عن رواية التوراة.

ثم يرد على بعض الاعتراضات التى اتهم بها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، كأخذه عن الربانية، أو عن راهب مسيحى علمه، و كذلك يدحض ما قيل من أن أمما أخرى جاء فى أساطيرها روايات مشابهة عن الخلق. ص/ ۱۶۷- ۱۷۵.

ثم انتقل إلى الكلام على علم الفلك فى القرآن فقال: إن القرآن يأتى بالإضافة إلى آيات الخلق بآيات هى تأملات فى عظمة الخالق، و أن التوراة و الإنجيل لم يعالجا ترتيب الكون، و إن القرآن انفرد بذلك.

و لم يأخذ القرآن بالنظريات السائدة فى عصره، و كانت مخطئة، و يعطى لهذا الجانب السلبى أهمية و شأنا- فهو يدل على عدم تأثر القرآن بخطإ ذلك العصر العلمى- و يدحض بذلك قول من ينسب إلى النبى أنه أخذ معلوماته عن العرب الذين كانوا متقدمين فى هذا الفن.

و يضيف إلى حجته أن العرب إنما تقدموا فى علم الفلك بعد عهد النبى لا قبله.

و على هذا النحو يستطرد المؤلف فى تتبع آيات القرآن آية آية إلى أن يأتى على الآيات التى لها مساس بالعلم من قريب أو بعيد، و يؤكد من خلالها أن هذا القرآن وحى من اللّه، و ليس من صنع البشر.

و نحن نكتفى بهذا القدر الذى أوردناه لمكان الشاهد فيه، و هو التفات نظر المفكرين و الباحثين إلى القرآن لما فيه من إشارات علمية باهرة، قد توفر على العالم البحث لمئات السنين ... و ذلك بسبب مشاهداتهم للمطابقة بين آيات القرآن و الواقع العلمى

المعاصر، الذی لم یجد فی نهایة مطافه إلا أن یعترف بأنه جاء مؤکدا لمضمون تلک الآیات، لیدل علی أنها من قول اللّه.

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۱۷۵

الآیات القرآنیّة و الاعجاز العلمی فیها

اشارة

إننا بعد تلک المقدمة الوجیزة التی ذکرناها حول فکرة الإعجاز العلمی لآیات القرآن، و ما کان لها من أثر فی لفت أنظار الباحثین و المفکرین، من المسلمین و غیرهم، یجدر بنا أن ننتقل إلی صلب الموضوع فنقول:

إننا نستطیع أن نقسم الآیات التی لها علاقة بالعلوم، و تظهر فیها سمات الإعجاز- إلی قسمین:

القسم الأول: کان الإنسان یعرف عنه بعض الشیء حینما نزل القرآن، و لکن معرفته عنه کانت سطحیة، و ساذجة بدائیة، لا تعدو المشاهدة و الاستغراب، و ربما صاحبتها بعض التعلیلات الخاطئة، التی کانت تستوحی من معارف العصر و ثقافته.

و القسم الثانی: کان الإنسان فی عمایة کاملة عنه، و جهالة تامة به، ما کان یعرفه، و لا یتصوره، و مع ذلک أخبر القرآن عنه قبل کشفه بقرون طویلة علی ما یوافق المعارف الحدیثة الیوم تماما.

و الأعجب من ذلک أنه أخبر عنه بأبلغ أسلوب و أبدعه، و بما یتناسب مع أذواق ذلک العصر و معارفه، فلم ینب عنه سمع العربی فی ذلک الوقت، و لم یستنکره المفکرون و المتأملون، و ربما لفت نظر الإنسان إلی وجود أسرار فی هذا الکون وراء قدرته و معارفه، إلی أن جاء العلم الحدیث فکشف عما یوافق تلک الأخبار فی نفس عباراتها و صیغها القدیمة، لیستدل بذلک علی أن هذا القرآن موحی به من عند اللّه.

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۱۷۶

و من خلال عرضنا للآیات القرآنیة سنری إن شاء اللّه الفرق بین القسمین، دون أن نفرد لکل منهما فصلا مستقلا، إذ لا حاجة لذلک، و لا- سیما أن القسمین قد یتداخلان فی بعض الآیات إذ کان العرب یعرفون عن معناها شیئا کشفت لنا الأیام و العلوم الحدیثة أن المراد منها شیء آخر غیر ما کان معروفا.

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۱۷۷

الآیة الاولی قانون المط السطحی و قوله تعالی وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً

اشارة

لقد ذکر القرآن قانونا خاصا بالماء فی سورتین، هما: الفرقان و الرحمن، فقال تعالی فی (سورة الفرقان: آیة ۵۳):

وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ، هذا عَذْبٌ فُراتٌ، وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ، وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً.

و قال فی (سورة الرحمن: آیة ۲۰- ۲۱):

مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ یَلْتَقِیانِ، بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ.

إن هذه الظاهرة التی یتکلم عنها القرآن، و هی عدم اختلاط الماء العذب بالماء المالح، لیست ولیدة المعارف الحدیثة، و إنما هی أمور معروفة للإنسان منذ القدم، بناها علی مشاهداته الحسیة، التی لا سبیل إلی إنکارها.

و علی سبیل المثال یوجد نهران یسیران فی «تشانغام» بباکستان الشرقیة إلی مدینة «أرکان» فی بورما، أحدهما عذب، و الآخر مالح، و یمکن مشاهدة النهرین، مستقلا أحدهما عن الآخر، و کأن حدا فاصلا یفصل بینهما، الماء العذب فی جهة، و الآخر المالح فی جهة

أخرى، و هذه الظاهرة معروفة متكررة غير خافية على أحد.

و لكن .. لما ذا لم يختلطا ..؟.

۱۲ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۷۸

لقد تساءل المفسرون القدماء عن هذا، و أجابوا بقول اللّه تعالى: وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً.

و لئن سألناهم، أين هذا البرزخ ..، و ما هو هذا الحجر ..؟ قالوا كما قال عبد اللّه بن عباس رضى اللّه عنهما: «حجر أحدهما عن الآخر بأمر اللّه و قضائه» «۱».

و لكنهم لم يستطيعوا أبدا أن يضعوا أيديهم على السر العلمى لهذا البرزخ إلى أن جاء العلم الحديث و اكتشف «قانون المط السطحى» الذى يفسر هذه الظاهرة.

قانون المط السطحى:

و هو القانون الذى يضبط الأشياء السائلة، و هو يفصل بين السائلين، و ذلك لأن تجاذب الجزئيات يختلف من سائل لآخر، و لذا يحتفظ كل سائل باستقلاله فى مجاله.

و قد استفاد العلم الحديث كثيرا من هذا القانون الذى عبر عنه القرآن الكريم بقوله سبحانه: بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ.

و ملاحظة هذا البرزخ لم تخف عن أعين القدماء، و إن لم يستطيعوا معرفة السر العلمى له، كما لم يتعارض مع المشاهدة الحديثة، و لا مانع عندنا أن نقول إن البرزخ الفاصل بين الماءين هو هذا القانون.

و يمكننا فهم هذا القانون بمثال بسيط، و هو أننا لو ملأنا كوبا من الماء، فإنه لن يفيض إلا إذا ارتفع عن سطح الكوب قدرا معينا، و السبب فى ذلك أن جزئيات السوائل عند ما لا تجد شيئا تتصل به فوق سطح الكوب تتحول إلى ما تحتها، و عندئذ توجد غشاوة مرنة على سطح الماء، و هذه الغشاوة هى التى تمنع الماء من الخروج عن الكوب لمسافة معينة.

---

(۱) الدر المنثور: ۵/ ۷۴.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۷۹

و هى غشاوة قوية جدا لدرجة أننا لو وضعنا عليها إبرة من حديد فإنها لن تغوص داخل الماء، بسبب هذه الغشاوة.

و هذه الظاهرة هى التى تسمى بقانون المط السطحى، الذى يحول دون اختلاط الماء بالزيت، و هو الذى يفصل بين الماء العذب و الماء المالح، و هو الذى يشير إليه القرآن فى قوله تعالى: وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً «۱».

فإشارة القرآن إلى وجود هذا الحاجز الذى لا يشاهد بالعين، لا يدرك بالحس، فى زمن لم يكن الإنسان فيه على أى معرفة بهذا القانون الضابط المكتشف حديثا، ليدلنا دلالة قاطعة على أن هذا الكلام إنما هو من كلام عالم الغيب، و المطلع على أسرار الكون، و عارف الحقائق، ألا و هو اللّه الذى أحاط بكل شىء علما.

على أنه يجدر بنا أن نشير هنا إلى نقطة مهمة، ربما التبست على بعض الناس إلا و هى: أننا عند ما قلنا: إن البرزخ هو قانون المط السطحى، لم نرد بهذا أن نفسر كلمة البرزخ تفسيرا لغويا، و إلا لخرجنا عن الضوابط التى رسمناها فى أول البحث، و جعلناها منهجا لنا فيه، فالبرزخ فى اللغة: هو الحاجز بين الشيئين، و لكننا أردنا أن نبين حقيقة هذا البرزخ الذى أخبر عنه القرآن، بدليل يقينى لا يمترى فيه، فكان هذا القانون شارحا لحقيقته العلمية، و هذا لا يتنافى مع المعنى اللغوى، بل يبين لنا حقيقته و كيفية تكونه.

---

(۱) الإسلام يتحدى: ص ۱۹۸، و موريس بوكاى، دراسة الكتب المقدسة ص ۲۰۴- ۲۰۶.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۸۰

الآية الثانية اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها و قانون الجاذبية

لقد كان الإنسان القديم يرى الكواكب فى السماء تبرق و تلمع، و تظهر و تختفى، و يرى الشمس و القمر و النجوم، و لكنه ما كان يعرف شيئا عن سر تعلقها فى السماء هكذا، دون عمد تستند إليها أو تعتمد عليها.

و ربما شاعت بين الناس كثير من الشائعات الباطلة، و انتشرت فيهم العقائد الزائفة، فزعم بعضهم أنها ثقوب فى السماء، ترى منها أنوارها، و زعم بعضهم أنها قناديل معلقة فيها، أو مسامير لامعة مثبتة عليها، إلى آخر ما هنالك من المعتقدات الساذجة المبنية على الأوهام، الناتجة عن الرؤية العادية لهذا الكون الفسيح المجهول.

و كان الإنسان القديم يرى فى الليلة الظلماء كثرة الكواكب التى تطبق السماء، و لكنه لم ير أبدا أن كوكبين قد اصطدما، و لكنه لم يكن يعرف شيئا عن هذا السر العظيم.

و ربما كان بعض الناس على معرفة بسيطة ببعض الكواكب من حيث ظهورها و خفاؤها، و أماكن وجودها، و زمنه، و لكنه لم تكن هناك أبدا أية معرفة بأسرار تعلقها فى السماء، أو طبيعة حركتها و دقة سيرها.

و كما يقول موريس بوكاى: لقد كانت فترة الرسالة و ما بعد الهجرة حتى وفاة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى مرحلة ركود من ناحية المعارف العلمية منذ عدة قرون، و كان

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۸۱

عصر الحضارة الإسلامية النشط مع الازدهار العلمى الذى واكبها، لاحقا لنهاية تنزيل القرآن «۱».

إذن لو أراد محمد صلّى اللّه عليه و سلّم أن يتكلم على الفلك بمعارفه و علومه، لتكلم بنفس المعارف التى كانت شائعة فى ذلك العصر.

و لكن القرآن نزل بعبارات فيها إشارات خفية إلى ما لم تعرفه البشرية إلا فى عصرها الحديث.

فقال تعالى: اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها (سورة الرعد:

آية ۲).

فقد كانت هذه الآية مطابقة لما كان يراه الرجل القديم، فإنه كان يشاهد عالما كبيرا قائما بذاته فى الفضاء، مكوّنا من الشمس، و القمر، و النجوم، و لكنه لم ير أية سارية أو عمود تقوم عليها تلك الكواكب.

إلا أن الرجل الجديد يشاهد فى هذه الآية تفسيرا لمشاهداته التى تثبت أن الأجرام السماوية قائمة دون عمد فى الفضاء اللانهائى، بيد أن هنالك عمدا غير مرئية، تتمثل فى قانون الجاذبية، و هى التى تساعد كل هذه الأجرام على البقاء فى أماكنها المحددة لها، فلا تسقط على الأرض، و لا يصطدم بعضها ببعضها الآخر» «۲».

و بهذا يظهر لنا سر التعبير القرآنى «بغير عمد ترونها» مما يشير إلى وجود عمد غير مرئية و هى ما يتم بفعل الجاذبية و قانونها.

إن الكلام لو لم تذكر فيه كلمة «ترونها» لتام و كامل و مفهوم، و لكنها زيدت- و اللّه أعلم- لهذا الغرض، لتلفت نظر الإنسان إلى وجود شىء غير مرئى سيدركه الإنسان يوما ما بعقله و إن لم يره بعينه، ألا و هو قانون الجاذبية، ليدل كل ذى

---

(۱) دراسة الكتب المقدسة: ص ۱۵۴.

(۲) الإسلام يتحدى: ص ۱۹۸.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۱۸۲

عقل علی أن هذا الکلام لا یمکن أن یصدر من قبل البشر فی ذلک العصر الذی لم یکن عند الإنسان أیة معلومة عن هذا القانون، بل کان یتخبط فی متاهات الأوهام حول تعلق الکواکب فی الفضاء.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۱۸۳

الآیة الثالثة وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها و حرکة الکواکب

قال تعالی: وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها، ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ.

و قال: لَا الشَّمْسُ یَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ، وَ لَا اللَّیْلُ سابِقُ النَّهارِ، وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ (سورة یس: آیة ۴۰).

و لم تکن هذه العبارات موضع دهشة و استغراب لدی الإنسان فی العصر القدیم، فإنه کان یری حرکة النجوم و الکواکب، و یری فی بعض الحالات تباعدها عن أماکنها، و لکنه ما کان یعرف شیئا عن حرکة الشمس، کما لم یکن یعرف شیئا عن مفهوم الفلک الذی یدور فیه کل کوکب.

فجاءت الآیة القرآنیة بمعارف جدیدة، لم تکن معروفة فی ذلک العصر، مما یدل علی أن هذا الکلام لیس من کلام البشر، و إنما هو من کلام اللّه.

و فی هذه الآیة یقول موریس بوکای: «إن القرآن لا یذکر المفهوم الفلکی القدیم عن مرکزیة الأرض، و دوران الشمس حولها، بل یذکر أن کلا من الشمس و القمر یجری فی فلکه موافقا بذلک العلم الحدیث.

و یقول: إن القرآن قدم مفهوما جدیدا لم یکن یعرف فی عصره، و هو مفهوم الفلک الذی یدور فیه کل کوکب.

ثم یقول: إن دوران الشمس الذی تحدث عنه القرآن، هو حرکة الشمس ضمن مجرتها حول مرکز المجرة، بسرعة ۲۵۰ کم فی الثانیة، کما أثبت العلم الحدیث.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۱۸۴

ثم دافع هو نفسه عما یمکن أن یقال من أن محمدا صلّی اللّه علیه و سلّم کان مفکرا عظیما حین تحدث عن حرکتی الشمس و القمر، کما یتحدث عنهما الفیثاغورثیون، الذین توصلوا إلی أن الأرض تدور حول الشمس، لا العکس.

دافع عن هذا بقوله: إن الفیثاغورثیین أصابوا هنا، و لکنهم أخطئوا فی کون الشمس ثابتة لا- تتحرک، و أنها مرکز العالم، فهم قد جمعوا بین الخطأ و الصواب، و هذا لا یجعلهم کالقرآن الذی لم یخطئ أبدا» «۱».

نعم .. إنها شهادة حق من باحث منصف، تطابق الواقع الذی لا یمتری فیه عاقلان.

إنه لأمر أعجب من العجیب، و أغرب من الغریب أن نجد أمیّا نشأ فی الصحراء، بعیدا عن فلسفة الیونان، و قوانین الرومان، و حکمة الهند، و نظریات أرسطو و أفلاطون و فیثاغورث ..، و مع ذلک فهو یتحدث عن النظام الفلکی بأبلغ کلام و أدقه و أحکمه، و بما یتناسب لا مع کلام الریاضیین الیونان، و إنما مع معارف القرن العشرین، دون اضطراب أو تناقض، و یری الناظر فیه أنه کان تصحیحا لمعتقدات البشر من فلاسفة و ریاضیین و فلکیین، مع ما أضافه إلیها من المعارف، قبل قرون عدیدة من عصر النهضة الذی وقف فیه الإنسان فی نهایة مطافه علی ما قاله القرآن.

أو یجوز لعاقل بعد هذا أن یقول: إن هذا القرآن من صنع محمد صلّی اللّه علیه و سلّم و تألیفه ..؟.

أو أنه من إیحاءات البشر و کهانتهم و تعالیمهم؟.

لو کان کذلک لکان یجب علی أحسن أو أسوأ الاحتمالات أن ینطق بمعارف ذلک العصر و تعالیمه، إلا أنه لم یعرف تعالیمهم، و عند ما نطق بموضوعها نطق مخالفا لها و معلنا عن خطئها، مما یدفعنا و بکل ثبات و یقین أن نقول: إن هذا لهو الدلیل القاطع علی أن

هذا القرآن ليس من صنع البشر، و لا من تعاليمهم و إيحاءاتهم، و إنما هو من كلام خالق الأرض و السماء، و العالم بالسر و العلن، إنه كلام اللّه.

---

(۱) دراسة الكتب المقدسة: ص ۱۷۵- ۱۷۸.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۸۵

الآية الرابعة يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ، وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ و كروية الارض

لقد تكلم القرآن الكريم على الليل و النهار، بعبارات واضحة مشرقة، لا ينكر السامع معنى من معانيها مهما بلغ به الجهل فى العلوم و المعارف، و لذلك كانت متناسبة تماما مع معارف الناس حين نزل القرآن، و لكنها كانت تحتوى على إشارات إلى معارف أخرى لم يكن للناس فى ذلك الوقت معرفة بها، ألا و هى الإشارة إلى كروية الأرض و دورانها ..

قال تعالى: يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ، وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ (سورة لقمان: آية ۲۹).

و قال: يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً (سورة الأعراف: آية ۵۴).

و قال: يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ (سورة الزمر:

آية ۵).

إن هذه الآيات تشرح للإنسان سر مجيء الليل بعد النهار، و النهار بعد الليل.

و هذه حقيقة يدركها كل إنسان من أقدم العصور، و لذلك لم يجد فيها ما يثير دهشته، و يلفت انتباهه.

إلا أن الإنسان المعاصر قد وجد فيها شيئا آخر تضمنته و أشارت إليه، لم يكن الإنسان القديم يعرف عنه شيئا إلا و هو دوران الأرض محوريا حول نفسها و كرويتها، و الذى لم يكشفه الإنسان إلا فى العصر الحديث.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۸۶

لننظر إلى قوله تعالى: يَطْلُبُهُ حَثِيثاً فإن فيه إشارة إلى التتابع و التلاحق و الجريان، دائما و أبدا، دون توقف أو انتظار.

و لكن إلى أين يجريان و يتتابعان، و كيف ..؟

هل يجريان فى طريق مستقيمة إلى اللانهاية ..؟ إذا لكان من المفترض ألا يمر على الأرض إلا ليل واحد و نهار واحد ...

لكننا كنا و ما زلنا نراهما متعاقبين متتابعين و فى نظام واحد، تطلع الشمس من المشرق، و تغيب فى جهة المغرب.

لنتأمل هذه الصورة الفنية فى القرآن الكريم، ثم ننتقل إلى الصورة الأخرى فى قوله تعالى: يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ، وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ (سورة الزمر: آية ۵). نجد أن الآية واضحة كل الوضوح فى حركة الأرض و دورانها.

فهناك تكوير الليل على النهار، ليخفيه و يكون الليل.

و تكوير النهار على الليل، ليمحوه و يكون النهار.

و بين هذين التكويرين نرى جرما كرويا يتحرك بينهما فيجعلهما يتكوران أحدهما على الآخر.

فغشيان الليل النهار، و غشيان النهار الليل، لم يكن بشكل عادى مستقيم، و إنما كان بالتكوير، الذى لا يمكن أن ينتج إلا عن حركة جسم كروى فيه «۱»، يدور حول محوره.

فكيف يمكن تفسير هذه الظاهرة القرآنية على زمن اليقينيات العلمية، وسط صحراء جزيرة العرب.

إنها لا تفسير لها و لا حل، إلا بالقول بأنها من وحى اللّه.

---

(۱) براهين: ص ۷۴.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۸۷

الآية الخامسة هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً و حقيقة الشمس و القمر

قال تعالى: تَبارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّماءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِيها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِيراً (سورة الفرقان: آية ۶۲).

و قال: أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً، وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً، وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً (سورة نوح: آية ۱۶).

و قال: هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً، وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ (سورة يونس: آية ۵).

و نحن إذا رجعنا إلى معنى السراج و معنى المضىء فى اللغة وجدناهما معنيين مختلفين.

و ذلك أن السراج لا يطلق إلا على ما كان يبعث مع الشعاع حرارة، و أن المنير هو الذى يبعث ضياء لا حرارة فيه.

كما أننا لا نقول عن الشىء سراجا إلا إذا كان يبعث الحرارة من داخله و جوهره، و نقول عنه إنه منير إذا انعكس عليه الضوء من جرم آخر.

و بناء على هذه التفرقة اللغوية تكون الآية ناطقة بأن القمر جرم بارد لا- حرارة فيه، و أنه يكتسب أشعته و نوره من جرم آخر، ثم يعكسه على الأرض.

و أن الشمس مضيئة إضاءة ذاتية بأشعة حارة، و لذلك وصفها اللّه تعالى بالتوهج فى قوله: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً «۱» (سورة عم: ۱۳).

---

(۱) و انظر هذا الموضوع فى دراسة الكتب المقدسة لبوكاى ص ۱۷۵، و مقال الدكتور البوطى فى الموضوع فى مجلة العربى عدد ۲۴۶، ص ۵۵.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۸۸

و هذه هى الحقيقة العلمية لكل من الشمس و القمر، كما تقول معارفنا الحديثة.

إذن فقد جاءت الآية القرآنية كاشفة عن الحقيقة العلمية اليقينية التى آمن العلم بها، و أذعن لها، ليثبت أن القرآن الكريم لم يحد أبدا عن الحقائق العلمية، و لم يصدمها فى أى جزئية من جزئياتها، مع كثرة ما تعرض له منها، و فى زمن لم يكن يعرف الإنسان فيه شيئا عنها، أو أنه عرف بعض الشىء الذى اختلط فيه الحق بالباطل.

فهل يمكن أن يكون كل هذا من صنع الإنسان ..؟ و هل هذا فى طاقته ..؟.

إن الجواب الذى يمكن أن يقوله كل عاقل و بثقة و تثبت هو ما قاله اللّه تعالى: وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۸۹

الآية السادسة وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ، ما فَرَّطْنا فِى الْكِتابِ مِنْ شَىْءٍ و الحياة الاجتماعية عند الحيوان

لم يكن الإنسان القديم يعرف شيئا عن النظام الاجتماعى للحيوانات المبثوثة فى الأرض، و إن كان يعرف بعض الظواهر الساذجة عن بعض أفرادها.

و نزلت آيات القرآن الكريم تتحدث عن هذا الموضوع بشىء غير مألوف و لا معروف، من أن هذه الحيوانات أمم كأمثال بنى آدم.

و معنى هذا أن لكل نوع من أنواع الحيوان ما للأمة من بنى آدم من الروابط و المقومات التى تحتاج إليها الأمة، من النظام، و وسيلة التفاهم، و غير ذلك من المقومات الضرورية للأمة.

فقال تعالى: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ، وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ، ما فَرَّطْنا فِى الْكِتابِ مِنْ شَىْءٍ، ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ

«۱».

و كان الإنسان المؤمن فى الصدر الأول يسمع هذا الكلام، و يؤمن به على ما هو مفهوم من ظاهره، إيمانا بالغيب، لأنه يعلم أن ما يخبر اللّه به حق لا- مريـة فيه، و إن لم يفهم حقيقته، إذ لم يكن لـديه فى ذلك الوقت من المعارف ما يمكنه من الوقوف على حقيقـة الأمة عند الحيوان ...

---

(۱) سورة الأنعام: آية ۳۸.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۹۰

و أما غير المسـلمين من أصـحاب الملل و النحل فكانوا يعتبرون هذا ضربا من الخرافة عند المسلمين، و أن الحيوان لا عقل له يفكر به، و لا نظام لديه يعيش فيه.

و كان العلماء القـدماء يعتقـدون أن هذه الحيوانات أجسام حية، تحس و تتألم، و لكن لا تحمل العقل المفكر، و أن ما يصدر عنها من حركات و أعمال إنما هى انفعالات غريزية.

و اسـتمر هـذا الاعتقـاد إلى عصور متـأخرة، حتى أن الفيلسوف ديكـارت كـان يرى أن الحيوانات كالآلـة المعقـدة المجردة من الحياة العقلية، فهو لا يفكر كما يفهم الناس، بل يعبر فى سلوكه عن الغرائز.

و قد اشتهر تعريفه هذا، و تداوله العلماء و المفكرون، مسلمين له، و مؤمنين به.

و لم يعترف للحيوان بعقل و تفكير نسبيين إلا فى القرن الثامن عشر، و التاسع عشر.

فقـد اعترف دارون و غيره من علماء الحيوان، و بعـد البحث و المتابعة و الاسـتقراء، قد اعترفوا جميعا بأن الحيوان له عقل و تفكير، إلا أنه دون العقل و التفكير الإنسانى، و أنه بهذا التفكير يستطيع أن يعيش فى حياة اجتماعية ربما كانت عند بعض الحيوانات مثالية ...

و من أبدع الأمثلة التى ذكرها العلماء عن الأمم الحيوانية ما ذكروه عن النمل إذ قالوا:

إن النمل من الحيوانات الاجتماعية التى تعيش مجتمعه، تتعاون فى شـئون حياتها، و تتساعد فى أمور بقائها، فهى أمم و شـعوب، كأمم و شعوب النوع البشرى، لها نظام كنظامه، و حكومة كحكوماته، و شئون عامة كشئونه، فهى من أعجب الحيوانات و أدعاها للتأمل.

و قالوا: إن أعمال النمل تدل على أنها متمتعة بدرجة رفيعة من العقل، و بغرائز عظيمة للاجتماع و التضامن فى الحياة.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۹۱

فأعمالها الاجتماعيـة لا تقتصـر على بناء مساكنها، و العمل على قانون التعاون، و القيام بتربيـة الصـغار، و لكن يرجح أن لها لغة خاصـة تتفاهم بها.

ثم شوهـد لـدى مجتمعـات النمل غرائز اسـتعمارية يـدفعها لشن الغارات على قرى النمل المجاورة لها، إما بقصـد الاستيلاء على القرية للانتفاع بها، أو بقصد توسيع نطاق أملاكها، أو الاستيلاء على صغارها ..

و من الغريب أنهـا تأسـر الأسـرى من أعـدائها، ثم تقودهم إلى معسـكراتها، ثم تقتلهم أو تتخـذهم أرقـاء، و تكلفهم بأشق الأعمال فى القرية «۱».

و مما يدهش له الإنسان أن النمل قد اسـتأنس بعض الحيوانات التى هى أقل منه شأنا، استأنسـها- كما يستأنس أحدنا الحيوان لدره- و لكن الأكثر إثارة و دهشـة هو أنه قـد وجـد نحو ألفى نوع من هـذه الحشـرات المختلفة داخل مساكن النمل، و قد نجح فى استئناسـها كلها، بينما لم يستأنس الإنسان سوى عشرين نوعا تقريبا «۲».

لم يكن الإنسان القديم يعرف شـيئا عن مثل هذه الحقائق، و لذلك لم تتردد حتى فى أساطيره .. فكيف تمكن محمد صلّى اللّه عليه و سلّم من إدراك مثل هذه الحقيقة التى أمضى العلماء حتى توصلوا إليها القرون الطويلة من البحث و التأمل.

لا يمكن لأى مفكر منصف فى هذه الأرض أن يعزو مثل هذه الحقيقة الناطقة لغير الوحى من قبل خالق الأرض و السماء و عالم السر و العلن، الذى أتقن كل شىء خلقه و أحاط به علما ..

إن العلماء المعاصرين اليوم حينما يقرءون هذه الآية لا يدهشون فقط لما فيها من المعارف اليقينية التى أيدها العلم الحديث، بل يتخذون منها مشعل هداية للبحث عن النظم الاجتماعية و الطاقة العقلية عند كل الحيوانات الموجودة على سطح الأرض، لأن اللّه عمم لفظ الأمة لكل دابة تدب على الأرض و طائر

---

(۱) دائرة معارف القرن العشرين ۱۰/ ۳۷۲. المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى ۱۹۱ الآية السادسة و ما من دابة فى الأرض و لا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، ما فرطنا فى الكتاب من شىء و الحياة الاجتماعية عند الحيوان ..... ص : ۱۸۹

(۲) الدين و العلم: ص ۱۰۷.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۹۲

يطير فى السماء، و لعل مباحثهم فى عالم الطيور كانت أعجب و أغرب من مباحثهم فى عالم الحيوانات الأخرى، إذ شاهدوا من نظامها و حياتها الاجتماعية الأممية ما لا يكاد يصدق به العقل «۱».

لقد كنا فى الماضى نقرأ فى القرآن كلام النملة لنبى اللّه سليمان، و خطاب الهدهد له، و كنا نقرأ حديثه عن النحل و البعوضة و العنكبوت، و كنا نؤمن بذلك إيمانا غيبيا، أما العلم المعاصر فقد كشف لنا أن هذا الذى كنا نؤمن به إيمانا غيبيا يجب علينا أن نضيف إليه اليوم أنه المعجزة الناطقة على أن هذا الكتاب من عند اللّه.

كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ.

---

(۱) انظر: كتابنا الدين و العلم.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۹۳

الآية السابعة أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ و الامواج الباطنية و الظاهرة

كلنا يقرأ فى سورة النور المثل الذى ضربه اللّه تعالى لأعمال الكافر، إذ قال: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً، حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً، وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ، فَوَفَّاهُ حِسابَهُ، وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ، ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها، وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ (سورة النور: آية ۳۹- ۴۰).

و كنا جميعا نقرأ فى تفسيرها أن هذا مثل ضربه اللّه لأعمال الكافر، فقال المفسرون فيها:

البحر اللجى: هو المنسوب إلى اللجة، و هو الذى لا يدرك قعره، و اللجة معظم الماء، و التجّ البحر: إذا تلاطمت أمواجه.

و أما قوله: يَغْشاهُ مَوْجٌ: أى يعلو ذلك البحر اللجى موج.

و قوله تعالى: مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ: أى من فوق الموج موج، و من فوق هذا الموج الثانى سحاب.

فيجتمع خوف الموج، و خوف الريح، و خوف السحاب.

و قالوا فى المعنى أيضا: يغشاه موج، من بعده موج، أى أن الموج يتبع بعضه بعضا، حتى كأن بعضه فوق بعض.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۹۴

قالوا: و هو أخوف ما يكون إذا توالى موجه و تقارب.

قالوا: و من فوق هذا الموج سحاب، و هو أعظم للخوف من وجهين:

أحدهما: أنه قد غطى النجوم التى يهتدى بها.

الثانى: الريح التى تنشأ مع السحاب، و المطر الذى ينزل منه ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ، إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها أى من شدة الظلام الناتج عن الموج و السحاب «۱».

هذا هو المعنى الذى كنا نفهمه دون أن نرى أى وجه للإعجاز العلمى فيه، فرغم التتبع و الاستقراء، لم أجد أحدا من المفسرين المتقدمين أشار إلى أى نوع من أنواع الإعجاز العلمى الذى أثبته العلم الحديث.

و هذا الفهم الذى كنا نفهمه فهم سليم، مطابق لقواعد اللغة و مدلولاتها، و مطابق أيضا للواقع الذى كان يشاهده و يعرفه كل من عرف البحر.

و هذا أيضا من إعجاز القرآن، إذ أن كل جيل يقرأ القرآن، و يفهمه الفهم السليم، المطابق لقواعد التفسير، و لكنه يجد كل جيل فى القرآن معنى جديدا آخر غير المعنى الذى رآه الجيل السابق فى بعض الآيات أو الكلمات، و دون أن تتضارب المعانى أو تتصارع أو تتناقض.

كالذى ينظر إلى بعض الصور المركبة من زاوية من زواياها، فيرى فيها شكلا ما، فإذا ما نظر إليها من زاوية أخرى، رأى فيها شكلا آخر، و كلا الشكلين حق، أراده الرسام و تعمده، ليدل على دقة فنه، و براعة صنعه، فلو أقسم الأول على ما رأى، لكان صادقا، و لو أقسم الثانى على ما يرى يكون صادقا أيضا، و لا تعارض بين الصورتين المدركتين، و ربما أدرك الناظر عدة صور و كلها صحيحة، و الصورة المنظورة واحدة.

و ما فهمه السلف رضوان اللّه عليهم من هذه الآية لم يكن لهم ليفهموا غيره، و لا سيما إذا كانوا ممن لم يمارس البحار و العمل فيها.

---

(۱) انظر: القرطبى ۱۲/ ۲۸۳.

إلا أن معارفنا الحديثة اكتشفت معنى جديدا لهذه الآية، يطابق مدلولها أيضا، إلا أنه بصورة أوضح من الصورة السابقة القديمة، و فى نفس الوقت يعطينا معنى جديدا من معانى الإعجاز العلمى، و ذلك باكتشاف الأمواج الباطنية الداخلية فى مياه المحيط.

و لنترك الكلام لشارل. ل. كارسون صاحب كتاب «البحر المحيط بنا» إذ يقول:

«فأضخم أمواج المحيط و أشدها رعبا هى أمواج غير منظورة، تتحرك فى خطوط سيرها الغامضة بعيدا فى أعماق البحار.

و قد كان من المعروف منذ سنين كثيرة أن سفن البعثات إلى القطب الشمالى كانت تشق طريقها بكل صعوبة، فيما كان يسمى ب «الماء الميت» و الذى عرف الآن أنه «أمواج داخلية».

و فى أوائل عام ۱۹۰۰ لفت الأنظار كثير من مساحى البحار الاسكندنافيين إلى وجود أمواج تحت سطح الماء.

و الآن و بالرغم من أن الغموض لا يزال يكتنف أسباب تكوين هذه الأمواج العظيمة، التى ترتفع و تهبط بعيدا أسفل السطح، فإن حدوثها على نطاق واسع فى المحيط قد أصبح أمرا معروفا جدا، فهى تقذف بالغواصات فى المياه العميقة، كما تعمل شقيقتها السطحية على قذف السفن، و يظهر أن هذه الأمواج تتكسر عند التقائها بتيار الخليج و بتيارات أخرى قوية فى بحر عميق» ۱.

فنحن الآن بعد أن وضعنا أيدينا على هذا الاكتشاف العلمى الجديد نستطيع أن نفهم الآية فهما جديدا، لا يتعارض مع الأول، إلا أنه يوضحه و يبينه.

فقوله تعالى: يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ فيه إشارة واضحة لا لبس فيها و لا غموض إلى هذه الأمواج الداخلية التى تكلم عنها العلم الحديث و أثبتها، كما يشير إلى الأمواج السطحية التى نراها و نعرفها، و هذا المعنى واضح من قوله

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۹۶

تعالى: مِنْ فَوْقِهِ أى أن الموج الأول فى الأسفل، و الموج الثانى يأتى من فوقه، و لم نعد بحاجة إلى ارتكاب المجاز فى قولنا: «من فوقه: أى من بعده، و أن تتابع الموج يظهره كأن بعضه يركب بعضه الآخر».

إن الآية واضحة كل الوضوح، و صريحة فى دلالتها على هذا الذى اكتشفه العلم الحديث من الأمواج الباطنية التى تعلوها الأمواج السطحية، و لا سيما أن الآية قالت: فِي بَحْرٍ لُجِّيٍ أى عميق، كما ذكرنا فى تفسيرها، و هذا إنما يكون فى المحيطات، لا على الشواطئ و الخلجان.

و فى هذه الأماكن يقل وهج الشمس، و فى نفس الوقت يجتمع السحاب، و تنتج عن ذلك الظلمة التى أشار إليها القرآن فى قوله: ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ.

أى ظلمة الأمواج الداخلية، و فوقها ظلمة الأمواج السطحية، و من فوقهما ظلمة الجو الناتج عن السحاب الكثير، بحيث يصير الإنسان إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها.

إن هذه الصورة لا تشاهد على شواطئ بحارنا الهادئة الوادعة إذا ما قيست بمياه المحيطات، و لو أن محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم كان هو الذى ألف القرآن و أملاه لكان من المستحيل عليه أن يأتى بمثل هذه الحقائق العلمية التى كانت خافية إلى أيامنا هذه، و لم تكن البشرية تعرف عنها شيئا.

إذن فهى الحقيقة المصدقة بأن هذا القرآن تنزيل من حكيم عليم.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۹۷

الآية الثامنة أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما و بداية الكون و الارض

لم يكن الإنسان القديم يعرف شيئا عن بداية الكون، كما أنه لم يكن يعرف شيئا عن بداية كوكبنا الأرضى، و كيفية وجوده، و من أى شىء وجد.

إلا أن القرآن الكريم تحدث و بكل وضوح عن عملية تشكيل الكون الأساسية، و انتهائها إلى تكوين العوالم، فقال تعالى:

أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما «۱».

لقد نزلت هذه الآية فى الزمن الذى لم يكن الناس فيه يعرفون شيئا عن سر الكون و أصله، إلا أن الآية واضحة و صريحة، و لذلك عرف المسلمون، لا عن طريق النظر و التجربة و الاكتشاف العلمى، و إنما عن طريق الإيمان بالغيب الذى يخبر عنه اللّه جلّ و علا فى القرآن، عرفوا أن السماء و الأرض كانتا قطعة واحدة، ثم انفصلت السماء عنها، أو انفصلت هى عن السماء، فتباعدتا و تخللهما الهواء.

فقال المفسرون فى تفسير هذه الآية إن الرتق هو السد، و أنه ضد الفتق، يقال: رتقت الفتق، ارتقه، فارتتق، أى التأم.

و لذلك قال ابن عباس، و الحسن البصرى، و عطاء، و الضحاك، و قتادة:

إن السماء و الأرض كانتا شيئا واحدا، ملتزقتين، ففصل اللّه بينهما بالهواء «۲».

---

(۱) سورة الأنبياء: آية ۳۰.

(۲) القرطبى: ۱۱/ ۲۸۳.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۹۸

ترى، هل طابق العلم الحديث فى أحدث نظرياته عن نشأة الكون، من السماء، و الأرض، و الكواكب، هل طابق الخبر القرآنى أم خالفه؟.

لندع العلم الحديث يتكلم عما توصل إليه بعد البحث و النظر، ثم لنقارن بين معطياته و آيات القرآن قبل العديد من القرون، لنسمع بعد ذلك أن العلم و رواده يخران ركعا أمام هذه المعجزات القرآنية، يعترفون بأنها من عند اللّه، و أنها الدليل عليه و المرشد إليه، و أنها يستحيل أن تكون من قول البشر.

يقول علماء الكون: إن «المادة» كانت جامدة و ساكنة فى أول الأمر، و كانت فى صورة غاز ساخن كثيف متماسك، و قد حدث انفجار شديد فى هذه المادة قبل ۰۰۰، ۰۰۰، ۰۰۰، ۰۰۰، ۵ سنة على الأقل، فبدأت المادة تتمدد و تتباعد أطرافها، و نتيجة لهذا أصبح تحرك المادة أمرا حتميا، لا بدّ من استمراره، طبقا لقوانين الطبيعة التى تقول: إن قوة الجاذبية فى هذه الأجزاء من المادة تقل تدريجيا بسبب تباعدها، و من ثم تتسع المسافة بينها بصورة ملحوظة.

و المجموعة الشمسية التى تعتبر أرضنا كوكبا من كواكبها كانت نتيجة من نتائج تلك الانقسامات.

و قد أيد العلماء هذه الحقيقة بأنه يوجد فى الشمس ۶۷ عنصرا من العناصر الموجودة فى الأرض، و ما زالت الأبحاث و الجهود قائمة لاكتشاف بقية العناصر الموجودة فيها، و التى يعتقد أنها أيضا من نفس العناصر الأرضية.

كما أيدوا هذا بأن باطن الأرض لا يزال حارا بل مصهورا، و فى حالة غليان دائم، تدل عليه البراكين التى تثور أحيانا، فتدفع من باطن الأرض بمواد فى غاية الحرارة، و فى بعض الأحيان تدفع بالمعادن الذائبة التى لا يمكن أن تصهر إلا فى درجة عالية من الحرارة.

و فى نفس الوقت لاحظ العلماء أن الصخور و الأتربة التى حصل عليها رواد الفضاء من القمر، لاحظ العلماء أنها تحتوى على نفس العناصر الشائعة فى الأرض، مما يدل على أن العناصر التى بنى منها الكون، على اختلافها، هى عناصر واحدة، و هذا يدل دلالة قاطعة على وحدة الكون.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۱۹۹

إننا حينما نسمع هذا الكلام من علماء الكون، و نسمع قوله تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما و نعلم أن هذه الآية نزلت فى الوقت الذى لم يكن يعرف فيه أحد شيئا عن بداية الكون من الناحية العلمية، إننا حينما نسمع هذه الآية نعلم أن اللّه تعالى إنما أخبر بها من أجل أن تكون الدليل القاطع، و البرهان الساطع للأجيال القادمة بأن هذا القرآن من عند اللّه و ليس من عند البشر.

و لكن .. ربما يقول بعض الناس: إن هذا التطابق الذى نفرضه بين العلم و الآية، قائم على هذه النظرية التى ذكرت عن بداية الكون.

و لكن هذا ليس أمر يقينيا، و إنما هو ظن قابل للتغير .. فما ذا نعمل إذا تغير ..؟.

و الجواب على هذا: هو أننا لم نسق هذه الآية لنؤيد بها قول العلماء على بداية الكون، و كيفية هذه البداية، و إنما سقناها لنبين بها حقيقة قطعية، و هى أن السموات و الأرض كانتا رتقا- قطعة واحدة- أو جسما واحدا، و بعد ذلك حصل الفتق و التعدد.

و هذه حقيقة لم يقلها أسلافنا و يؤمنوا بها نتيجة للبحث و النظر فى بداية الأمر، و إنما قالوها إيمانا بالغيب عن خبر القرآن، و لم يؤمن بها رواد العلم الحديث عن خبر القرآن، و إنما آمنوا بها عند البحث و النظر و الاستدلال، و من ثم كانت نتيجة البحث العلمى مطابقة لحقيقة الخبر القرآنى و هو الذى نريده.

أما كيف كانت بداية الكون، أو بداية الحركة فى المادة الأساسية الموجودة فيه، و كيف وجدت المجموعات و المجرات و الكواكب، و هل الأرض قطعة من الشمس، أم أن الشمس و الأرض و القمر و المجموعة الشمسية بأسرها قد نشأت عن السديم، و السديم نشأ من سديم آخر، فهذا أمر ربما توصل العلم فيه إلى اليقين، و ربما بقى فى محل الظنون، إلا أنه على كل الأحوال ستبقى مسألة الانفصال و التعدد عن الكتلة الواحدة حقيقة علمية مؤيدة بالأدلة و البراهين، و هو الذى جاء به القرآن معجزة علمية.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۰۰

إلا أنه بقى عندنا شىء مهم ربما تساءل عنه بعض من عجز عن استيعاب هذه الحقائق العلمية، ممن لم يرزق المرونة فى عقله، فربما

ظن أن هذا الكلام يتنافى مع خلق اللّه للسماء و الأرض، و الشمس و القمر و الكواكب و غير ذلك ...

و الجواب: أنه لا تنافى أبدا بين خلق اللّه لهذا العالم، و بين ما ذكرناه، و ذلك أن اللّه لم يخبرنا أنه خلق الأرض وحدها خلقا مباشرا، و لا خلق القمر وحده خلقا مباشرا، و لا خلق كل كوكب وحده خلقا مباشرا، و إنما هو الذى خلق المادة الأساسية لهذا الكون، و بعد ذلك أجراها ضمن قوانين و سنن، هو أيضا الذى خلقها و أوجدها، فكان كل ما فى الكون من خلق اللّه، و على النظام الذى أراده اللّه.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۰۱

الآية التاسعة وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ و نظرية توسع الكون

اشارة

إنه رغم تقدم العلوم و تضافرها لم يستطع أحد حتى الآن أن يدرك سعة الكون، و أنا أعتقد أنه لا سبيل إلى مثل هذا الإدراك، بهذه الطاقات التى يتمتع بها الإنسان، بل و لا بغيرها من الطاقات.

فما هى سعته؟

و ما هى حدوده؟

و ما ذا يوجد وراء هذه الحدود؟

و هل لهذا الكون جدار، بغض النظر عن مواصفات هذا الجدار؟

فإذا كان، ما هو سمكه؟

و ما ذا يوجد وراءه ..؟

إذا كان يوجد وراءه فضاء، فما هى سعة هذا الفضاء الثانى؟

و هكذا يتسلسل الأمر إلى اللانهاية ..

و إذا لم يكن للكون جدار، فإلى أى مدى يمتد؟.

إنها أسئلة حيرت، و ما زالت تحير كل باحث فى هذا الكون .. لكى يرجع الإنسان إلى رشده، و يعلم أن ما أوتيه من الطاقات و المعارف لا يكفيه لمعرفة كل الأسرار عن الكون و الحياة.

و لكن هذه التساؤلات .. بل هذه اليقينيات، لم تمنع الإنسان من البحث و المحاولة، فإن التطلعات الإنسانية فى كثير من الحالات تكون أكبر من الطاقات و الإمكانيات.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۰۲

و لذلك حاول العلماء أن يضعوا تصورا لهذا الكون يتناسب على الأقل مع طاقاتهم و مشاهداتهم، مع اعترافهم بأن هذا التصور ليس حلا للغز الكون فى سعته و عظمته، و ليس كشفا للحقيقة اليقينية.

فقالوا: إن هذا الكون ليس واسعا فقط، و إنما هو يتوسع دائما و بانتظام.

و لكى نفهم سعته و توسعه قالوا: يجب أن نتصور طائرة خيالية تسير بسرعة ۳۰۰،۰۰۰ كم فى الثانية، أى بسرعة الضوء، و أن هذه الطائرة الخيالية تطوف بنا حول الكون الموجود الآن، فإن هذه الرحلة الخيالية سوف تستغرق ۱ ألف مليون سنة.

يضاف إلى هذا أن هذا الكون ليس بمتجمد، و إنما هو يتوسع كل لحظة، حتى أنه بعد ۱ مليار و ثلاثمائة مليون سنة تصير هذه المسافة الكونية ضعف المسافة الحالية.

و هكذا لن تستطيع هذه الطائرة الخارقة فى سرعتها الخيالية أن تكمل دورانها حول هذا الكون أبدا، و إنما سوف تظل تواصل رحلتها فى نطاق هذا التوسع الدائم فى الكون.

و هذه هى نظرية أينشتين عن الكون «۱».

و الذى دفعهم للقول بتوسع الكون هو مشاهداتهم التى رأوا فيها أن السدم الخارجية أو «الجزر الكونية» تبدو أنها تتباعد عن مجموعتنا الشمسية، كما أنها تتباعد بعضها عن بعض بانتظام.

فقد لاحظ الدكتور «هايل» رائد الباحثين فى السدم، لاحظ أن هناك نزعة واحدة تسود هذه المجموعات النجمية الشاسعة البعد، و هى أنها أميل إلى الإدبار عنا منها إلى الإقبال، كما لاحظ أن سرعة الإدبار تزيد بازدياد أبعاد هذه الجزر الكونية «۲».

---

(۱) الإسلام يتحدى: ص ۷۶.

(۲) انظر: كتاب الشمس للدكتور جامو.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۰۳

و قد مثل هذا التوسع الدائم المستمر، مثله البروفسور «أيدنجتون» بقوله:

«إن مثال النجوم و المجرات كنقوش مطبوعة على سطح بالون من المطاط، و هو ينتفخ باستمرار، و هكذا تتباعد جميع الكرات الفضائية عن أخواتها كحركاتها الذاتية، فى عملية التوسع الكونى».

و يقول: إن دائرة المادة كانت ۱۰۰ مليون سنة ضوئية فى أول الأمر، و قد أصبحت هذه الدائرة الآن عشرة أمثالها.

و خلاصة القول:

أن العلم الحديث اليوم يؤمن بأن هذا الكون واسع جدا، و أنه كل يوم يزداد اتساعه و بانتظام.

لقد توصل العلماء إلى هذه النظرية التى تكاد تكون عندهم مسلمة، و على الأقل طبقا لمشاهداتهم الحالية، لقد توصلوا إليها بعد طول بحث و نظر، و بعد أن تمكنوا من القوانين العلمية، و الضوابط الفلكية، و الوسائل البصرية، و لو لا هذا لكان من المستحيل عليهم أن يتوصلوا إلى مثل هذا، و هذا أمر يقينى مسلم فى قوانين العقل و ضوابطه.

ترى .. ما ذا يقول العلماء المعاصرون، لو أن إنسانا لا يعرف شيئا عن العلوم الفلكية، و القوانين العلمية، و لا يملك شيئا من الوسائل البصرية، و نشأ فى باديـة أو شاهق جبل، ثم بعد هذا أخذ ينطق بنفس القوانين العلمية، و النظريات الكونية، فى شتى مجالات العلم، و بنفس النتائج التى توصلوا إليها بعد جهد جهيد، و دأب طويل ...؟.

لا شك أن مثل هذا الإنسان سوف يكون محل دهشة و استغراب، و لا بد أن يعزى تصرفه هذا إلى قوى و طاقات وراء طاقات الإنسان و قواه.

بل ما ذا يقولون لو زدنا فى هذا الموضوع شيئا أشدّ غرابة، فقلنا: إنه قال هذا الكلام، و نطق بنفس النظريات الحديثة قبل أربعة عشر قرنا، و فى الزمن الذى كان يجهل الإنسان فيه تماما كل شىء عن أصل الكون، و هو مع هذا أمى لا يقرأ، و لا يكتب، و لم يعرف شيئا عن فلسفة اليونان، و قوانين الرومان، كما لم يدرس شيئا عن الكون و الحياة ..؟!.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۰۴

لا شك أن كل من يسمعه ينطق بنفس النظريات العلمية التى ينطق بها العلم الحديث، سوف يقول و بكل ثبات: إن هذا الذى نطق به يستحيل أن يكون من قول البشر، لأنه لا يدخل تحت طاقاتهم و إمكانياتهم فى ذلك الوقت، لا بدّ أن طاقة وراءه هى التى لقنته هذا، و لا بدّ لهم أن يعترفوا بأنه الوحى من اللّه.

فلنستمع إذا إلى القرآن الكريم و هو يذكر لنا نفس هذا الكلام، و بنفس الأسلوب، قبل أربعة عشر قرنا من الزمان.

قال تعالى: وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ، وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ (سورة الذاريات: آية ۴۸).

و ليقر كل ذى عقل و إنصاف أن هذا القرآن كلام اللّه و وحيه، لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (سورة فصلت: آية ۴۲).

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۰۵

الآية العاشرة اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ و الاعجاز العلمى فيها

إن أقرب كواكب المجموعة الشمسية إلى الأرض هو القمر، فهو لا يبعد عن أرضنا سوى ۲۴۰،۰۰۰ ميلا فى الفضاء، و بسبب هذا القرب نجد أن القمر يؤثر بجاذبيته على البحار مرتين يوميا، و ذلك فى حركتى المد و الجزر.

و فى بعض حالات المد، نجد أن الأمواج ترتفع عاليا حتى تصل إلى الستين مترا، و هذا بالنسبة للبحار.

و أما بالنسبة للأرض، فإن لجاذبية القمر تأثيرا قويا عليها، لدرجة أنه يحنى القشرة الأرضية مرتين نحو الخارج، فى اليوم الواحد، و لمسافة عدة بوصات.

إن هذه المسافة الفاصلة بين الأرض و القمر مناسبة تماما لصالح الأرض و أهلها.

فلو نقص هذا الفاصل إلى خمسين ألفا من الأميال- على سبيل المثال- فسوف يحدث طوفان شديد فى البحار، و سوف تغطى أمواجها أكثر مناطق الأرض المأهولة، و سوف يفرق كل شىء، حتى إن الجبال ستتحطم من شدة أمواج البحار، و سوف تحدث شقوق مروعة على سطح الأرض من وطأة جاذبية القمر.

و يرى علماء الفلك أيضا أن الأرض قد مرت بكل هذه الأدوار أثناء عمليات التكوين، حتى وصلت إلى بعدها الحالى من القمر، بناء على قانون الفلك.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۰۶

و هذا القانون هو نفسه سوف يأتى بالقمر قريبا من الأرض مرة أخرى، و يرون أنه من المتوقع حدوث هذا قبل بليون سنة، و عندئذ سوف ينشق القمر، و سوف يتناثر حول فضاء الأرض، فى صورة حلقة.

هكذا قال علماء الفلك، بناء على القوانين الفلكية الثابتة التى توصلوا إليها و أدركوها.

و هذه النظرية الفلكية تنطق بنفس المعنى الذى وردت به الآية التى تخبر عن انشقاق القمر قبل أو حين يقترب قيام الساعة.

قال تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ، وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (سورة القمر: آية ۱- ۲).

فهل هناك بعد هذا التطابق بين النظرية العلمية و الآية القرآنية من تطابق ... أظن أنه لا مجال لأى نوع من أنواع الشك فى أن هذا أبدع أنواع الإعجاز العلمى فى القرآن.

بقيت عندنا مشكلة مهمة جدا، ألا و هى مشكلة المعنى الذى ذكرناه للآية، و هو انشقاق القمر حين تقترب الساعة، مع ان لفظة الانشقاق جاءت بصيغة الماضى «انشق».

و الأحاديث الصحيحة مصرحة بوقوع حادثة الانشقاق فى زمن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

فقد روى من طرق صريحة صحيحة، و نسبه بعضهم إلى التواتر.

فقد رواه البخارى، و مسلم، و أحمد، و الترمذى، و ابن حبان، و الطبرانى، و ابن مردويه، و غيرهم من المحدثين، عن عدد من الصحابة.

و الصحيح الذى عليه أكثر العلماء أنه ليس بمتواتر.

قال الإمام الخطابى: «إن معجزاته صلّى اللّه عليه و سلّم سوى القرآن لم تتواتر» ثم ذكر الحكمة فى عدم تواترها «۱».

---

(۱) محاسن التأويل ۱۵/ ۵۵۹۳ و القرطبى.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۰۷

إذن فهو من أخبار الآحاد، الموافقة لظاهر التنزيل، إلا أنها كما قال القرطبى لا يلزم أن يستوى الناس فيها، لأنها كانت آية ليل.

قال الإمام الغزالى: «و لذلك أنكره الإمام الحليمى» «۱».

و ما قاله الإمام الحليمى من إنكار انشقاق القمر، لم يكن متفردا به، و إنما سبقه إليه من التابعين الحسن البصرى، و عطاء، و نقله الإمام القرطبى عن قوم لم يذكر أعيانهم، و ممن اختاره من المتأخرين الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير.

و حجة الحسن- كما قال الإمام الماوردى «۲»-: أنه لو انشق ما بقى أحد إلا رآه، لأنها آية، و الناس فى الآيات سواء.

و هذه حجة من قال بقوله ممن ذكرنا.

و حملوا قوله تعالى: وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ على معنى أنه سينشق.

قال الحسن: «اقتربت الساعة، فإذا جاءت انشق القمر» «۳».

و هذا جار على أساليب العرب و القرآن، كما فى قوله تعالى: أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ.

فقد اتفق المفسرون على أنه بمعنى سيأتى، ففى هذه الآية استعمل الماضى بمعنى المضارع، ايغالا فى التأكيد.

و على هذا حملوا قوله تعالى: وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ أى أنه سينشق، و هذا الانشقاق متأكد، كأنه قد وقع و حدث، و لذلك عبّر عنه بصيغة الماضى.

و هؤلاء و إن كانوا متأولين للآية تأويلا صحيحا من حيث اللغة، إلا أنهم متعارضون مع ما صح بالاتفاق من الحديث، و لا حجة لهم فى رده من حيث

---

(۱) المنخول: ص ۲۴۸.

(۲) تفسير الماوردى: ۴/ ۱۳۵.

(۳) القرطبى ۱۷/ ۱۲۶.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۰۸

السند، إلا إذا أرادوا أن يخضعوا متنه لقاعدة التعارض مع المعقول فيما استقر فى أذهانهم منه، كما قاله الحسن البصرى رحمه اللّه.

إلا أن وجهة نظرهم من حيث اللغة قوية، و حجتهم من حيث الواقع و عدم شيوع الظاهرة بين الناس واضحة.

و لذلك ذهب جمهور المفسرين إلى التوسط بين المذهبين فقالوا: إن حادثة الانشقاق قد وقعت فعلا فى زمن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و رآها بعض أصحابه و بعض المشركين الذين كانوا يطالبون بالمعجزات المادية، كما تصرح بذلك الأحاديث الصحيحة المشهورة.

و ستقع هذه الحادثة مرة ثانية عند اقتراب الساعة.

و هذا مذهب جيد، يجمع بين القول بصحة الحديث، و فى نفس الوقت يؤكد- و بالأساليب العربية المتفق عليها- يؤكد البحوث العلمية الفلكية القاضية بأن القمر سينشق يوما ما، و لا مانع يمنع من هذا، لا من الشرع، و لا من القواعد العلمية، و اللّه أعلم.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۰۹

الآية الحادية عشرة أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ و تلقيح السحاب

قال اللّه تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً، ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً، فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ، وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ، فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ، وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ (سورة النور: آية ۴۲).

و هذه الآية بالمعنى العام المفهوم لكل أحد، واضحة الدلالة على المراد، من أن اللّه يسوق السحاب، ثم يجمعه، ثم ينزل منه الماء، منة على عباده، و رحمة بهم.

و فيها إظهار القدرة بما يتناسب مع معارفهم، إذ يستحيل على أحد أيا كان أن يفعل هذا.

فقالوا فى تفسير الآية: «يزجى» أى يسوق، فالريح تزجى السحاب، و البقرة تزجى ولدها.

ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ أى يجمعه عند انتشائه، ليقوى و يتصل و يتكثف ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً أى مجتمعا، يركب بعضه بعضا.

و أما الْوَدْقَ فقالوا: هو البرق، و قالوا: هو المطر.

ثم قالوا: إن فى هذه الآية دليل على القدرة، و عبرة لأهل البصائر.

و هذا الذى قالوه صواب، لا مرية فيه، و هو الذى نقوله اليوم، و يقال فى كل زمان و مكان حسب مقتضيات اللغة و مدلولاتها.

۱۴ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۱۰

إلا أن هناك شيئا نقوله اليوم بما يتراءى لنا من خلال كلمات الآية، و ضميمة آيات أخرى إليها، و بواسطة معارفنا الحديثة التى لم يكن الإنسان القديم على أية معرفة بها، و لذلك لم يكن فى مقدوره أبدا أن يفكر بها، أو أن يتخيلها.

و ليس معنى هذا أن تفسيره كان ناقصا، لا، لقد كان تفسيره كاملا، متناسبا مع معارف العصر، و مؤديا للغرض الذى سيقت له الآية، إلا أننا فى هذا العصر اكتشفنا شيئا جديدا، يمكن أن يفيدنا شيئا جديدا فى الآية، ألا و هو أنه يستحيل أن تكون كلماتها قد صيغت من قبل البشر، لأن معارفهم لم تكن أبدا بقادرة على الإتيان بمثلها، لما فيها من المعارف التى لم تكن معروفة لهم أبدا، و لم تطلع عليها الإنسانية إلا فى العصر الحديث، بتقدم العلوم، و اكتشاف قوانين الكون، و وضع اليد على بعض أسرار الوجود.

و ذلك أن السحاب مكهرب، أى أن كل سحابة تحمل شحنة كهربية، كما أثبت ذلك فرنكلين لأول مرة عام ۱۷۵۲.

و من المعروف الثابت علميا أنه إذا وجد سحابتان سالبتان فإنهما تتنافران، كما هى طبيعة المتماثلين من الشحنة السالبة و الموجبة، فالسالبان يتنافران، و الموجبان يتنافران، و إنما يكون التآلف بين السالب و الموجب.

و بناء على هذا القانون، كان من المفترض أن لا تتحد سحابتان فى الجو، إذا كانتا مشحونتين بشحنة واحدة، و يترتب على هذا أن لا يتراكب السحاب، مما يؤدى إلى قلة الأمطار، و لكن اللّه بقدرته يسوق السحاب، بواسطة الرياح، و يؤلف بينه، و لو كان ذا شحنة واحدة متشابهة، و عندئذ تكبر السحابة، و تتراكم بعضها فوق بعض حتى تصير كالجبال الشامخة.

فهذا سر جديد قد كشفه العلم الحديث فى قوله تعالى: ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ أى رغم اتحاد الشحنة، لم يكن أبدا لأى إنسان أن يعرفه فى العصر القديم، لجهله بهذه المعانى، و إن لم يؤثر على الغرض الذى سيقت له الآية فى ذلك العصر

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۱۱

كما ذكرنا، و هذا يدلنا دلالة قاطعة على أنه يستحيل أن يكون هذا القرآن من عند البشر.

و لم يقف الأمر عند هذا الحد، و ذلك لأن السحاب فى هذه الحالة لا يمكن أن ينزل المطر، إذ لا بد له حتى يمطر من شىء يتفاعل معه ليتكثف و يتقاطر على الأرض، و يكون هذا بواسطة الرياح الصاعدة من الأرض، و المحملة بشحنة كهربائية موجبة.

فإذا ما اتحدت هذه الشحنة الكهربية الموجبة التى حملتها الرياح، مع الشحنة الكهربية الموجودة فى الفضاء يتكون مجال كهربائى يكون السبب فى تحويل البخار إلى قطرات دقيقة من الماء، و من ثم تتجمع و تكبر شيئا فشيئا إلى أن تثقل و تنزل مطرا على الأرض.

إذن فالسحاب وحده لا ينزل المطر، و لا بد له من تلقيح، و هذا التلقيح إنما يكون بواسطة الكهرباء الجوية التى تسببها الرياح.

أ ليس فى هذا الكلام العلمى الحديث معنى جديد لقوله تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ، فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ.

بلى ... إنه المعنى العلمى الجديد الذى يفهمه العقل العلمى المعاصر، و الذى كان من المستحيل على الإنسان القديم أن يقوله، إن لم يكن مؤيدا بالوحى الإلهى، و إنه من أكبر الأدلة القاطعة على أن هذا القرآن كلام اللّه و وحيه.

على أن هذه المعرفة الجديدة لم تنقض المعرفة السابقة، و لم تبطلها، فقد عرف كل من قرأ هذه الآية قديما أن الهواء هو السر فى جمع السحاب، و إنزال المطر، و أنه هو الذى يلقح السحاب، و لكنه أبدا لم يكن على معرفة بحقيقة هذا السر و كيفية حدوثه، إلى أن جاء العلم الحديث فأماط اللثام عنه، و كشف حقيقته، ليكشف للإنسان فى العصر الحاضر أنه لا يمكن أن يكون هذا القول إلا من قبل خالق الكون، و السحاب، و الرياح، إنه قول اللّه.

و ما أكثر ما كشفه لنا العلم، و ما سيكشفه لنا فى المستقبل القريب.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۱۲

الآية الثانية عشرة أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً، أَحْياءً وَ أَمْواتاً و جاذبية الأرض

عند ما اكتشف نيوتن قانون الجاذبية، و أثبت من خلاله أن الأشياء إنما تسقط على الأرض أو تثبت عليها بفعل هذا القانون، كما أثبت أن النظام الفلكى فى ثبات النجوم و تباعدها إنما يخضع لهذا القانون، قام فلاسفة الإلحاد يهللون و يبشرون بأنه قد انتهت أسطورة القول بأن اللّه هو الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض، و أن تعلق الكواكب فى الفضاء لم يعد بحاجة إلى مثل هذه الأسطورة القديمة، إذ كشفنا عن سر تعلقها باكتشافنا قانون الجاذبية.

و لكن سرعان ما خبا بريق هذا الانتصار الموهوم الذى زعموه- و ذلك عند ما أعلن نيوتن نفسه أن قانونه هذا لا يفسر له سر دوران الكواكب حول نفسها، أو حول مركزها، و أنه لا بد من يد قدرة حكيمة كانت هى السبب فى هذا الدوران، كما انقلبت أوهامهم إلى شكوك حينما وجه إليهم السؤال الآخر و هو: من الذى سن قانون الجاذبية، و من أين أتى؟.

و العلم سلاح ذو حدين، قد يستعمله الإنسان ليقتل نفسه، كما أنه قد يستعمله ليقتل غيره ...

و كما أن فلاسفة الإلحاد حاولوا أن يستنبطوا من اكتشاف قانون الجاذبية ما يدعم إلحادهم- على أن محاولتهم كانت فاشلة بلهاء- أخذ المؤمنون هذا القانون و وجدوا فيه ما يدعم إيمانهم و يثبته فى قلوبهم.

و ذلك أنهم وجدوه مطابقا لما أخبر اللّه عنه منذ قرون طويلة، فى الوقت

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۱۳

الذى كان الإنسان يجهل فيه تماما كل معنى من معانى الجاذبية، مما جعلهم يوقنون بأن هذا الكلام من أكبر الأدلة القاطعة على أنه ليس من كلام البشر، و إنما هو من كلام اللّه خالق الكون، و العالم بأسراره.

قال تعالى: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً، أَحْياءً وَ أَمْواتاً.

و إذا رجعنا إلى معنى الكفت فى العربية وجدناه منصبا على الضم و الجمع، يقال: كفت الشىء إليه، يكفته، كفتا، إذا ضمه و قبضه.

و يقال: كفته اللّه: أى قبضه.

و فى حديث النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «اكفتوا صبيانكم فإن للشيطان خطفة».

قال أبو عبيد: يعنى ضموهم إليكم، و احبسوهم فى البيت عند انتشار الظلام.

و فى الحديث أيضا: «نهينا أن نكفت الثياب فى الصلاة» أى نضمها و نجمعها من الانتشار، يريد جمع الثوب باليدين عند الركوع و

السجود.

و يقال: كفت الدرع بالسيف يكفتها: إذا علقها به فضمها إليه قال زهير بن أبى سلمى:

حدباء يكفتها نجاد مهنّد و كل شيء ضممته إليك فقد كفتّه.

قال زهير أيضا:

و مفاضة كالنّهى تنسجه الصّيابابيضاء كفّت فضلها بمهنّد يصف درعا علق لابسها بالسيف فضول أسافلها، فضمها إليه، و شدد الكلمة للمبالغة.

و أما الكفات: فهو الموضع الذى يكفت فيه الشيء، أى يضع و يقبض و يجمع.

و الأرض كفات لنا، للأحياء و الأموات.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۱۴

قال ابن سيده فى قوله تعالى: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً، أَحْياءً وَ أَمْواتاً أى ذات كفات للأحياء و الأموات، ظهرها للأحياء، و بطنها للأموات، اه على معنى أنها تجمعهم و تضمهم.

و يقال: اكتفت المال: إذا ضمه إليه أجمع «۱».

و من هذا قول الشاعر:

كرام حين تنكفت الأفاعىإلى أجحارهن الصقيع أى حين تنجذب الأفاعى إلى داخل جحورهن من شدة البرد.

و لو أننا تتبعنا هذه المادة فى جميع مشتقاتها لوجدناها بمعنى الضم و الجمع، و القبض و الجذب.

إذا فهذه الآية تدلنا بصراحة على هذا المعنى العلمى الدقيق الذى اكتشفه الإنسان المعاصر بعد جهد جهيد من البحث و التدبر و الملاحظة، ألا و هو معنى الجاذبية التى توجد فى الأرض، و التى بواسطتها يستقر الإنسان عليها، و ينجذب إليها.

«و لكى لا- يتصور متصور أن هذا الجذب أو الضم إنما يكون إذا دفن الإنسان بعد موته فى باطن الأرض جاء القيد المعمم يقول: أَحْياءً وَ أَمْواتاً أى إنا جعلناها بحيث تجذبكم إليها إذ تكونون أحياء تتحركون على ظهرها، و إذ تعودون أمواتا مدفونين فى باطنها» «۲».

إننا حينما نقرأ هذه الآية، و ندرك المعنى اللغوى المتفق عليه لمادة كفت، نوقن و بلا تردد فى أنها ناصة على معنى الجاذبية.

فإذا علمنا يقينا بأن هذا المعنى، بمعناه العلمى المعاصر، لم يكن معروفا أبدا فى زمان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، لا من قبل العرب، و لا من قبل غيرهم من الأمم

---

(۱) و انظر تاج العروس: كفت.

(۲) عن مقال للدكتور البوطى فى مجلة العربى رقم ۲۴۶ سنة ۱۳۹۹- ۱۹۷۹.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۱۵

السالفة، و أن معنى الجاذبية العلمى المعاصر لم يكتشف إلا منذ أمد قريب، على يد العالم الإنجليزى الشهير نيوتن فى القرن الثامن عشر الميلادى، إذا علمنا هذين الأمرين، و تجردنا من العصبية و الهوى، و أخضعنا البحث للمنطق المجرد، أدركنا يقينا بأن هذه الآية لم يكن أبدا من الممكن أن تكون من قبل البشر، لأنها قيلت فى الزمن الذى لم يكن الإنسان يعرف فيه شيئا عن معناها.

إذن فهى من قول المطلع على الأسرار، العالم بالخفايا، و الراسم للقوانين، إنها من قول اللّه، معجزة قرآنية باقية على الزمان لتدل الإنسان فى كل مكان و زمان على أن هذا القرآن من عند اللّه.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۱۶

الآية الثالث عشرة وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ و احتراق الماء

اشارة

لقد كان الإنسان القديم يصنع سفنه من الخشب، و كان يعتقد أن الماء لا يحمل إلا ما يكون أخف منه و زنا، و حينما تطور الفكر الإنسانى بالترقى فى العلوم و المكتشفات، توصل بعضهم إلى أن السفن الحديدية سوف تطفو يوما ما على سطح الماء، كما تطفو السفن المصنوعة من الخشب.

و لكنه ما إن ألقى كلامه هذا حتى ثار الناس عليه، و أنكروا مقالته، و نسبوه إلى الهذيان.

و ذلك لأن عقولهم لم تستوعب أبدا إمكانية أن يطفو الحديد على سطح الماء.

و لكى يثبتوا هذه الحقيقة الموهومة جاء أحد الحدادين بنعل من حديد و ألقاه فى دلو مملوء بالماء أمام الناس، ليشهدوا على أن هذه القطعة الحديدية بدلا من أن تطفو على سطح الماء- كما يزعم ذاك المفكر المعاصر لهم- قد غرقت و استقرت فى قاعه.

و من ثم استدل ذاك الحداد- فيما توصل إليه عقله، و قاده إليه منطقه، استدل على بطلان كلام ذلك المفكر المعاصر له.

و هكذا فإن الإنسان الذى يجهل الحقيقة يعاديها، و من ثم يقيم البراهين الموهومة على كذبها و بطلانها، ليسلم له علمه الباطل.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۱۷

و لذلك قالوا: الإنسان عدو ما يجهل.

بنفس هذا المنطق جابه المشركون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى كثير من الحقائق التى أتى بها، و التى لم تدركها عقولهم، و لم تتسع لها معارفهم.

فحينما أخبرهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بالبعث بعد الموت، أخذ أبى بن خلف عظما باليا، و فته ثم ذراه فى الرياح، ثم قال لرسول اللّه: أ تزعم أن ربك يبعث هذا ..؟!.

و هذا هو شأن الإنسان مع ما يجهل أو ينكر.

و مما كان الإنسان يجهله جهلا كاملا و لا يمكن له أن يتصور خلافه، هو احتراق الماء، و ذلك لما كان يعرفه من أن الماء يطفئ النار و يذهب بلهيبها، لا أنه يحترق و يشتعل كما تشتعل الأخشاب.

و لو أن أى إنسان طرح فكرة احتراق الماء و اشتعاله أمام الإنسان القديم، لأنكرها أشد الإنكار، و لاستدل على بطلانها كما استدل الحداد على بطلان إمكانية طفو الحديد على سطح الماء.

و لكنه رغم هذا، و فى الوقت الذى كان الإنسان ينكر فيه احتراق الماء، نزل القرآن بما يدل صراحة على احتراقه، فقال تعالى: وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ أى: اشتعلت.

لقد سمع المؤمنون هذه الآية، و آمنوا بها إيمانا غيبيا، آمنوا بأن الماء يحترق و يشتعل، و لكن لما ذا؟ و كيف ..؟ لم يكن عندهم جواب عن هذا.

لأنهم لم يكونوا يعرفون شيئا عن سر تكوين الماء و تركيبه.

و جاءت العلوم و المعارف الحديثة، و اكتشفت أن الماء يتكون من عنصرين هما: الهيدروجين و الأوكسجين، و أن الجزىء المائى الواحد يشتمل على ذرتين من عنصر الهيدروجين، و ذرة واحدة من الأوكسجين، و أن الهيدروجين غاز قابل للاحتراق و يشتعل، و أن الأوكسجين غير قابل للاحتراق و لا يشتعل، و لكنه يساعد على الاشتعال.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۱۸

و معنى هذا أن جزأى الماء الواحد لو تحلل، لأمكن أن يشتعل، و لأعطانا أشد أنواع الاشتعال و الاحتراق، بسبب تكونه من هذين

الغازين، المشتعل و المساعد على الاشتعال، كما هو معروف و مسلم فى العلوم.

إننا حينما نرجع إلى قول اللّه تعالى: وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ و نستحضر هذه الحقيقة العلمية اليقينية عن الماء، نجد أنفسنا أمام معجزة علميد ناطقة بأن هذا القرآن يستحيل أن يكون من عند البشر، و ذلك أنه لم يكن هناك أى سبيل للإنسان يستطيع بواسطته أن يضع يده على هذه الحقيقة، بل كانت معارفه و معلوماته تضادها و تعاكسها.

و لو أن محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم أراد أن يتحدث عن الماء لتحدث عنه بلغة عصره و معارفه، و لأخبر عنه بأنه مبطل للاحتراق، لا أنه يحترق.

إذن فمن المحال أن يكون هذا القرآن من كلام محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، و إنما هو من كلام اللّه الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى، وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدى إنه كلام العليم الخبير.

ازدياد حجم الارض بالماء:

و من هذا القبيل، مما له علاقة بالماء، ما أخبر اللّه به عن الأرض، من أنها تهتز و يزداد حجمها حين ينزل عليها المطر: قال تعالى: وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً، فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ.

فالقرآن يصرح فى هذه الآية بأن الأرض إذا نزل عليها الماء اهتزت، و ازداد حجمها.

لقد نزلت هذه الآية فى الوقت الذى لم يكن الإنسان يعرف فيه شيئا عن هذه الحقيقة العلمية الثابتة.

إلى أن جاء العلم الحديث، و أثبتت بحوث العلماء أن الأرض لها مسام يتخللها الهواء، و أن نزول الماء عليها يطرد الهواء من هذه المسام، و يحل محلها، و عند ما تمتلئ مسام الأرض بالماء بدلا عن الهواء، تتحرك جزئيات الطين بقوة دفع الماء فى المسام، و من ثم يزداد حجم الأرض، بتمدد الطين بالماء.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۱۹

و قد تمكن العلماء من قياس حركة الأرض إذا ما أصابها الماء، كما تمكنوا من معرفة الزيادة فى حجمها.

أو ليس فى هذه الآية كسابقتها ما يدل دلالة صريحة على مطابقة القرآن للحقيقة العلمية الثابتة التى اكتشفها الإنسان الحديث؟.

بلى ... إنها المطابقة اليقينية بين العلم و القرآن، مما يدل دلالة قاطعة على أن هذا القرآن من كلام اللّه، و أنه المعجزة الناطقة بذلك.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۲۰

الآية الرابع عشرة مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ و تغير ضغط الهواء فى المرتفعات

لم يكن الناس فى الماضى يعرفون شيئا عن الضغط الجوى، بل لم يكونوا يتصورونه، فلم يكونوا يعرفون ازدياد الضغط فى المنخفضات، و قلته فى المرتفعات.

و لذلك لما نسجوا أساطيرهم الوهمية عن الطيران فى الفضاء و التحليق فى أعماقه، لم يتعرضوا لهذه المسألة، لأنها لم تخطر لهم على بال، لما كانوا عليه من الجهل المطبق بها.

لقد تصور الناس فى الماضى التحليق فى أعماق الفضاء بخيالهم الواسع، فزعموا أن النمرود قد حلق فى أجواز الفضاء، و ذلك عند ما أتى بنسرين و غذاهما باللحم و الخمر حتى كبرا جدا، ثم ربط بأرجلهما قفصا حديديا كبيرا، و جعل فوق القفص و على بعد من النسرين جيفة، ثم ركب القفص، و حال بين النسرين و الجيفة، فطار النسران لالتقاطها، إلا أنهما كلما طارا للحاق بها ارتفعت عنهما، لاتصالها بالقفص الحديدى المعلق بأرجلهما، و الذى كان يجلس النمرود فى وسطه.

و ما زالا يرتفعان إلى أن أبصر الأرض كرغيف الخبز، ثم ارتفعا إلى أن أبصر الأرض كالكف، ثم ارتفعا إلى أن أبصر الأرض كعين

الديك.

و لا أريد أن استطرد فى سرد هذه القصة التى حاكها خيال بنى إسرائيل، و التى تناقلتها الكتب التى عنيت بالإسرائيليات.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۲۱

و لكن الذى أريده من هذه القصة هو أن الإنسان القديم قد تصور الارتفاع بالجو، و لكن تصوره كان ساذجا، متوافقا مع معارفه فى ذلك الزمان، و لذلك لم يحسب أى حساب لخفة ضغط الهواء، و قلة الأوكسجين، و ضيق التنفس فى حال الارتفاع إلى مثل هذه المسافة التى صورها خياله الساذج.

و لو أننا ذهبنا نفكر بالأمر حسب معلوماتنا المعاصرة، و تصورنا المسافة التى وصل إليها فى ارتفاعه حتى أبصر الأرض كعين الديك فى الصغر، لفهمنا أنه قد ارتفع إلى مسافة بعيدة جدا تقارب مسافة الأقمار الصناعية اليوم، و هذا يعنى فى معلوماتنا الحديثة أنه من الضرورى أن يكون قد تفجرت شرايينه، و من ثم اختنق و مات لقلة الضغط، و عدم إمكانية التنفس ...؟.

فكيف صعد إلى تلك المسافة الموغلة فى الفضاء، ثم رجع إلى الأرض، دون أن يصاب بأى أذى، و دون أن يتحدث الروائيون و القصصيون عما صادفه على الأقل من بعض المتاعب فى تنفسه و ضيق صدره ...

إنه خيال جميل، و تفكير دقيق سليم، و ربما كان يحالفه الحظ فى محاولة الإنسان الطيران .. إلا أنه ساذج بالنسبة لمعلوماتنا المعاصرة، يدل دلالة قاطعة على أن الإنسان القديم كان على جهل كامل بكثير من الأمور المتعلقة بالفضاء، و من أهمها مسألة الضغط الجوى، و نقص الأوكسجين، و عدم إمكانية التنفس.

و لم يكن الخيال العربى بأقل من الخيال الإسرائيلى، فقد نسج العرب أيضا، و بمعارف بيئتهم، قصة خيالية عن سيف بن ذى يزن، الذى شغفهم بقصته حبا، و زعموا أنه سخر العفريت لحمله، و أنه ركب ظهره، و طار به فى الجو حتى أبصر الأرض بقدر الكف، كما ذكرنا فى القصة الماضية.

و لكنهم أيضا لم يتعرضوا لشىء عن انخفاض الضغط فى مثل هذا الارتفاع الهائل.

و السبب هو ما ذكرناه من أن الإنسان القديم لم يكن على علم بهذه الحقيقة، إذ لم يجرب أحد أبدا الصعود فى السماء .. لأنه لم يكن إلى ذلك من سبيل.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۲۲

و أنا إذ أذكر هاتين القصتين لا- أذكرهما لذاتهما، و إنما أذكرهما لأصل إلى حقيقة يقينية، ألا و هى: أن الإنسان لم يكن على أية معرفة بتغير الضغط و قلته كلما ارتفع الإنسان فى الفضاء، و أن هذا يؤدى إلى ضيق التنفس، و فى مرحلة ما يؤدى إلى تفجر الشرايين و الاختناق.

إلا أننا نجد أن القرآن الكريم قد أشار إلى كل هذا بكل صراحة و وضوح، فقال تعالى: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ، وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ (سورة الأنعام: آية ۱۲۵).

فالآية تنص و بصريح العبارة أن صدر الإنسان يضيق إذا صعد فى السماء، و أن هذا الضيق يزداد كلما ازداد الإنسان فى الارتفاع إلى أن يصل إلى أضيق الضيق، و هو معنى الحرج فى الآية، كما فسره علماء اللغة.

و لقد عبرت الآية عن هذا المعنى بأبلغ تعبير فى قوله تعالى: كَأَنَّما يَصَّعَّدُ إذ أن أصلها «يتصعد» قلبت التاء صادا، ثم أدغمت الصاد فى الصاد، فصارت «يصعد» و معناه أنه يفعل صعودا بعد صعود، كتجرع الشراب و تفوقه.

فالآية لم تتكلم على مجرد الضيق الذى يلاقيه المرتفع فى الجو، الصاعد فى السماء فقط، و إنما تكلمت أيضا على ازدياد هذا الضيق كلما ازداد الارتفاع فى الفضاء، و هو معنى قوله تعالى: يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ.

إن أحدا من المفسرين القدماء لم يتعرض لهذه الآية بهذا المعنى الذى نفهمه اليوم بعلومنا المعاصرة، و لكن فسروه تفسيرا لغويا بما

يتناسب مع معارفهم، و الآية صريحة و واضحة فى معاييرنا العلمية اليوم.

فمن الذى علم محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم هذه الحقيقة العلمية التى كانت خافية على الناس فى عصره، و فيما بعد عصره لأمد طويل.

و كيف تمكن أن يصوغها بهذا الأسلوب الذى يتماشى مع أدق التعبيرات

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۲۳

العلمية المعاصرة، إنه اللّه الذى قال له: وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً.

إنها الآية الناطقة الدالة على أن هذا القرآن ما كان لأحد أن يفتريه أو يتقوله إذ: لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً.

و لكنه كلام اللّه الذى لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ يدل به خلقه فى كل زمان و مكان على قدرته و عظمته.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۲۴

الآية الخامس عشرة وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها و نظرية التزحزح القارى

اشارة

لقد درسنا و نحن صغار فى المدارس نظرية التزحزح القارى، أو نظرية تباعد القارات على النحو المعروف اليوم فى الأوساط العلمية.

و لكن و مع الأسف لم نكن حينما درسنا تلك النظريات العلمية فى أوساط علمية تحيط بنا خارج مدارسنا، و إنما كنا فى أوساط يمكن أن يقال عنها إجمالا:

إنها أوساط أمية، كانت امتدادا لفترة الركود التى سيطرت على أمتنا حتى سادها الجهل، و انتشرت فيها الخرافة، و بعدت الهوة بينها و بين الحضارة المادية المعاصرة، و كادت تلحقنا- إذا ما قسنا أنفسنا بالحضارة المحيطة بنا فى الشرق و الغرب- كادت تلحقنا بالعصور الحجرية.

و لم يكن فى أساتذتنا من يستطيع أن يوجه لنا العلوم لتتوافق مع ما وقر فى قلوبنا من معتقداتنا الإسلامية، إما لجهله بعلوم الشرع، و إما لغاية فى نفسه يريد الوصول إليها.

و كذلك لم نكن نجد فى أكثر علماء الشرع من يتقن تلك العلوم، و لذلك كان يستنكر كل ما من شأنه التطور، إذ آمن بالخلق المباشر، و من ثم كان يقذف كل من تعرض لمثل هذه النظرية- كان يقذف بالفسق و ربما بالكفر.

و لذلك كنا فى حيرة بين الإيمان بالخلق المباشر، و بين ما كان من قبيل هذه النظرية، إلى أن نبغ فى الأمة من استطاع الإحاطة بالمعتقدات الشرعية، و العلوم الكونية، و من ثم بين أن هذا الذى ندرسه اليوم فى كثير من القوانين العلمية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۲۵

ليس معارضا لمعتقداتنا، و ليس مكذبا لكتابنا، و لكنه كاشف عن معجزة جديدة من معجزات هذا الكتاب العظيم.

إن نظرية تباعد القارات تفترض أن جميع القارات كانت فى وقت من الأوقات قطعة واحدة متلاصقة، على أصل الخلقة، ثم انشقت تلك الأرض، و بدأت أجزاؤها بالتباعد و الانتشار، و بهذا تشكلت القارات، و ملأت المسافة الفاصلة بينها المياه مشكلة البحار.

و قد طرحت هذه النظرية لأول مرة فى العالم عام ۱۹۱۵، حين أعلن خبير طبقات الأرض الألمانى الأستاذ «الفريد واجنز» أنه لو قربت القارات جميعا، فسوف تتماسك ببعضها، كما يحدث فى ألعاب الألغاز التى يتدرب عليها الأطفال لإبراز مهاراتهم.

و إن نظرة سريعة خاطفة لسواحل البحار المختلفة على الكرة المجسمة، ليدلنا دلالة صريحة و صحيحة على هذا المعنى، كما يبدو ذلك جليا واضحا لكل ناظر فى الساحل الشرقى لأمريكا الجنوبية، و الساحل الغربى لإفريقيا، أو فى سواحل البحر الأحمر، أو غير ذلك من السواحل.

كما أننا نجد شبها كبيرا على سواحل البحار المختلفة، كأن نجد جبالا متماثلة عمرها الأرضى واحد.

و كأن نجد فيها دواب و أسماكا و نباتات متماثلة أيضا.

و هذا ما دفع عالم النباتات البروفسور رونالد جود فى كتابه «جغرافية نباتات الزهور» هذا ما دفعه لأن يقول:

«لقد اتفق علماء النباتات على النظرية القائلة بأنه لا يمكن تفسير ظاهرة وجود نباتات متماثلة فى مختلف قارات العالم إلا إذا سلمنا بأن أجزاء الأرض كانت متصلة بعضها ببعض فى وقت من الأوقات».

و قد أصبحت هذه النظرية علمية تماما بعد تصديق «الجاذبية الحجرية» لها.

۱۵ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۲۶

فإن العلماء اليوم بعد دراسة اتجاهات ذرات الحجارة- يستطيعون تحديد موقع أى بلد وجدت به هضبة تلك الحجارة فى الزمن القديم.

و قد أكدت هذه الدراسة فى «الجاذبية الأرضية» أن أجزاء الأرض لم تكن موجودة فى القديم بالأمكنة التى توجد بها اليوم، و إنما كانت فى ذلك المكان الذى تحدده «نظرية تباعد القارات».

و فى هذا الأمر يقول البروفسور «بلاكيت»:

إن دراسة أحجار الهند تبين أنها كانت توجد فى جنوب خط الاستواء، قبل سبعين مليون سنة، و هكذا تثبت دراسة جبال جنوب إفريقيا أن القارة الإفريقية انشقت عن القطب الجنوبى قبل ثلاثمائة مليون سنة «۱».

لم تكن هذه النظرية معروفة عند القدماء، لا من قريب و لا من بعيد، لا فى الواقع و لا فى الخيال، و لذلك يستحيل على البشر، مهما أوتى من العبقرية و الذكاء أن ينطق بها أو بما يدل من قريب أو بعيد عليها.

فإذا قرأنا قوله تعالى: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها، أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَ مَرْعاها (سورة النازعات: آية ۲۰- ۲۱).

و إذا عرفنا أن معنى الدحو إجمالا هو النثر و التسوية، إذ يقال: دحى المطر الحصى عن وجه الأرض: أى كشفه.

و يقال للاعب بالجوز: أبعد المدى و ادحه: أى ارمه و أزله عن مكانه «۲».

و يقال للفرس: مر يدحو دحوا، و ذلك إذا رمى بيده رميا.

و المدحاة، كمسحاة، خشبة يدحو بها الصبى، فتمر على الأرض، لا تأتى على شىء إلا اجتحفته «۳».

---

(۱) الإسلام يتحدى: ص ۲۰۷.

(۲) أساس البلاغة ص ۱۸۴، مادة (دحو) و فيه خلق اللّه الأرض مجتمعة ثم دحاها: أى بسطها، و مدّها و وسّعها.

(۳) انظر المجمل ۱/ ۳۴۸ لابن فارس و اللسان مادة (دحا).

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۲۷

و فى حديث ابن عمر: فدحا السيل فيه بالبطحاء» أى رمى و ألقى.

و قال ابن الأعرابى: يقال: هو يدحو بالحجر بيده، أى يرمى به و يدفعه «۱».

قال أوس بن حجر:

ينزع جلد الحصى أجشّ مبترك كانه فاحص أو لاعب داحى و بهذه يتبين لنا أن معنى دحى: قذف، أو رمى، أو دحرج، أو دفع، و كلها بمعنى الحركة، و الإبعاد، و الانحراف، و هذا هو نفس المفهوم لكلمة DriFT الإنجليزية، التى استخدمت فى التعبير عن النظرية الجغرافية الحديثة.

إننا إزاء هذا التوافق المدهش العجيب الذى ورد فى القرآن الكريم قبل قرون كثيرة و بين ما اكتشف فى الأمس القريب، لا يمكننا إلا أن نسلم بأن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر فى ذلك الماضى البعيد إلا من قبل عالم بحقائق الكون و مدرك لأسراره إنه كلام اللّه.

على أن بعض من كتب فى هذه الآية استدل بها على انفصال الأرض عن السديم، و بعضهم استدل بها على كروية الأرض و بيضويتها، و كلها معان سائغة جائزة.

إذ الدلالة فى هذه الآية على هذه المعانى من قبيل الظاهر، لا من قبيل النص، و الكل محتمل، و لكل مجتهد نصيب.

---

(۱) انظر اللسان مادة (دحا).

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۲۸

الآية السادس عشرة أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً، وَ الْجِبالَ أَوْتاداً و توازن الارض بالجبال

قال اللّه تعالى فى معرض الامتنان على الإنسان: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً، وَ الْجِبالَ أَوْتاداً (سورة النبأ: آية ۶- ۷).

و قال تعالى: وَ هُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ، وَ جَعَلَ فِيها رَواسِىَ وَ أَنْهاراً، وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (سورة الرعد: آية ۲).

و قال جل و علا: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِىَ، وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْزُونٍ (سورة الحجر: آية ۱۹).

و قال: وَ جَعَلْنا فِى الْأَرْضِ رَواسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ، وَ جَعَلْنا فِيها فِجاجاً سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (سورة الأنبياء: آية ۳۱).

و قال جل شأنه: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً، وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً، وَ جَعَلَ لَها رَواسِىَ، وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً، أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (سورة النمل: آية ۶۱).

و قال: وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِىَ شامِخاتٍ، وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً (سورة المرسلات: آية ۲۷).

فنحن نرى فى كل هذه الآيات السالفة الذكر- نرى معنى واحدا يواكبها، من أولها آلى آخرها، ألا و هو معنى أن الجبال عنصر التوازن و الثبات للأرض، تثبتها و تمنعها من أن تميد و تضطرب، و تعمل فيها التوازن و الاستقرار.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۲۹

فما هى حقيقة الجبال؟ و ما الذى كشفته هذه الآية من وجوه الإعجاز؟.

سؤال يجيب عنه العلم الحديث و المكتشفات الجديدة ... و ذلك أن طبقة السيال، أو طبقة القشرة الأرضية التى نعيش عليها، هى التى تشكل القارات، و تحتضن المحيطات، و ترتفع جبالا فى مكان، و تنخفض و ديانا فى مكان آخر، و تشكل السهول الخضراء، و الصحارى المقفرة.

و تلى هذه الطبقة مباشرة ضمن ترتيب طبقات الأرض تليها طبقة السيما.

و طبقة السيما هذه أصلب من طبقة السيال، و لكنها تحت ثقل طبقة السيال الهائل يصبح لها قوام عجينى، ما دام الثقل فوقها، و هذا القوام العجينى يسهل انزلاق القارات عليها، كما عرفناه فى الآية السابقة، كما يسهل اندفاع البراكين منها.

فقارة أمريكا تنزلق حاليا نحو الشرق بسرعة ملحوظة للقياسات العلمية، كما هو شأن جميع القارات، إذ كانت متصلة ثم انفصلت و تباعدت.

و أثناء هذا الانسياح المجهول الأسباب للقارات، تعانى مقدمة القارة ضغطا من السيما يجعد وجهها فتحدث الجبال بقممها البارزة فى

الهواء، و جذورها الغائرة فى السيما.

و من المعتقد أن القسم البارز من الجبل يقابله جذر أطول منه بأربع مرات و نصف ذاهب فى السيما.

و هذه الجذور الغائرة تشكل وتدا يمنع القارة من التمادى فى الانزلاق.

فالقارة الأمريكية تنزلق بسرعة تزيد عن المتر فى السنة، و لكن القوة التى تدفعها للانزلاق كان من الممكن أن تدفعها بسرعة تبلغ كيلومترات كثيرة، لو لا وجود الأوتاد الجبلية الممتدة فى السيما «۱».

---

(۱) براهين: ص ۳۰- ۳۸.

و لو حدث هذا لأدى إلى عدم استقرار الأرض، بل لأدى إلى اندثار الحضارة من فوقها، لعدم إمكانية الاستقرار عليها باختلال توازنها و ميدانها.

أو يستطيع الإنسان المسلم اليوم أن يفهم معنى جديدا لقوله تعالى:

وَ الْجِبالَ أَوْتاداً؟.

و هل نستطيع أن نفهم فى ضوء معطيات العلم الحديث اليوم معنى قوله تعالى: وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ؟.

نعم .. و إنه الفهم المظهر لإعجاز القرآن.

يقول الأستاذ «انجلن»:

«من المفهوم الآن أن المادة الأقل وزنا ارتفعت على سطح الأرض، على حين أصبحت أمكنة المادة الثقيلة خنادق هاوية، و هى التى نراها الآن فى شكل البحار، و هكذا استطاع الارتفاع و الانخفاض أن يحافظا على توازن الأرض».

و يقول عالم آخر: «و فى البحار أيضا توجد وديان تشبه وديان البر، و لكن وديان البحر أكثر غورا و أبعد عمقا من تلك التى توجد فى البر» و من الظواهر المحيرة أن هذه الخنادق البحرية توجد قرب السواحل البرية، بدل أن توجد فى أعالى البحار، و هذا يدل على أن هناك علاقة بين طول الجبال و الخنادق البحرية، و هو أن الأرض يقوم توازنها على أساس الارتفاع و العمق فى أجزائها المختلفة» «۱».

إذن فهذه الجبال تعتبر من أهم عناصر توازن الأرض و ثباتها، كما أنها تعتبر أوتادا تثبتها و تمنعها من الانسياب السريع الخطير، الذى لو حدث لأدى إلى انقراض الحضارة من فوقها.

و هذا المعنى بذاته هو الذى عبرت عنه الآية القرآنية و بكل صراحة و وضوح، فهذا معنى قوله تعالى: وَ الْجِبالَ أَوْتاداً و قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَ أَنْهاراً

---

(۱) الإسلام يتحدى: ص ۲۰۴.

و معنى قوله تعالى: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ و قوله: وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ.

فكيف عرف محمد صلّى اللّه عليه و سلّم أن الجبال أوتاد الأرض ...؟.

بل كيف عرف أنها هى عنصر ثباتها و توازنها ..؟ و فى الوقت الذى كان الإنسان يجهل فيه جهلا كاملا كل ما يتعلق بطبقاتها و طبيعة تكوينها ..؟.

إن هذا الكلام لا يمكن لأى إنسان فى الأرض أن يقوله فى ذلك العصر، مهما أوتى من العبقرية و الذكاء و الدهاء.

إن أى عاقل يسمع هذا الكلام اليوم و يقيسه بمعطيات العلم الحديث، ليقطع بأن هذا الكلام معجز، و أنه ليس من صنع البشر و لا هو داخل فى طاقاتهم و تحت إمكانياتهم، و إنما هو كلام اللّه خالق الأرض، و العارف بحقيقة تكوينها و متطلبات ثباتها و استقرارها.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۳۲

الآية السابع عشرة وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ و قانون التوازن المدهش فى الأرض

قد يضيق الإنسان ذرعا ببعض ما يرى من حيوان لا- يرى له نفعا، أو حشرة تلحق به ضرا، أو نبات يؤذى محصوله الزراعى و يشوه حديقته!.

فكم و كم تذمر الإنسان من الذباب، و كم تأذى من العقرب و الأفعى، و كم ضايقته الحشائش الممتدة بين الزرع و أتلفت محاصيله الفئران.

و لكن ... أ لم يكن الإنسان بحاجة إلى هذه المخلوقات؟.

و هل وجد فيها إلى جانب ذلك الضر بعض ما يحتاجه مما هو نافع له و مفيد؟.

و هناك بعض النباتات التى تعتبر سريعة فى نموها، و الغابة بيئة خصبة لها، و لكنها مع ذلك لم تجتح الغابة بأسرها، و إنما اكتفت بجانب من جوانبها .. لم و الظروف كلها مساعدة لها ..؟.

إننا سنقف على الجواب- واضحا و صريحا- على كل هذه التساؤلات فى قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ، وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (سورة الحجر: آية ۲۱).

و قوله تعالى: وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ (سورة الرعد: آية ۸).

و قوله تعالى: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها، وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ، وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (سورة الحجر: آية ۱۹).

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۳۳

لقد اضطر أهل استراليا فى وقت ما لزراعة نوع من الصبار كسياج وقائى لهم، و كان هذا النوع سريع النمو و الانتشار، و لم يكن فى استراليا أى نوع من الحشرات يعاديه، فنمى، و تمادى، حتى غطى فى استراليا مساحة كبيرة تقرب من مساحة انجلترا، و ضايق أهل المدن و القرى، و أتلف مزارعهم، و حال دون الزراعة، و صار أهل استراليا أمام هذا الجيش الزاحف إليهم من كل حدب و صوب، مما يهدد حياتهم، مما اضطر علماء الحشرات للبحث فى جوانب الأرض عن عدو لهذا الجبار العنيد، يقف فى وجهه، و يمنع انتشاره، فعثروا فى إحدى البلدان على حشرة لا تعيش إلا على الصبار، و لا تتغذى بغيره، و هى سريعة الانتشار بنفس الوقت.

و لم تمض إلا- فترة قصيرة حتى تمكنت هذه الحشرة من الوقوف فى وجه الصبار، بل اضطرته إلى التراجع، و أنهت مصائب أهل استراليا.

إلا- أنها فى نفس الوقت تراجعت هى أيضا، و لم يبق منها سوى بقية قليلة، و كأنها جيش احتياطى للوقاية، يكفى لصد الصبار عن الانتشار إلى الأبد ...؟.

فلو لا- هذه الحشرة لضاقت الأرض بأهل استراليا، و لو بقيت الحشرة فى نفس أعدادها السابقة، و لم تتراجع هى أيضا، لقضت على ذلك النوع من الصبار الذى يحتاجون إليه.

إذن لم يكن خلق الصبار عبثا، و إنما لحاجة الناس إليه، كما لم يكن خلق تلك الحشرة المضادة له عبثا، و إنما لحاجة الإنسان إليها، للوقوف فى وجه الصبار الذى يمكن أن يهدد حياة الناس بسرعة انتشاره، كما حدث للناس فى استراليا.

إنه أعظم توازن فى نظام البيئة و الحياة، يضمن الاستقرار و الدوام للجميع، و لولاه لعدا بعض الأنواع على بعضها الآخر و لا ختل توازن الحياة.

و هذا الذی نراه فی النبات و الحشرات، نراه فی کل ظاهرة من ظواهر الکون و الحیاة.

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۲۳۴

لقد استفاد العلماء حتی من الفئران و العقارب و الأفاعی، فاستخرجوا منها أمصالا واقیة لبعض الأمراض.

و ما تزال التجارب تجری علی کل نوع من أنواع النباتات و الحشرات، لإیمان العلماء أنه لا بد أن یوجد فیها ما یحتاج الإنسان إلیه، ضمانا لتوازن الحیاة و استقرارها.

و إن نظرة سریعة خاطفة إلی معالم هذه الکون لتعطینا فکرة دقیقة و بالغة عن هذا التوازن الدقیق العجیب فیه.

فالأرض کرة معلقة فی الفضاء، تدور حول نفسها مرة کل یوم، فینتج عن ذلک اللیل و النهار.

و تدور حول الشمس مرة کل عام، فینتج عن ذلک الفصول الأربعة، و هذا یؤدی إلی زیادة مساحة الجزء الصالح للسکن علی سطحها، و یزید من اختلاف الأنواع النباتیة أکثر مما لو کانت ساکنة، بل لو سکنت لأدی هذا إلی انقراض الحیاة عن أجزاء کثیرة منها، بل ربما أدی لانقراض الحیاة.

و یحیط بالأرض غلاف غازی یشتمل علی الغازات اللازمة للحیاة، و بنسب ثابتة معروفة، لو عدا بعضها علی بعض بالزیادة أو النقص لأدی أیضا إلی اضطراب الحیاة.

فلو زاد مقدار الأوکسجین مثلا- عن مقداره العادی إلی الضعف، لأدی هذا إلی انتشار الحرائق التی لا یتمکن الإنسان من السیطرة علیها، کما أنه لو نقص لأدی إلی اضطراب الحیاة.

و الأرض بیئة ثابتة لحیاة کثیر من الکائنات الأرضیة، فتربتها تحتوی علی العناصر التی یمتصها النبات و یحولها إلی أنواع مختلفة من الطعام، یفتقر إلیها الکائن الحی، کما یوجد فیها کثیر من المعادن، مما هیأ لقیام الحضارة علیها.

و أما حجمها فصغیر إذا ما قیس بالفضاء الذی تسیر فیه، لکنها لو کانت صغیرة کالقمر، لعجزت عن الاحتفاظ بالغلاف الجوی و المائی الذین کانا یحیطان

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۲۳۵

بها، لضعف جاذبیتها، و لصارت درجة الحرارة فیها بالغة حد الموت بالبرودة و لو تضاعف قطرها الحالی، لزادت جاذبیتها للأجسام إلی الضعف مما هی علیه الآن. و لا- نکمش الغلاف الغازی الذی یحیط بها و یحفظها من الشهب، و لزاد الضغط الجوی علی کل بوصة مربعة من خمسة عشر رطلا- إلی ثلاثین رطلا- من الضغط الجوی، مما یترتب علیه أسوأ الأثر علی الحیاة، إذ یتضاءل حجم الإنسان حتی یصیر بحجم السنجاب، و لتعذرت الحیاة الفکریة.

و لو بعدت الشمس إلی ضعف بعدها الحالی لنقصت کمیة الحرارة التی تتلقاها من الشمس إلی ربع کمیتها الحالیة، و لطالت دورتها حول الشمس، و لنتج عن ذلک طول فصل الشتاء، و تجمدت الکائنات الحیة علی سطحها.

و لو نقصت المسافة إلی نصف ما هی علیه الآن لکان الأمر علی العکس، إذ یقصر زمن الشتاء، و تزداد الحرارة لدرجة تستحیل معها الحیاة.

و لو کانت القشرة الأرضیة أکثر سمکا مما هی علیه الآن بمقدار عشرة أقدام، لما وجد الأوکسجین، إذ أن القشرة الأرضیة تمتصه، و بدونه لا تدوم الحیاة.

و کذلک لو زاد عمق المحیطات و البحار بضعة أقدام عما هی علیه الآن، لانجذب ثانی أکسید الکربون و الأوکسجین حتی یمتصهما الماء، و لاستحال وجود النبات علی الأرض علاوة عن وجود الحیاة.

و هذا الذی نذکره عن الأرض، نذکره عن کل ما هو موجود فی هذا الکون، من إنسان و حیوان و نبات و جماد.

إذن فلم یخلق شیء فی هذا الکون عبثا، و کل شیء فیه مقدر بمقدار دقیق، یضمن التوازن فی الحیاة و الاستقرار علیها.

و هـذا ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم فى الزمن الذى كان الإنسان لا يعرف فيه شـيئا عن هذا التوازن الدقيق المدهش العجيب، و فى معظم جوانب الحياة.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۳۶

على أن هذه الآيات وردت بأبلغ صيغ العموم لتدل على أن هذا التوازن موجود فى كل كائن فى هذا الكون الفسيح.

وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ، وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ.

وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ، وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ.

إنها الكلمات المعجزة المدهشة الدقيقة الدالة على أنها كلمات الخالق العليم الحكيم، الذى أتقن كل شىء خلقه و أحاط به علما.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۳۷

الآية الثامن عشرة وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ و شعار علماء الكون و الحياة فى قانون الزوجية اليقينى

اشارة

لقـد تكرر ذكر خلق الأـزواج فى القرآن الكريم من أوله إلى آخره مرات كثيرة، و فى جوانب متعـددة من جوانب الحيـاة، بـل نصـت بعض الآيات على أن كل شىء خلق فى هذا الكون خلق على قانون الزوجية ...

فقال تعالى: وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً، فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ، وَ رَبَتْ، وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (سورة الحج: آية ۵).

و قال: وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (سورة الرعد: آية ۲).

و قال: أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (سورة الشعراء: آية ۷).

و قال جل و علا: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (سورة الذاريات: آية ۴۹).

و قال: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى (سورة النجم: آية ۴۵).

و قال: وَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها، وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَ الْأَنْعامِ ما تَرْكَبُونَ (سورة الزخرف: آية ۱۲).

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۳۸

ثم قال تعالى: سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ (سورة يس: آية ۳۶).

إلى آيات كثيرة فى القرآن الكريم تتكلم عن الأزواج، و عن خلقها، و أن هذه الأزواج موجودة فى جميع معالم الكون و الحياة، وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

إذن فالزوجيـة لاـ بـد أن تكون موجودة فى كل شـىء يمكن للإنسان أن يضع يـده عليه، و ليست مقصورة على ما يكون من الـذكر و الأنثى فى النبات أو الحيوان، أو على ما يمكن أن يتصف بالذكورة و الأنوثة و لو مجازا ..

لأن الصيغة التى وردت من أبلغ صيغ العموم و أكملها وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

رأى علماء السلف و أقوالهم فى الزوجين.

إن هذا الذى ذكرته من أن الزوجية شاملة لكل شىء مما هو مفهوم من الآية الكريمة، لم يكن فهما خاصا لأهل العصر الحاضر، بل هو ما فهمه السلف رضوان اللّه عليهم من مقتضى دلالة هذه الصيغة فى هذه الآية.

و لكن فهمهم لهذه الآية كان ضمن طاقاتهم و إمكانياتهم و معارفهم، فيما وضعوا عليه أيديهم من معالم الكون و الحياة.

فقد روى الإمام الطبرى عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ قال:

الكفر و الإيمان، و الشقاوة و السعادة، و الهدى و الضلالة، و الليل و النهار، و السماء و الأرض، و الإنس و الجن.

و روى عن الحسن البصرى أنه قال فى هذه الآية: الزوجان هما الشمس و القمر.

و روى عن ابن زيد أنه قال فيها: هما الذكر و الأنثى، و قرأ: وَ أَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ قال: امرأته.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۳۹

ثم قال الطبرى: و أولى الأقوال فى ذلك قول مجاهد، و هو أن اللّه تبارك و تعالى خلق لكل ما خلق من خلقه ثانيا له، مخالفا فى معناه، فكل واحد منهما زوج للآخر، و لذلك قيل: زوجين.

و إنما نبه جل ثناؤه بذلك- نبه خلقه على قدرته على خلق ما يشاء خلقه من شىء، و أنه ليس كالأشياء التى شأنها فعل نوع واحد دون خلافه.

إذ كل ما صنعته فعل نوع واحد دون ما عداه، كالنار التى شأنها التسخين، و لا تصلح للتبريد، و كالثلج الذى شأنه التبريد، و لا يصلح للتسخين، فلا يجوز أن يوصف بالكمال.

و إنما كمال المدح للقادر على فعل كل ما يشاء فعله من الأشياء المختلفة و المتفقة «۱» اه.

و لو أننا تتبعنا كتب المفسرين على اختلاف مناهجهم من السلف و الخلف إلى عصر النهضة العلمية، لوجدناها متفقة تقريبا على هذا الذى قاله الإمام الطبرى رحمه اللّه تعالى، مع توسع بعضهم فى تعداد الأنواع التى لها ضد أو نقيض، أو ند أو شبيه، و اختصار بعضهم الآخر و اكتفائه بذكر الذكر و الأنثى.

و هذا هو الذى كانوا يشاهدونه أو يعلمونه رضى اللّه عنهم.

ما تحتمله الآية من الدلالة:

و لكن هل هذا الذى ذكروه هو كل ما نستفيده من هذه الآيات التى تتحدث عن خلق الزوجين ..؟.

الجواب و بكل تأكيد: لا ..

---

(۱) الطبرى: ۲۷/ ۷.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۴۰

و هذا الذى يشير إليه قوله تعالى فى سورة يس: سُبْحانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

إذن فليس الأمر فى خلق الزوجين مقصورا على ما كان معروفا للناس فى القديم.

و إنما هناك أشياء أخرى خلقها اللّه زوجين زوجين، مما لم يعرفه الإنسان القديم، و كشفت عنه العلوم الحديثة بوسائلها العلمية الدقيقة المذهلة المعاصرة، التى أعطت الإنسان من القدرة على الإدراك أضعاف ما كان يملكه الإنسان القديم آلاف المرات، من المجاهر الإليكترونية، و المقاييس الدقيقة الحساسة، و سفن الفضاء، و القوانين العلمية.

فلقد توصل العلماء فى العصر الحديث إلى إدراك الكثير و الكثير من خلق الأزواج، مما كان مجهولا فى الماضى، و مما نفهم به معنى جديدا فى قوله تعالى:

وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

بل لنفهم من هذه الآية و ما فى معناها أنها يستحيل أن تكون من قول البشر، و إنما هى من قول خالق الأرض و السماء، و عالم السر و العلن، إذ أخبرت عن الزوجية فى أشياء لم يكن أهل العصر الأول يعرفونها، و إنما هى من معارف هذا العصر، كما أخبرت الآيات التى فى معناها بأن الزوجية فى كل شىء يمكن للإنسان أن يضع يده عليه، فإن أدرك الزوجية به، فبها و نعمت، و إلا فسيدركها

الجيل أو الأجيال القادمة، بما يمكن أن يتوصلوا إليه من معارف و وسائل، و لذلك فإنه يجب عليه أن يتابع البحث عنها.

الأزواج التى كشفتها المعارف الحديثة:

اشارة

بعد هذه المقدمة التى ذكرناها عن الأزواج سوف يتساءل القارئ عن الأزواج التى اكتشفها الإنسان الحديث، بوسائله العلمية المعاصرة، و التى لم تكن معروفة للإنسان القديم، و مما يستدل به على الإعجاز فى القرآن الكريم ...

و يحق له أن يتساءل ...

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۴۱

و لكن الجواب على هذا التساؤل لا يستطيع أن يضع يده عليه فى كتب اللغة أو كتب التفسير، إلا أن كتب اللغة و التفسير تقره، لأنه مما يقال فيه، و بكل ثبات و يقين: إنه زوج.

إن الجواب سنعرفه هذه المرة من كتب العلوم المعاصرة، فى أدق مباحثها و مكتشفاتها.

و هو لم يخف فقط على أهل العصور السابقة، بل هو مما يخفى على أكثر أهل العصر الحاضر، و مما يذهل له الإنسان المعاصر.

۱۶ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۴۲

۱- الزوجية فى الإلكترون أو الكون و الكون النقيض

اشارة

إن الإنسان أو أى كائن حى آخر، يتكون من أعضاء، و هذه الأعضاء تتكوّن من أنسجة، و الأنسجة تتكوّن من خلايا و الخلايا تتكوّن من جزئيات، و الجزئيات تتكوّن من ذرات، و الذرات تتكوّن من جسيمات، هذه الجسيمات تعتبر أصغر وحدة من وحدات المادة.

فجسيمات الذرة الأولية هى: البروتون، و النيوترون، و الإليكترون، أو بمعنى «الموجب، و المتعادل، و السالب.

و لقد كنا فى الماضى نسمع من أساتذتنا أن اللّه خلق من كل شىء زوجين، حتى الذرة خلقها اللّه من زوجين هما النواة و الإليكترون الذى يدور حولها، أو هما السالب و الموجب فيها.

إلا أن هذه المعارف أصبحت بديهية و بدائية، و ليست هى مما أريد الكلام عنه، و إنما هو أمر وراء الذرة، إنه أمر تكوين جسمياتها؟ فى أصل خلقه الأول، لنضع أيدينا على سر جديد من أسرار الإعجاز الإلهى فى خلقه و آياته.

«فى عام ۱۹۲۸ خرج العالم الرياضى الشاب بول ديراك الإنجليزى، خرج على الملأ بنبإ غريب، مضمونه معادلة رياضية أصيلة تتناول طبيعة الكون.

تنبأت هذه المعادلة بأن خلق الإليكترون لن يتأتى إلا عن طريق خلق الزوجين، و هو ما يعرف فى الأوساط العلمية الفيزيائية بهذا المعنى أيضاParcreattion أى خلق الأزواج أو الزوجين.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۴۳

و لم يكن المراد بهذا أن الخلق يكون عن طريق إعطاء اليكترونين أو بروتونين أو نيوترونين، و إنما كان بمعنى خلق الإليكترون و

الإلكترون النقيض، أو البروتون و البروتون النقيض، أو النيوترون و النيوترون النقيض.

على أن هذه النقائض المادية لا يمكن أن يجتمع بعضها مع بعض، لا فى الزمان، و لا فى المكان، فبمجرد خلق الزوجين فى عالمنا، لا بد أن يهلك أحدهما الآخر و يفنيه حين التقائه إياه.

هذه هى المعادلة التى أتى بها بول ديراك و التى تحمل هذا النبأ الغريب، مما جعل الناس لا يلقون لها بالا، إذ لم تكن عقولهم تهيأت لهذا بعد.

و لكن هل تحقق ما تنبأ به ديراك؟

لقد كان العلماء فى الماضى يطلقون إلى الجو أجهزة علمية داخل بالونات لتسجيل سر الأشعة الكونية التى تأتى من السماء.

و فى عام ۱۹۲۳ استقبل أحد العلماء الأمريكيين المهتمين بدراسة الأشعة الكونية و هو كارل اندرسون، استقبل مسارات هذه الأشعة على ألواح حساسة، و هذه المسارات بمثابة البصمات عند الإنسان، تحدد للعلماء صفات تلك الأشعة، و طبيعتها، و شحنتها، و شخصيتها.

لقد لفت نظره من بين المسارات الكثيرة المسجلة- مسيرة غريبة، ففى لحظة واحدة خاطفة ظهر على لوحه الحساس ولادة جسمين من نقطة واحدة، انطلق أحدهما إلى جهة اليمين، و انطلق الآخر إلى جهة اليسار، مما جعل أندرسون حائرا فى هذا المشهد، إذ أن المسارين لإلكترونين يقينا، و لكن ما هو السبب الذى جعلهما يبتعدان و يفترقان أحدهما عن الآخر، و كأن أحدهما عدو لقرينه؟.

لم يتمكن أندرسون من معرفة السبب، و ذلك لأنه لم يكن قد اطلع وقت مشاهدته لهذه الظاهرة، لم يكن قد اطلع على معادلة ديراك الرياضية التى أشرنا إليها، و التى كان قد نشرها قبل ثلاث سنوات فى إحدى المجلات العلمية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۴۴

البريطانية المتخصصة، إذ لو كان قد اطلع عليها لما تحير تلك الحيرة فيما رأى و شاهد.

و جاء بعد أندرسون الأمريكى عالمان بريطانيان، عرفا ما توصل إليه أندرسون عمليا بألواحه الحساسة، كما عرفا المعادلة التى أشار إليها ديراك قبله نظريا، و بجمعهما بين نتيجة أندرسون العملية و معادلة ديراك الرياضية النظرية أدركا السر العظيم فى مسار الإليكترونين، و أشارا إلى أن معادلة ديراك التى تنبأت بخلق الزوجين صحيحة تماما، على ما أثبته أندرسون بألواحه.

لقد كان ذلك اليوم الذى توصل فيه العلماء إلى تسجيل بداية خلق أصغر و أبسط زوجين فى العالم- كان يوما مشهودا فى تاريخ العلم.

و من أجل هذا الاكتشاف المثير الذى توصل إليه ديراك من خلال معادلته الرياضية- من أجل هذا حصل على جائزة نوبل فى العام التالى لتحقق ما تنبأت به معادلته» «۱».

و هو بالنسبة لنا نحن المسلمين يعتبر أيضا يوما مشهودا، إذ أثبت فيه العلم الحديث فى أدق مباحثه و أبدع اكتشافاته، أثبت ما أخبر به القرآن الذى سبقت آياته معادلة ديراك بأربعة عشر قرنا، إذ قال تعالى: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

و قال: «سُبْحانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

نعم ... إنه ليوم مشهود لنا نحن المسلمين، إذ ثبت للعالم أجمع أن هذا القرآن لم يكن من صنع البشر، و إنما هو الآية القاطعة الناطقة بأنه من صنع خالق الكون و الإنسان و الحياة، و العالم بكل صغيرة و كبيرة مما خلق على أبدع نظام و أتم تقدير.

---

(۱) الدكتور عبد المحسن صالح فى بحثه سُبْحانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها الوعى الإسلامى عدد ۱۶۲ بتصرف.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۴۵

و هل هذا كل ما فى الأمر بالنسبة للأزواج ..؟.

الجواب: لا ....

لم يقف الأمر عند ذلك الحد الذى ذكرناه، و ذلك لأنه وضع أيدينا على سر جديد، و هو: أن هذا الكون فى أرضه، و سمائه، و جزئياته، و ذراته، ليس فى الحقيقة إلا طاقة اتخذت صورة المادة بجسيماتها و ذراتها، و أن هذه الجسيمات حينما تجسدت تجسدت على شكل زوجين، و لم تتشكل مفردة.

«فمولد أو خلق الزوجين اللذين ظهرا على ألواح اندرسون، لم يظهرا من عدم، بل كان من وراء تخليقهما طاقة، أو ومضة ضوئية، و هذه الومضة تنطلق على هيئة موجة، و تجرى فى الكون بسرعة الضوء ۱۸۶ ألف ميل فى الثانية.

و الواقع أن هذا الكون- على قدر ما نعرفه الآن- له مظهران، فهو أحيانا ندركه أو يظهر لنا على شكل موجة، و هذه الموجة لا زمان لها و لا مكان- أى فى المقاييس الرياضية الحسية- و أحيانا أخرى قد تتخلى الموجة أو الطاقة عن صفتها الطليقة المتحررة و تتجسد على هيئة مادة كجسيمات ذرية، و هى فى هذه الحالة تأتى على قانون اللّه الأزلى فى الخلق زوجين زوجين.

و فى المفاعلات النووية الجبارة يعيش العلماء مع خلق الأزواج ليل نهار، و فيها يسجلون تجسيد الطاقات أو الموجات على هيئة جسيمات كثيرة، و على الألواح الحساسة، أو فى غرف الفيوم- التى توضح بداية خلق الأزواج- يسجل العلماء مولد الإليكترون و نقيضه، أو البروتون و نقيضه، أو النيوترون و نقيضه.

ثم إن هناك جسيمات ذرية أخرى كثيرة، و هى غير الجسيمات الأساسية الأولية الثلاثة التى ذكرناها، فما من جسيم منها يتجسد- صغر شأنه أو كبر- إلا و يظهر معه فى نفس اللحظة نقيضه.

ثم إنه فى كل حالة من هذه الحالات يظهر الزوجان و يتخلقان أمام أعين العلماء، لكن الشىء المثير هو أن النقيض لا يمكن أن يعيش فى مكان واحد مع نقيضه.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۴۶

فإذا تقابل اليكترون مع اليكترون نقيض، فلا بد أن يزولا و يتخليا عن تجسدهما المادى، و يعودا إلى سيرتهما الأولى، أى إلى موجات متحررة» «۱».

و الشىء الذى يعتبر أكثر إثارة و دهشة أن لكل شىء فى هذا الكون نقيضا، ما عدا شيئا واحدا، ألا و هو الطاقة، أو الموجة المتحررة، أو النور، فلا نقيض له، و إنما تظهر النقائض فقط عند ما تتجسد هذه الموجة، أو هذا النور، أو تلك الطاقة، و يؤدى إلى خلق الزوجين.

لما ذا و كيف ..؟ لا أحد يدرى.

فطبيعة الكون تضع أمامنا حقائق الوجود بصورة مثيرة، فبداية الخلق أزواج، و الأزواج جسيمات، أو هى تجسيد لطاقة، أو ومضة، أو نور، خذ منها ما تشاء، فلا أحد يستطيع هنا أن يؤكد أمرا أو يحدد شيئا. كما يقول الدكتور عبد المحسن صالح فى بحثه عن الأزواج- و كلما تعمقنا فى طبائع الأشياء، و ظننا أنا قد وصلنا فيها إلى قرار أشاحت الحقيقة بوجهها، و تجلت لنا أكثر إثارة، و وضعتنا فى مآزق فكرية جديدة.

إن الذى نعرفه حقا أن المادة تجسيد لطاقة أو قوة، و هذه الطاقة وراء حدود العقل و الخيال، و أن هذه الطاقة المتجسدة تتجسد أمام أعيننا أزواجا أزواجا.

و لكن ما ذا يعنى هذا ... إنه يعنى و بكل ثقة ما أخبر اللّه عنه قبل قرون طويلة مما يدل على عظمته و علمه و قدرته، و مما يدلنا دلالة قاطعة على أن هذا القرآن كلامه و وحيه.

إنه يعنى قوله تعالى: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

كما يعنى قوله: سُبْحانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

و لكن هل هذا كل ما فى الأمر ..؟.

---

(۱) المرجع السابق: د. عبد المحسن صالح.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۴۷

و هل اقتصرت المكتشفات العلمية على اكتشاف الزوجين فى الجسيمات الذرية، من الإليكترون و نقيضه، أو البروتون و نقيضه، أو النيوترون و نقيضه، أم أنهم وضعوا أيديهم على أمور أخرى ربما كانت أكثر إثارة و دهشة فى هذا الكون ..؟.

لا شك أن ما ذكرناه لم يكن كل ما فى الأمر مما يتعلق بالآية، فقد قال تعالى: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ.

إذن فلا بد أن تكون هناك أمور أخرى عرفها الإنسان المعاصر مما لم يكن يعلمه الناس قديما، و فيه من الإثارة و الدهشة ما يذهل له عقل الإنسان، و مما يدل دلالة قاطعة على إعجاز القرآن.

الكون و الكون النقيض:

لقد سيطرت فكرة الخلق أزواجا- بعد معادلة ديراك، و ألواح أندرسون، و تجارب العلماء فى المعامل الذرية الضخمة- لقد سيطرت فكرة الخلق أزواجا على عقول العلماء، و صار من الأمور البديهية اليقينية عندهم أنه من تمام انتظام الكون و تعادله و توازنه أن يكون الخلق فى كل شىء على طريقة الأزواج.

و كأنهم اتخذوا من قول اللّه: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ كأنهم اتخذوا من هذه الآية دستورا لمباحثهم العلمية، فكل شىء فى هذا الكون يجب أن يكون على نظام الزوجية.

فخلق الإليكترون لا بد أن يصحبه خلق الإليكترون النقيض أو البوزيترون، كما بيناه فى الفقرة السابقة، و خلق النيوترون لا بد أن يصاحبه خلق النيوترون النقيض، و هكذا ...

و لكن صفات الإليكترون تخالف و تناقض تماما صفات البوزيترون أو الإليكترون النقيض.

فإذا دار الإليكترون حول نفسه من اليمين إلى اليسار، دار الإليكترون النقيض من اليسار إلى اليمين.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۴۸

و إذا حمل الإليكترون شحنة كهربية سالبة حمل البوزيترون شحنة موجبة.

و إذا كان المجال المغناطيسى للإلكترون يتجه إلى الأعلى، كان المجال لنقيضه يتجه إلى الأسفل.

من أجل هذا كان من المستحيل أن يجتمعا، فإذا ما قدر اجتماعهما كان لا بد أن يفنى أحدهما الآخر.

و هذا الصراع العنيف الذى يؤدى إلى الفناء يشهده العلماء فى معاملهم، و فى طبقات الجو العليا، و فى الفضاء الخارجى، إذ كثيرا ما تتجسد الطاقة، و عند ذلك تظهر الجسيمات الذرية أزواجا، فأما الذى من عالمنا فيبقى، و أما الذى جاء نقيضا لجسيمات عالمنا فلا بد أن يتخلى عن تجسده و يفنى و يعود ومضة سائحة فى هذا الكون الرهيب.

و بهذه الحقائق اليقينية التى وضع العلماء أيديهم عليها، و آمنوا بها، أصبحوا يتساءلون، ما دام الأمر كذلك فهل يمكن أن يكون هناك ذرة و ذرة نقيض لها، أو مادة و مادة نقيض لها، أو كون و كون نقيض له، إذ لا بد لكل شىء أن يكون زوجين ..؟.

و بمواصلة البحث توصل العلماء إلى تخليق ذرة هيدروجين نقيضة، إلا أن تخليقها لم يدم لأكثر من لحظة واحدة خاطفة، إذ جاء كل ما فيها معاكسا لذرة الأيدروجين المعروفة، و لا يمكن أن تعيش إلا فى عالم آخر غير عالمنا، و هذا الأمر مستحيل فى عالمنا، إذ لا بد

لها أن تصطدم فى لحظة خاطفة بجزئ من جزئيات الهواء، أو أى شىء فيه نقيضها لتحطمه و يحطمها و تعود إلى طاقة سابحة فى هذا الكون.

بعد هذه التجربة و هذا الاكتشاف تطورت معارف العلماء و أصبحوا يوقنون أن فكرة خلق الأزواج ليست قاصرة على الجسيمات الذرية، بل تعدتها إلى أنه لكل ذرة فى هذا الكون ذرة نقيضة لها.

و هذا يعنى أن خلق الأزواج لا بد أن يمتد إلى جزئيات الخلية، بل إلى

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۴۹

الكون بأسره، من الأرض، و النجوم، و الكواكب، و المجرات، إذ لا بد لها أن تكون أزواجا ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ.

و هذا يعنى أيضا أن بناء الكون النقيض فى ذراته لا بد أن يكون معكوسا أو نقيضا لبناء عالمنا الذرى، بما فيه من شموس و أقمار و كواكب.

و نحن لا يمكننا أن ندرك هذا، و لا يمكننا أن نفرق مثلا بين النجم و نقيضه، لأننا نراهما بواسطة الضوء الواصل إلينا منهما، و قد ذكرنا أن النور لا نقيض له، و إنما يظهر الزوج أو الجسم و نقيضه عند تجسد النور أو الطاقة.

و لكننا يمكننا أن ندرك النجم و نقيضه مثلا عند ما يقترب أحدهما من الآخر و يتلاحمان، و يبدأ كل منهما بإفناء الآخر و تحويله إلى موجات ضوئية لا قبل للعقل بتصورها، بل لا قبل للخيال بذلك.

و ذلك- كما يقول العلماء- لو تقابل مثلا إنسان من عالمنا مع إنسان من العالم النقيض سيتحولان فى لحظة خاطفة إلى طاقة ناتجة عن انفجار كونى جبار لا يقل عن الطاقة المتحررة من تفجير مائة ألف قنبلة من القنابل الهيدروجينية ..

فكيف لو تقابل نجمان أو مجرتان .. إنه لا يمكن للعقل أن يتصور ما ذا سيحدث.

و من أجل هذا كان هذا التباعد الهائل فى الفضاء بين المجرات و عوالم هذا الكون الرهيب الرحيب، فالمسافة بين هذه المجرات لا تقاس بالأميال، و لا بملايين الأميال، و إنما بملايين السنين الضوئية.

إن الذى دفع العلماء إلى هذا التفكير المثير فى خلق الكون و الكون النقيض إنما هو الواقع الذى رأوه فى تجسيد الإليكترون و الإليكترون النقيض، و ما قاموا به من تخليق ذرة الهيدروجين النقيضة، و ما إلى ذلك مما ذكرنا، مع ما أصبح يقينيا عندهم من الوحدة فى الخلق على كل المستويات، و التى تستلزم وجود المادة و المادة النقيضة، أو بعبارة أخرى أوضح فى موضوعنا إلا و هى أنها تستلزم وجود الخلق أزواجا.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۵۰

لقد عكف العالم السويدى الشهير «أوسكار كلاين» سنوات طويلة على دراسة هذا الموضوع، و خرج برأى يقول: «إن المادة و المادة النقيضة لا بد أن تكونا قد ظهرتا فى وقت واحد، و لا بد أن تتساويا تماما، بمعنى أن نصف الأجرام السماوية قد جاء و ظهر من مادة عادية، و نصفها الآخر قد خلق من مادة نقيضة».

و ذهب عالم البلازما النووية «هانز آلفين» إلى أبعد من هذا، فنشر بحثا بعنوان «نقيض المادة و الكون» شرح فيه فكرة ظهور الكون و الكون النقيض، و كيف ظهرا، ثم كيف بوعد بينهما و عزلا، حتى أمكن أن يعيشا إلى اليوم المعلوم «۱».

و لا يسعنا نحن الناظرين إلى هذه النتائج العلمية التى لا تحتاج إلى تعليق إلا أن نردد قوله تعالى: سُبْحانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

كما أننا لنتمايل طربا، و نهتز نشوة، عند ما نعرف أن العالم الحديث بعلومه و معارفه، و فى أدق مباحثه و نظرياته قد اتخذ من آيات القرآن دستورا له يبنى عليه حضارته و تطلعاته و طموحاته، و يردد كما يردد كل مؤمن: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

أیها القارئ الکریم: قل لی بربک .. من الـذی علم ذلک الأمی فی شـعاب مکـة و أودیتها ... من الذی علمه أسـرار الکون و الحیاة، و الذرة و الخلیة، مما لم یکن الإنسان یعلمه، لا بعقله الظاهر و لا بعقله الباطن، و مما لم یصل إلیه و لا حام حوله ..؟!.

لا شک أنه اللّه الذی خلق فسوی و الذی قدر فهدی.

و إنی لعلی یقین بأنه ما من منصف یقع نظره علی هـذه الآیـة و هـذه النتائج العلمیة المذهلة، إلا و یجد نفسه مضـطرا لأن یحنی رأسـه تواضعا للحقیقة، و تعظیما للخالق، و اعترافا بأن هذا الکتاب المعجز لیس من قول البشر.

---

(۱) الدکتور عبد المحسن صالح، المرجع السابق بتصرف.

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۲۵۱

۲- الزوجیة فی الخلیة الجنسیة

اشارة

إن خلق الأزواج الذی تحدثنا عنه فی الفقرات الماضـیة ذلک الحدیث المدهش المثیر فی جسیمات الذرة عند تجسدها من الموجة أو الطاقة، و فی الذرة نفسـها، بل فی الکون بأسـره، حتی أصـبح شـعار علماء الکون شعار المؤمنین أنفسهم، و هو ترداد قوله تعالی: وَ مِنْ کُلِّ شَـیْءٍ خَلَقْنا زَوْجَیْنِ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ- جعل هذه الآیة بعد أن کانت فی معایر الماددیین و فلاسـفة الإلحاد سفسطة جعلها من أعظم الحقائق العلمیة التی لا مریة فیها و لا خلاف.

بل أصبحت الشعار الذی یردده کل علماء الکون صباح مساء و یقرون من خلاله بأن هذا الکلام یستحیل أن یصدر- و قبل أربعة عشر قرنا، فی الوقت الذی لم یکن الإنسان یعرف فیه شیئا بالنسبة لما یعرفه الیوم- یستحیل أن یصدر من البشر، و إنما هو کلام اللّه، معجزة ناطقة دالة علی وجوده و صدق کتابه و رسوله.

هذا هو موقف علماء الکون بعد طول البحث و النظر و التأمل و تکرار التجربة و الملاحظة.

فما هو موقف علماء الحیاة من هذه الآیة ...؟.

هل أصبحوا هم أیضا یرددون شعار المؤمنین فی القرآن: «و من کل شیء خلقنا زوجین» .. و یقرون باطرادها ..؟.

أم أنهم شذوا عنها، و خرجوا من قانونها، و أثبتوا تخلف الخبر القرآنی؟.

الجواب المبـدئی الإجمـالی .. نعم، و بکـل صـراحة و ثبـات و تأکیـد، و بغض النظر عن أن الجسم مکون من الخلایـا التی تتکون من عناصر هذا الکون و ذراته التی تحتوی علی الزوجین السالب و الموجب.

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۲۵۲

إننا لا نریـد أن نتکلم علی هذا، و إنما نرید أن نتکلم علی الأحیاء أو الحیوان، من حیث ما یخصه، لا من حیث ما یکون مشترکا بینه و بین غیره، کالعناصر الکونیة المشترکة بین الحیوان و غیره من الأجسام.

إذن فلیکن بحثنا الآن محصورا فی الحیوان، و لیکن الکلام فی الإنسان، لأنه ألصق بنا، و أقرب منا، و أکثر إثارة لمشاعرنا.

إن ممـا لاـ یخفی علی أحـد من النـاس أن جسم الإنسـان یحتوی علی خلایـا، و هـذه الخلایـا أنواع، فمنهـا خلایا العظام، و منها خلایا الکبـد، و منهـا خلایا المـخ ... و منها خلایا العین، و منها خلایا السـمع، و منها الخلایا الجنسـیة، و لکل خلیـة من هـذه الخلایا عملها و وظیفتها المحددة لها، و التی تقوم بها و بکل دقة و أمانة و انضباط.

و الذى سنأخذه من هذه الخلايا و نتكلم عنه الآن هو الخلية الجنسية.

و ذلك لأن لهذه الخلية الجنسية ظاهرا و باطنا، أما الظاهر فظاهرة الزوجية فيه معروفة منذ زمن بعيد، بمعرفة النطفة عند الرجل و البويضة عند المرأة، مما يتكون من التقائهما الولد، فالخلية الجنسية زوجان، نطفة و بويضة، و هذا معروف لكل أحد.

و لكن الباطن الذى لم يكن معروفا قبل سنين عديدة لأحد، بل كان مِمَّا لا يَعْلَمُونَ و الذى لا يعرفه إلا القليل من الناس اليوم أيضا هو أن الخلية الجنسية عند الرجل بذاتها تحمل أيضا الزوجين الذكر و الأنثى، أو بمعنى آخر أوضح، الحيوان المنوى عند الرجل منه ما يحمل صفة الذكورة، و منه ما يحمل صفة الأنوثة، ففى خليته الزوجان، الذكر و الأنثى.

قال اللّه تعالى: أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً، أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى، ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى (سورة القيامة: آية ۳۷- ۳۹).

و قال تعالى: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ، الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنى (سورة النجم: آية ۴۶).

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۵۳

لقد فهم أسلافنا رضوان اللّه عليهم هذه الآية على ظاهرها، بناء على ما كان لديهم من معلومات عن خلق الإنسان و تكوينه، فقالوا على اختلاف مناهجهم، فجعل منه الزوجين الذكر و الأنثى: أى أن اللّه جعل من هذا الخلق الذى خلقه من المنى، جعل منه الزوجين الذكور و الإناث.

أو أنه جعل من هذا الإنسان بعد ما سواه خلقا سويا- جعل منه أولادا له، ذكورا و إناثا.

فكل معانيهم كانت منصبة على أن اللّه خلق الإنسان من منى الرجل و المرأة أطوارا، إلى أن كان منه الذكر، و كان منه الأنثى، دون أن يتعرض واحد منهم لحقيقة النطفة عند الرجل، لأنه كان مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

على أن ما ذكرناه بناء على معارفهم كان سليما صحيحا، لا غبار عليه.

إلا- أن الوسائل البصرية التى تمكن الإنسان من اختراعها، و التى مكنته من تكبير الأجسام آلاف و آلاف المرات، و الدراسات التى أجراها على الخلية، مكنته من اكتشاف شىء جديد، ما كان للقدماء أن يقفوا عليه بحال من الأحوال، و هو أنه خلايا الرجل الجنسية تحمل صفات الذكورة إلى جانب صفات الأنوثة، و عند انقسام هذه الخلية فى الغدد الجنسية تعطينا حيوانين منويين، أحدهما يحمل صفة الذكورة، و الآخر يحمل صفة الأنوثة.

و بمعنى آخر إذا أخذنا السائل المنوى الذى يقذفه الرجل، و الذى يحتوى فى المتوسط على مائتى مليون حيوان منوى، فإننا سنجد أن مائة مليون منها ذكور، و مائة مليون أخرى إناث.

و نحن و إن كنا لا نستطيع أن نميز بين الحيوانين بالعين المجردة، إلا أن العلماء التجريبيين قد تمكنوا من هذا بواسطة وسائلهم البصرية و العلمية، و أعطوا أوصافا للحيوان المنوى الذكر بأنه له وميض و لمعان فى رأسه، بينما يفقد الحيوان المنوى المؤنث هذا اللمعان و الوميض، كما أن المذكر أسرع حركة و أقوى بأسا فى الغالب من زميله الذى يحمل صفة الأنوثة «۱».

---

(۱) خلق الإنسان: للدكتور البار ص ۱۳۵.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۵۴

و بصياغة جديدة للمعنى الذى ذكرناه نقول: إن نطفة الرجل و منيه هو الذى يحمل الذكورة و الأنوثة، فمنه الذكر، و منه الأنثى، فإن لقح البويضة الحيوان المنوى الذكر، كان الولد ذكرا، و إن لقحها الحيوان المنوى المؤنث، كان الولد أنثى، هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ، وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها (سورة الأعراف: آية ۱۸۹).

إذن فالزوجية التى كنا نعرفها عن الخلية الجنسية فى الحيوان المنوى و البويضة كانت أمرا ظاهرا، وراءه أمر باطن لا يعلمه كثير من

الناس، و هو أن الحيوان المنوى ذاته أيضا كان منه الزوجان الذكر و الأنثى.

و عند ذلك نفهم الآية فهما جديدا، ما كان لأسلافنا أن يفهموه، ألا و هو أن قوله تعالى: أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى، ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى أى: جعل من المنى الذى يمنى الزوجين الذكر و الأنثى.

و هو أوضح و أصرح فى قوله تعالى: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنى.

فالآية صريحة فى أن الذكر و الأنثى من نطفة الرجل و منيه، و أن هذا المنى يحمل الذكور إلى جانب الإناث أزواجا أزواجا.

أ لا ترى معى أيها القارئ الكريم أن هذه الآية من أكبر الأدلة القاطعة على أن هذا القرآن من عند خالق الإنسان و العالم بأسراره و خفاياه، و أنه يستحيل أن يكون من عند البشر، إذ لم يكن عند الإنسان حتى عصر قريب أية معلومات عن هذه الحقيقة فى الحيوان المنوى ..؟!. المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى ۲۵۴ فما هو موقف علماء الحياة من هذه الآية...؟. ..... ص : ۲۵۱

ى ... و لا يسعنا إلا أن نقول: سُبْحانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

كما لا يسعنا إلا أن نذكر شعار الخلق فى القرآن، الذى أصبح اليوم شعار علماء الكون و الحياة: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۵۵

۳- الزوجية فى الكروموسومات

لقد رأينا كيف أن الإنسان كان يعتقد فى الماضى أن خلق الزوجين الذكر و الأنثى إنما كان من التقاء الزوجين البويضة و الحيوان المنوى، اللذين يكونان الخلية الملقحة، ثم المضغة، ثم العلقة، ثم الذكر أو الأنثى.

إلا أن هذا الظاهر الصحيح الذى ما زلنا نؤمن به قد احتوى على باطن و سر أدق منه و أبدع و أغرب، و قد عرفنا هذا حينما كشفنا أن الزوجين أيضا كانا سرا فى الحيوان المنوى عند الرجل، و أن نطفته تحمل حيوانا منويا ذكرا و آخر أنثى، و أن هذه النطفة هى التى تحقق طبيعة الولد. فإن لقحت البويضة بحيوان منوى ذكر كان الولد- بإذن اللّه- ذكرا، و إن لقحت بحيوان منوى أنثى كان الولد أنثى.

بذلك وضعنا أيدينا على سر جديد للآية الكريمة: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى، مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنى.

و أعلن الإنسان و بكل قوة و فخر أنه وضع يده على سر الخلية الجنسية التى يتكون منها الولد، و بذلك أضافوا دعامة جديدة لقانونهم و شعارهم أن كل شىء فى الكون لا بدّ أن يكون عن طريق الزوجين، الذى كان نداء اللّه و كلامه منذ أربعة عشر قرنا: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

و لكنهم ما إن أعلنوا هذا و فرحوا به، حتى صاحت بهم الحقيقة من جديد، لتعلن لهم ثانية أن هذا الذى أدركوه مما كان خافيا عليهم، إنما هو الآن أمر ظاهر، و أنه يحتوى فى باطنه على سر آخر أبلغ من هذا الذى كشفوه و أدق، و أنه أيضا قد خلق زوجين زوجين، مما قال اللّه فيه وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۵۶

و تابع العلماء المسيرة، و واصلوا البحث للوقوف على السر الجديد المذهل فى الخلية الإنسانية، و الذى خلقه اللّه أيضا زوجين، و لكنه فى هذه المرة لا- ليحدد صفة المولود، هل هو ذكر أو أنثى، و إنما ليحدد نوعه، هل هو إنسان، أو قرد، أو حصان، أو نوع آخر من أنواع الحيوان الكثيرة، على أنه أيضا كان زوجا زوجا، على قانون اللّه فى الزوجية فى كل شىء.

و ذلك أن كل خلية من خلايا الكائن الحى الكثيرة، و التى تعد بالملايين، تحتوى فى داخلها على نواة، هذه النواة تحتوى فى داخلها

على «كروموسومات أو صبغيات» و هذه الكروموزومات أو الصبغيات هى التى تحدد نوع الكائن الحى، بسبب عددها فى الخلية، فإذا كانت الخلية خلية إنسان، فإنها تحتوى فى داخل نواتها على ستة و أربعين كروموزوما، و إن كانت خلية قرد من نوع الريسوس، فإنها تحتوى على (۴۲) اثنين و أربعين كروموزما، و إن كانت خلية بقر، فإنها تحتوى على (۶۰) ستين كروموزوما، و هكذا نجد أن نوع الكائن الحى يختلف باختلاف عدد الكروموزومات فيه.

و هذه الكروموزومات دائمة الانقسام، بسبب انقسام الخلية، لتعويض الجسم عن الخلايا التى تموت فيه باستمرار، و التى تقدر أيضا بالملايين.

و الخلية عند ما تنقسم لا بدّ أن يحتوى كل جزء من جزأيها الجديدين على نفس العدد من الكروموزمات، و إلا لحدثت الكارثة، و تغير نمو المخلوق و شكله.

و لو كان انقسام الخلية يؤدى إلى أن يأخذ كل قسم من أقسامها نصف الكروموسومات فى الخلية الأم- لأدى هذا إلى كارثة أفدح، و ذلك أن الخلية ستنقرض بعد عدة انقسامات لها.

و لكن ما هو السر الذى نريده من هذه المعلومة ..؟.

السر فى ذلك أن هذه الكروموسومات قد جاءت أيضا أزواجا، فإنك تجد كل زوجين منها متشابهين تمام الشبه، و يكون أحدهما إلى جانب الآخر كالقرين له، و لا سيما فى حالتى اجتماع الأزواج و انقسامها.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۵۷

ففى الإنسان ثلاثة و عشرون زوجا من الكروموسومات، كل زوجين منها متشابهان تماما، إلا الزوج الأخير الثالث و العشرين، فإننا نجد فارقا بينه و بين زوجته، و ذلك بكون أحدهما أكبر من الآخر، و هما الزوجان المسئولان عن تحديد الذكورة و الأنوثة فى الكائن الحى.

و كأن اللّه ميّز بين الذكر و الأنثى حتى على مستوى الصبغيات فى الخلية.

و كل زوج من هذه الأزواج قرين لزوجه و ملازم له.

و عند انقسام الخلية تنقسم هذه الصبغيات، و يعطى كل زوج منها زوجا آخر شبيها له مائة بالمائة، استعدادا للانقسام و التكاثر، فيصير فى الخلية ستة و أربعون زوجا، ليعود العدد بعد الانقسام إلى ثلاثة و عشرين زوجا، و لتستمر مسيرة الحياة .. و يستمر الحفاظ على الأنواع.

ف سُبْحانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

و لكن .. هل هذا هو كل ما فى الأمر من أسرار الأزواج ..؟.

و الجواب على هذا: لا، كما سنراه فى الفقرة القادمة.

۱۷ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۵۸

۴- الزوجية فى الكروموسومات فى الخلية الجنسية

إن الأمر الأكثر إثارة فى أسرار الأزواج فى الكروموسومات فى الخلية، على ما عرفناه فى الفقرة السابقة، هو أن جميع خلايا الجسد عند ما تنقسم تعطى فى كل خلية جديدة نفس العدد من الكروموسومات، فنجد أن كل خلية من خلايا الإنسان تحتوى على ثلاثة و عشرين زوجا من الكروموسومات، أى أنها تحتوى على ستة و أربعين كروموسوما، إلا فى خلية واحدة، و هى الخلية الجنسية، فإنها

عند ما تنقسم نجد أن الخلية الناتجة عنها و المتمثلة فى الحيوان المنوى أو البويضة، لا تحمل ستة و أربعين كروموسوما، و إنما تحمل ثلاثة و عشرين فقط، و كأن الأزواج ينفصل بعضها عن بعض فقط فى هذه الخلية، فى الحيوان المنوى و البويضة ..

لم يكون هذا .. و ما هو السر الكامن وراءه ..؟.

إننا عرفنا أن ازدياد عدد الكروموسومات أو نقصانها فى الخلية يؤدى إلى تغير نوع الحيوان أو انقراضه- على ما فصلناه فى الفقرة السابقة-.

و بناء على ذلك لو أن الخلية الجنسية فى الإنسان انقسمت، و كان الحيوان المنوى يحمل نفس عددها من الكروموسومات، أى كان يحمل ستة و أربعين كروموسوما، و كذلك كانت تحمل البويضة نفس العدد، لكان معنى هذا أنه عند ما يتم الإخصاب و التلقيح بين الحيوان المنوى و البويضة، سينتج معنا خلية مكونة من اثنين و تسعين كروموسوما، و هذه خلية حيوان آخر، و ليست خلية الإنسان، و لكان معنى هذا أن ينقرض النوع الإنسانى من أول حمل تحمل به أنثى.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۵۹

و لذلك اقتضت حكمة اللّه أن الخلية الجنسية إذا انقسمت، يكون الحيوان المنوى المتولد منها حاملا- لنصف أعدادها من الكروموسومات أو الصبغيات، أى أنه يحمل ثلاثة و عشرين كروموسوما فقط، و كذلك البويضة، فإذا ما تم التلقيح أو الإخصاب، كانت الخلية الأولى فى الكائن الحى الجديد أو المولود الجديد تحمل نفس العدد من الكروموسومات التى كانت تحملها الخلية الأصلية للإنسان، أى أنها تحمل ستة و أربعين كروموسوما، و بعد ذلك تبدأ بالانشطار و التكاثر إلى أن يتم تخلق المولود، بل إلى أن تنتهى حياته على المنهج المرسوم لها عند خالقها من الأزل.

و لكن أين سر الأزواج فى هذا؟ ألسنا نتكلم على الأزواج؟.

بلى ... إننا نتكلم عن الأزواج، و السر هنا يكمن فى أن الحيوان المنوى الذى يحمل- كما ذكرنا نصف عدد الأزواج التى كانت تحملها الخلية الجنسية من الكروموسومات- إن هذا الحيوان عند ما يلقح البويضة فى رحم المرأة، و تتكون الخلية الأولى، نجد أن كل كروموسوم من الكروموسومات الثلاثة و العشرين تندفع فى هذه الخلية الجديدة، و كأنها تبحث عن شىء مفقود، و إذا بكل واحد منها يبحث عن زوجه و قرينه الذى انفصل عنه فى الخلية الأساسية، فإذا ما التقيا تلاصقا، كما يتم التلاصق بين كل زوجين فى حياتنا الظاهرة، و كأن أحدهما يدلى للآخر بأسراره، و يطلعه على باطنه، و يتبادل معه المعلومات السرية التى لا يعلمها إلا خالقه، و التى سيتكون منها المولود الجديد.

و هكذا تبدأ الخلية الجديدة عملها و حياتها بعد أن تم فيها تركيب الأزواج و التقاؤها، و تم هيكلها المكوّن من ثلاثة و عشرين زوجا من الكروموسومات، و لتتجلى لنا الآية القرآنية مرة ثانية، مرشدة للإنسانية الحائرة إلى عظمة اللّه و إعجازه فى قرآنه: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

ف «سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

و سبحان الذى أوحى إلى عبده الأمىّ الذى لم يعرف كتابة، و لا قراءة،

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۶۰

و لا- فلكا، و لا- طبّا، و لا- درس تشريحا، و لا- بحث فى خلية، فعلمه ما لم يكن يعلم، و كان فضله عليه عظيما، إذ أوحى إليه بأدق تفاصيل الكون و الحياة، مما كان مستحيلا معرفته له و لأمثاله، و لكل من فى الأرض فى عصره و بعد عصره لأمد طويل، ليجعل من ذلك الوحى معجزة هذا الدين الحنيف.

و صدق رسول اللّه إذ قال: «و كان الذى أوتيته وحيا، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

و لكن سر الزوجية لم ينته عند هذا الحد فى الخلية، و إنما تعداه إلى سر آخر كامن وراءه .. ألا و هو الزوجية فى الجينات.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۶۱

۵- الزوجية فى الجينات وراء الزوجية فى الكروموسومات

إن ما ذكرناه فى الفقرات السابقة عن الكروموسومات التى تحدد نوع الحيوان من إنسان و غيره، و التى كانت سرا خافيا علينا، و التى اكتشفنا فيها الزوجية على النحو الذى بيّناه، قد انقلبت إلى ظاهر بسيط، و لوّحت لنا من باطنها بسر جديد، لم نكن نعرفه، فهو مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

ألا و هو سر الجينات الرهيب، و الذى جاء أيضا زوجين زوجين.

و ذلك أننا لو أخذنا كروموسوما من الكروموسومات، أو صبغيا من الصبغيات الموجودة فى الخلية، و التى كانت زوجا كما ذكرنا، لو أخذنا واحدا منها، و كبرناه آلاف المرات تحت المجهر، لوجدنا أن هذا الصبغى يحتوى على السجلات الوراثية للإنسان، و ذلك فى جينات صغيرة متراصة، تظهر على الصبغى، و يبلغ عددها على الصبغى الواحد عشرات الآلاف.

و بسبب هذه الجينات تختلف ألواننا، و أصواتنا، و أشكالنا، و طبائعنا، و طولنا، و لون شعرنا أو عيوننا، و كل ما يتعلق بأوصافنا، وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ. (سورة الروم: آية ۲۲).

و بسبب هذه الجينات أيضا تنتقل صفات الأجداد إلى الآباء، و صفات الآباء إلى الأبناء، فيحمل كل جيل صفات الجيل السابق، من اللون و الشكل، و الصوت، و الطول، و القصر، و العنف، و البرودة، و غير ذلك من الصفات، أو الأمراض، أو الطبائع.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۶۲

إن كل جينة من هذه الجينات بمثابة السجل السرى الذى يحتفظ فى داخله و بقدرة بارئه، يحتفظ بالخطة السرية لكل ما يتعلق بالإنسان من الأوصاف، و التى سيعبر عنها مع مرور الزمن، و نمو المولود و تكامله.

إن هذه الجينات جاءت كما ذكر القرآن الكريم أزواجا وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

و لكن .. لما ذا جاءت أزواجا، و لم تأت فرادى ..؟.

إنها سنة اللّه القاضية بأن يأخذ الولد صفاته من كلا أبويه، لا من أحدهما، و بناء على ذلك لا بد أن يكون نصفها من الأب و نصفها من الأم، فلو افترضنا جدلا أن الخلية تحتوى على أربعين ألفا من الجينات، فمعنى هذا أن عشرين ألفا منها جاءت من الأب، و العشرين الأخرى جاءت من الأم، فهى تحمل عشرين ألف زوج من الجينات المشتركة، التى تحمل صفات الأب و الأم معا.

ففى بعض الحالات تتفوق الجينة من الأب فى التعبير عن نفسها تعبيرا يفوق جينة الأم، فيكون الشبه فى الولد لأبيه.

و أحيانا تعبّر الجينة من الأم عن نفسها تعبيرا يفوق جينة الأب، فيكون الشبه فى هذه الحالة للأم.

و قد يكون التعبير من قبل الجينتين معا، و فى هذه الحالة يشبه الولد أبويه معا.

و فى بعض الحالات تتنحى الجينة، فلا تعبر عن نفسها فى الجيل الأول، إلا أنها قد تعبر عن نفسها فى الجيل الثانى، أو الثالث، أو الرابع، لتنتقل إليه صفات جده الأعلى.

و هذه هى التى أشار إليها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بقوله: «لعلها نزعة عرق» فى القصة المشهورة بهذا الحديث «۱».

---

(۱) أخرجه البخارى و مسلم.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۶۳

و كما كان الشبه للولد بأبويه من أجل خلق هذه الجينات أزواجا، و اختلاطها فى عملية الإخصاب فى الخلية الأولى أزواجا من الأب و

الأم، كان الاختلاف النسبى فى الشبه أيضا، فإنه من المحال أن تجد إنسانا يشبه إنسانا آخر شبها مطلقا.

و بهذا الصدد تذكر قول عالمى الخلية و الوراثة «وليام ماكلروى» و «كارل سوانسن» فى كتابيهما «البيولوجيا الحديثة لعلم الخلية». إذ يقولان:

إنه لو لم تختلط هذه الجينات الكامنة على الكروموسومات لما اختلف طبائع الناس هذا الاختلاف، و لأصبحت الوجوه فى صورة واحدة، و لركدت الحياة.

ثم ضرب مثلا يوضح عظمة الخالق فى مدى احتمال الشبه المطلق فقالا:

لما كانت الصفات الكامنة على الجينات تختلط أزواجا فى عملية الإخصاب فإن احتمالات عدد مرات الخلط بينها يزيد بزيادة عددها، و لنفرض أن الخلية فى الإنسان تحتوى على ألف جينة أو مورثة- و هو تقدير متواضع، لأن العدد فى الواقع أكبر من هذا بكثير- إننا لو افترضنا هذا لكانت النتيجة أن عدد احتمالات الاخلاط هنا سيكون حصيلة الرقم (۲) اثنين مضروبا فى نفسه ألف مرة، و الحق أن الناتج لا شك سيكون أكبر من عدد الذرات الموجودة فى كل الأكوان بأضعاف مضاعفة.

و بناء على ذلك فإن احتمال مجيء إنسان يشبه إنسانا آخر شبها مطلقا سيكون غير جائز إلا مرة واحدة فى بلايين بلايين بلايين بلايين المرات، و أضف ما شئت من بلايين الاحتمالات، فالرقم أكبر مما تتصوره عقول البشر «۱».

و هذا كله إذا افترضنا أن الخلية تحمل ألف جينة أو مورثة، فكيف يكون الرقم و الاحتمال لو افترضنا أنها تحمل عشرين ألفا، أو أنها تحمل خمسين ألفا ..؟.

---

(۱) الدكتور عبد المحسن صالح سُبْحانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها حلقة ۵ الوعى الإسلامى.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۶۴

إنها الأرقام التى لا تحيط بها عقول البشر، بل و لا تتصورها.

و كأن الجينات وحدها فى هذا العالم تقول لنا: لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى، وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً.

فهل عرفت أخى القارئ السر الباطن الكامن وراء الصبغيات أو الكروموسومات و هو الجينات ...؟

و هل عرفت أنها جاءت كما أخبر اللّه، و اكتشف العلم، جاءت أزواجا أزواجا ..؟.

و هل علمت السر فى كونها أزواجا، و الغاية من الزوجية فيها ..؟.

إذن فردد معى قول اللّه تعالى: سُبْحانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

و لكن سر الزوجية أيضا لم ينته عند هذا الحد فى الخلية، و إنما تعداه إلى سر آخر من ورائه .. ألا و هو سر تكوين الجينة نفسها ..؟؟.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۶۵

۶- الزوجية فى تكوين الجينة نفسها وراء سر مجيئها ازواجا

لقد عرفنا كيف تجلى الزوجان فى الحياة، فى الذكر و الأنثى، ثم فى الحيوان المنوى و البويضة، ثم فى الحيوان المنوى ذاته، إذ كان منه الزوجان المؤنث و المذكر، ثم فى الكروموسومات أو الصبغيات، ثم فى الجينات التى توجد على الصبغيات، و التى تحدد صفات البشر و طبائعهم، و تنقل فى نفس الوقت صفات الأجداد إلى الآباء و الأبناء، و قد رأينا كيف أنها كانت أزواجا، و عرفنا سر مجيئها أزواجا، كما عرفنا الغاية التى من أجلها كانت أزواجا.

و لكن هل انتهى الموضوع عند ذلك ..؟.

إن الحقائق العلمية، و المكتشفات المتتابعة تقول لنا: إن الأمر لم يقف عند هذا.

لقد ذكرت فى بداية الكلام على الأزواج أنها من أعظم أسرار اللّه فى الكون و الحياة، و أن الإنسان لا يكاد يضع يده على سر من أسرارها، متوهما أنه أدرك حقيقته، إلا و ينقلب الأمر عليه، و يصبح ما أدركه أمرا ظاهرا، يحمل فى باطنه سرا آخر، قال اللّه تعالى: وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

إن آخر ما وضعنا أيدينا عليه من الأزواج هو هذه الجينات، التى تصطف على الصبغيات أزواجا أزواجا.

و لكن ما هى حقيقة هذه الجينات ..؟.

و الجواب على هذا أن الجينة الواحدة أيضا قد حملت سرا من الأسرار التى

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۶۶

أدى كشفها إلى إثبات إعجاز القرآن، و إظهار عظمة الخالق، إذ ثبت أنها تتكون من الأزواج أيضا.

و ذلك أن كل جينة من هذه الجينات تعتبر معلومة مستقلة، تعمل لتوريث الكائن الحى صفة محددة.

و عند ما أجرى العلماء الفحوص على هذه الجينات، و جدوا أن الجينة الواحدة تتكون من شريط، قد يفرد، و قد يطوى، فإذا أريد من الشريط أن يقوم بمهمته، و ينفذ خطته الوراثية المرسومة له، انفرد، و استقام، و هو لدقته لا يكاد يرى إذ أن عرضة لا يزيد عن جزءين اثنين من مليون جزء من المليمتر.

فإذا ما انتهى من عمله، طوى نفسه و عاد إلى ما كان عليه على الكروموسوم أو الصبغى، كحبة أو عقدة صغيرة.

لكن هذه الجينة لم تتكون من شريط واحد، و إنما تبين بالفحص و التدقيق أنها على هيئة شريطين اثنين، يلتف أحدهما. على الآخر و يحتضنه كالضفائر المجدولة.

إلا أن الأمر أيضا لم ينته عند هذا ...؟ إذ كثيرا ما تأتى هذه الضفائر أيضا أزواجا .. على شكل زوجين اثنين، و يلتف كل زوجين منها بالزوجين الآخرين .. على أنه قد تتكرر هذه العملية مرة ثالثة فى زوج ثالث.

أخى القارئ .. أ لا ترى أن الأمر قد فاق تصورات العقل، و تجاوز حدود الخيال، و كأن كل شىء فى هذا الكون يقول: سُبْحانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

إن هذه الشرائط التى تتكون منها الجينة، و التى جاءت على شكل شريطين مجدولين، هى التى سجلت عليها الملايين و الملايين من الصفات السرية للكائن الحى، و كأنها كلمة السر فيه، و هى التى حيرت المفكرين و العباقرة و علماء الحياة.

فما هو سر هذه الشرائط التى سجلت عليها الملايين و الملايين من

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۶۷

الصفات، و التى جاءت أزواجا، و ما هى حقيقتها، و هل هى أيضا احتوت على سر آخر من الأزواج فى تركيبها، جاء وراء ظهورها أزواجا ...؟.

الجواب: نعم، و بكل تأكيد، طبقا لقانون اللّه الأزلى: وَ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ كما سنراه فى الفقرة القادمة إن شاء اللّه.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۶۸

۷- الزوجية فى تركيب أشرطة الجينة وراء سر الزوجية

اشارة

لقد عرفنا من بداية بحثنا فى الأزواج إلى الآن أن النطفة و البويضة زوجان، و النطفة ذاتها قد جاءت زوجين، و الصبغيات قد جاءت أزواجا، و الجينات أيضا قد جاءت أزواجا، و الجينة ذاتها قد جاءت على شكل أشرطة ملتفة زوجا أو أزواجا.

و لكن .. ما هى حقيقة هذه الأشرطة، و هل تحتوى هى أيضا فى تركيبها على الأزواج ...؟.

لا شك أن علماء الحياة قبل أن يكتشفوا حقيقتها، كانوا يفترضون أنهم إن وقفوا على حقيقتها، و كشفوا سرها، فإنها لا بدّ أن تكون أزواجا، على ما ذكرناه من أن خلق الأزواج قد أصبح شعارهم، فما من شىء يضعون عليه أيديهم إلا و يجب أن يكون قد جاء زوجا زوجا.

و تابع العلماء جهودهم فى البحث عن حقيقة الجينة و مكوناتها، إلى أن جاء العالمان «جيمس واتسون» المتخصص فى علم البيولوجيا، و «فرنسيس كريك» المتخصص فى علم الفيزياء الكيميائية، و تمكنا عام ۱۹۵۲ من اكتشاف حقيقة الأشرطة التى تتكون منها الجينة، التى بينا أنها جاءت أزواجا على شكل ضفائر مجدولة، أو سلالم حلزونية، ذات درجات متتابعة، بعضها فوق بعض، و التى تحتوى على أسرار الحياة بالنسبة للكائن الحى.

و بهذا الكشف وضعا أيديهما على أعظم سر من الأسرار التى تحمل صفات هذا الكائن الحى العجيب الغريب، المعجز المذهل.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۶۹

و استحقا بناء على ذلك جائزة نوبل، كما استحقها من جاء بعدهما، ممن تابع أبحاثهما.

لقد أثبت هذان العالمان أن هذه الأشرطة التى تحفظ أسرار الحياة و الصفات الخاصة للكائن الحى، أنها تتكون من عناصر الأرض، و ذلك لأن الإنسان خلق منها.

فأثبتنا أن هذه الأشرطة تتكون من أربعة قواعد نتروجينية و هى: «أدنين، و جوانين، و سايتوزين، و ثايمين».

و نحن لا نسوق هذا لنتكلم على التركيب الكيمياوى لتلك الأشرطة التى تحفظ أسرار الحياة.

و لا لنتكلم على حقيقة هذه المركبات التى تتكون منها تلك الأشرطة.

و لكنا نسوق هذا لأمر أعجب و أغرب، يقف أمامه العقل الإنسانى حائرا ذاهلا.

و ذلك أن هذه المركبات لم تأت فرادى أبدا، و إنما جاءت أزواجا، أزواجا، لتقول لكل من يقف على حقيقتها: سُبْحانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ و لتبرهن لكل ذى عقل أن إخبار اللّه لن يتخلف.

فكما أننا عرفنا أن أصغر جسيمات الذرة قد جاء زوجين، كذلك يجب علينا أن نعرف أن مركبات الكائن الحى أو الخلية قد جاءت أيضا أزواجا، ليسير الكون على نظام واحد، و نسق واحد، لأن الخالق المبدع واحد: ما تَرى فِى خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ.

لقد ذهل العلماء حينما رأوا أن هذه المركبات قد جاءت فى كل كائن حى أزواجا.

فالأدنين دائما يتزاوج مع الثائمين، و الجوانين دائما يتزاوج مع السايتوزين.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۷۰

و لا يمكن أبدا أن يتزاوج الآدنين مع الجوانين، و لا الجوانين مع الثائمين، و لا السايتوزين مع الآدنين، و لا الآدنين مع السايتوزين.

كما لا يمكن أبدا أن تختل هذه الأزواج فى أى كائن من الكائنات الحية، و إلا كانت الكارثة الوراثية.

و لم يقف الأمر عند هذا، بل تعداه إلى أن كل واحد من هذه القواعد الأربعة يتصل بسكر خاص اسمه «ريبوز» و هذا السكر يتصل بجزء من الفوسفات ليكون معه أيضا زوجا، و لا يبتعد عنه، و لا ينفصل منه.

و بعد ذلك تتكرر هذه الأزواج فى جزئياتها الوراثية ملايين المرات، و كل واحد منها يعرف مكانه من الخلية كما يعرف زوجه و

طبيعته و نوعه، فيقترب منه، و يرتبط به.

و إذا أردت أخى القارئ أن تعرف المزيد عن هذا فاعلم أن الخليئة الواحدة من جسم الإنسان تحتوى على ثمانية بلايين من هذه القواعد الأربعة، و كلما ولدت خلية جديدة أخذت معها هذا العدد من البلايين، إلا فى الخلية الجنسية- كما ذكرنا سابقا- إذ أن الحيوان المنوى يحمل نصف هذا العدد، أى يحمل فقط أربعة بلايين منها، ليلتقى مع البويضة، التى تحمل نفس العدد، و لتتكون الخلية الأولى، التى تحمل البلايين الثمانية، و بعد ذلك تبدأ الأزواج من هذه القواعد الأربعة بإصدار أوامرها لتتكون الجينة.

و لا يسعنا فى نهاية المطاف فى عالم الأزواج فى الكون و الحياة، و الذى رأينا فيه من خلال مكتشفاتنا و علومنا الحديثة ما يدل دلالة قاطعة على إعجاز القرآن فى مضمار الإخبار عن أسرار الخلق فى أعمق أعماقه، مما كان من المستحيل معرفته على أهل العصر الذى نزل فيه القرآن، و مما لم يعرفه الإنسان إلا فى العصر الحديث، بما طوره من الوسائل البصرية، و توصل إليه من وسائل الكشف و المعرفة، لا يسعنا إلا أن نردد قوله تعالى: سُبْحانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۷۱

الآية التاسع عشرة فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ و الاعجاز فيها

قال اللّه تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (سورة الطارق: آية ۵- ۷).

ما أكثر ما نقرأ هذه الآية الكريمة، و ما أكثر ما نسمعها، و لكن ما أقل ما نعى فيها من الإعجاز القرآنى الذى ينطق بأن هذا الكلام يستحيل أن يكون من كلام البشر، و إنما هو كلام خالق الإنسان و مبدعه، و العالم بسره و علانيته.

و لكى نفهم هذه الحقيقة التى ربما تدق على الأفهام، يجب علينا أن نعرف ما كان يتصوره الناس من العلماء و العامة عن ماء الرجل و المرأة، و عن المكان الذى يتكوّن فيه ماء الرجل، فى زمن نزول القرآن، إلى العصر الحديث، حيث اكتشف الإنسان بوسائله البصرية و العلمية الحقيقة المذهلة التى نطقت بما جاء به القرآن قبل قرون طويلة من الزمن الذى سادت فيه المعلومات الخاطئة عن هذه الحقيقة على ما سنذكره الآن.

فمما كان الناس فى الماضى يعتقدونه أن ماء الرجل يتكون فى ظهره، و أن ماء المرأة يتكون فى ترائبها، و أن الولد يتكون منهما.

فقد أخرج عبد بن حميد، و ابن أبى حاتم، عن ابن عباس، فى قوله:

يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ قال: «صلب الرجل، و ترائب المرأة، لا يكون الولد إلا منهما».

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۷۲

و أخرج عبد بن حميد، عن ابن أبزى، قال: «الصلب من الرجل، و الترائب من المرأة».

و عن عكرمة رضى اللّه عنه، أنه سئل عن قوله: يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ قال: صلب الرجل، و ترائب المرأة، أ ما سمعت قول الشاعر:

و الزعفران على ترائبهاشرقا به اللبات و النحر؟ و مما كان يعتقد أنه يخلق من ماء الرجل، الذى يخرج من صلبه العظم و العصب، و من ماء المرأة الذى يخرج من ترائبها اللحم و الدم، كما روى عن الأعمش «۱».

و مما كان يعتقد أن منى الرجل يخرج من بين صلبه و ترائبه، و كذلك ماء المرأة، على معنى أن ظهر الرجل هو مستودع منيه.

و استدلوا على ذلك بأن المكثر من الجماع يجد وجعا فى ظهره و صلبه، و ليس ذلك إلا لخلو صلبه عما كان محتبسا فيه من الماء «۲».

و مما كان يعتقد أن ماء الرجل ينزل من الدماغ، ثم يجتمع فى الانثيين، قالوا: و هذا لا يعارض قوله: مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ لأنه إن نزل من الدماغ، فإنما يمر من بين الصلب و الترائب.

و لذلك دون فقهاؤنا رضى اللّه عنهم نصوصهم الفقهية بناء على هذا التصور ..

فقالوا: إن كسر صلب الإنسان، و خرج منه المنى، هل يجب عليه الغسل، أو لا يجب؟.

و إن انسد مخرجه الأصلى، و انفتح ما فوق سرته، أو تحتها من ظهره، هل يجب عليه الغسل، أو لا يجب؟.

---

(۱) الدر المنثور: ۶/ ۳۳۶، و القرطبى: ۲۰/ ۶.

(۲) القرطبى: ۲۰/ ۷.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۷۳

إلى آخر ما هنالك من الفروع الفقهية الكثيرة، التى ذكروها، و بنوها على هذا التصور الذى كان قائما عندهم، و الذى ينص على أن الظهر مستودع ماء الرجل، و هو نفس التصور الذى كان شائعا عند جميع أمم الأرض.

و أنا لا- أذكر هذه النقول عن سلفنا- رضى اللّه عنهم- لأجعل من كلامهم وسيلة و مادة للهزء و السخرية، كما يفعل بعض من لا خلاق له، ممن حرم الأدب و الخلق الإسلامى.

و إنما أذكره لأبين ما كان سائدا عندهم من التصورات عن هذا الموضوع، و لا تثريب عليهم بعد ذلك إن أخطئوا فى هذا التصور، فهذا ما تمكنوا من الوصول إليه بما لديهم من وسائل، و ما معهم من علوم و معارف، و الدلالة اللغوية للقرآن تحتمله و لا ترده، و هى الأساس الأول للتفسير بعد الأحاديث و الآثار، و جزاهم اللّه خير الجزاء على اجتهادهم، و المجتهد عندنا يثاب أصاب أم أخطأ.

و إنما أذكر ما أذكره لأبين حقيقة تصورهم و تصور البشر، لمكان ماء الرجل و المرأة، حتى إذا سمعنا من يذكر خلاف هذا، مما يبعد عنه كل البعد، و هو لم يعد تلك البيئة، و ليس لديه سوى تلك المعارف، علمنا أن لا ينطق ما ينطق به إلا بناء على خبرة يقينية بحقيقة الخلق و تركيبهم، و هذا لا يكون إلا من قبل الخالق الحكيم.

لقد نصت الآية القرآنية على أن الماء الدافق يخرج من بين الصلب و الترائب.

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ.

إذن فالقرآن يحدد مكان الماء، و هو فى المكان الواقع بين الصلب: و هو العمود الفقرى، و الترائب: و هى عظام الصدر التى تلى الترقوة، فكيف نوفق بين هذا النص، و بين الحقيقة اليقينية التى لا تخفى على أحد، و هى أن ماء الرجل يتكون فى الخصيتين، كما أن بويضة المرأة تتكون فى مبيضها؟.

۱۸ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۷۴

إنه الأمر الذى سنثبت فيه إعجاز القرآن.

و ذلك أن العلماء أثبتوا بالصور أن الخصية و المبيض إنما يتكونان من الحدبة التناسلية، بين صلب الجنين و ترائبه، ثم بعد ذلك تبدأ الخصية بالنزول تدريجيا حتى تصل إلى كيس الصفن خارج الجسم، فى أواخر الشهر السابع من الحمل.

و ينزل المبيض إلى حوض المرأة، و لا ينزل إلى ما وراء ذلك.

و مع هذا فإن تغذية الخصية و المبيض بالدماء، و الأعصاب، و اللمف، تبقى من بين الصلب و الترائب، حيث أصلها.

فشريان الخصية أو المبيض، يأتى من الشريان الأبهر، و هو (الأورطى البطنى) من بين الصلب و الترائب، كما أن وريد الخصية يصب فى نفس المنطقة.

و كذلك أوردة المبيض و شريانه تصب فى نفس المنطقة، أى بين الصلب و الترائب.

و كذلك نجد أن الأعصاب المغذية للخصية، أو المبيض تأتى من المجموعة العصبية الموجودة تحت المعدة، من بين الصلب و

الترائب.

و كذلك الأوعية اللمفاوية تصب فى نفس المنطقة، أى بين الصلب و الترائب «۱».

فما ذا يستطيع أن يقول أى عالم من علماء الطب و الحياة عند ما يسمع هذه الآية الصريحة: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ.

ما ذا تراهم يقولون عند ما يسمعون هذه الآية التى نزلت فى العصر الذى لم يكن فيه أحد يعرف شيئا عن حقيقة تكون الخصية و المبيض، مع التصورات الساذجة عن مكان ماء الرجل.

ما ذا تراهم يقولون و قد وضعوا أيديهم على الحقيقة العلمية التى جاءت موافقة مائة بالمائة لما نص عليه القرآن.

---

(۱) خلق الإنسان بين الطب و القرآن: ص ۱۱۶.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۷۵

أ تراهم يقولون: إن محمدا كان عبقريا ..؟.

و ما علاقة العبقرية بأدق المكتشفات العلمية التى لا سبيل للعقل المجرد- مهما بلغ من الذكاء و الدهاء- إلى إدراكها، لأنها متوقفة على أدق الوسائل العلمية و البصرية الحديثة ..؟.

أم تراهم يقولون: إنما يعلمه بشر، إذا لكان من الواجب أن يعلمه ما كان سائدا فى عصره ...

إنهم لا سبيل لهم إلا أن يقولوا: إن هذا تعليم خالق الإنسان، و العالم بسره و تكوينه، ليكون كلامه المعجزة الناطقة الدالة عليه حينما يكتشف البشر حقيقتهم التى كانت خافية عليهم، و يعرفون سرهم الذى كان غائبا عنهم.

أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

بلى .. آمنا بك ربنا و سلمنا، لا عن تقليد و إكراه، و إنما عن نظر و علم، من خلال آياتك، و معجزات كتابك.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۷۶

الآية المتمة العشرين إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ و الاعجاز فى الامشاج

لم يكن الناس فى الماضى يعرفون شيئا عن حقيقة بداية خلق الإنسان و تكوينه فى رحم أمه.

أما العرب فهم الأمة الأمية، و لا علم لديهم فى مثل هذه الأمور، و أما الأمم الأخرى التى كانت توجد فيها الفلسفة و الحضارة، فقد كانت تسودها فى مثل هذا الموضوع التصورات الساذجة، و الأفكار البلهاء.

فقد كانوا يعتقدون أن رحم المرأة ليس سوى محضن لذلك الجنين، و شبهوا ذلك بالبذرة تلقى فى الأرض، ثم تنمو فيها، و الرحم كالأرض للبذرة التى هى نطفة الرجل.

ثم جاء أرسطو، أشهر فلاسفة اليونان، قبل الميلاد بأربعة قرون، إلا أن الأمر لم يزدد إلا سوء، رغم أن أرسطو أفرد علم الأجنة ببحث خاص بناه على ملاحظة لكثير من أجنة الطيور و الحيوانات، و خلاصة رأيه فى الأجنة يندرج تحت نظريتين:

الأولى: أن الجنين يكون جاهزا فى ماء الرجل، فإذا دخل الرحم، انعقد و نما كما تنمو البذرة فى الأرض.

و الثانية: أن الجنين يتخلق من دم الحيض، حيث يقوم المنى بعقده، و يكون عمله كعمل الإنفحة باللبن إذ تعقده جبنا، و ليس للمنى فى إيجاد الولد دور قط سوى المساعدة كدور الإنفحة.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۷۷

و قد اختار أرسطو هذه النظرية الثانية التى لم تسلم من الهجوم و النقاش من أصحاب النظرية الأولى و مؤيديها.

و بقى هذا النقاش محتدما بين أنصار النظريتين حوالى ألفى سنة دون أن يطرأ على الموضوع أى جديد.

إلى أن اخترع المجهر، حيث تمكن «هوك» و زميله «هام» باكتشاف الحيوان المنوى فى منى الإنسان سنة ۱۷۶۷.

و تمكن العالم «جراف» من اكتشاف حويصلة البويضة التى ما زالت تدعى باسمه إلى اليوم «حويصلة جراف».

إلا أن أحدا لم يتمكن من إدراك دور كل واحد من المنى و البويضة فى تخليق الجنين.

و استمر الأمر على ما كان عليه، و استمر فيه النزاع و الصراع الفكرى مع التقدم البطىء جدا.

ففى عام ۱۸۳۹ قدم «شليدن» و «شوان» نظريتهما المتعلقة بالخلية.

و فى عام ۱۸۵۹ عرف العلماء أن الحيوان المنوى ليس إلا خلية حية، و كذلك البويضة.

و فى عام ۱۸۷۵ تمكن «هيرتوج» من اكتشاف تلقيح الحيوان المنوى للبويضة، و أن الجنين يتكون منهما.

و فى عام ۱۸۸۳ تمكن «باندن» من إثبات اكتشاف سابقة «هيرتوج» و أن كلا من البويضة و الحيوان المنوى يساهمان بالتساوى فى تكوين البويضة الملقحة، كما أثبت «بوقرى» عام ۱۹۰۹ الكروموسومات و انقسامها و خصائصها.

و فى عام ۱۹۱۲ تمكن «مورجان» من اكتشاف الجينات و عملها.

و هكذا بقى العالم يتخبط قرونا طويلة فى أمر الجنين و تكوينه، إلى أوائل القرن العشرين. حيث تمكن العلماء من اكتشاف الخلية الأولى المتكونة من

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۷۸

البويضة الملقحة بالحيوان المنوى، حيث تختلط فيها الكروموسومات مكونة الخلية الأمشاج «۱».

إذن فلم يكن فى الزمن الذى نزل فيه القرآن على محمد صلّى اللّه عليه و سلّم أية أثارة من علم حول موضوع تكوين الجنين.

و لو أراد محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، بل كل من فى الأرض أن يتكلموا عن الموضوع، لما تكلموا فيه إلا بمعارف أهل العصر، على النحو الذى قدمناه.

و لكننا وجدنا القرآن، فى خضم هذا التيار العاتى من الأفكار الساذجة الخاطئة عن بداية تكوين الجنين، وجدناه يطرح فكرة جديدة فى تكوينه، بعيدة كل البعد عن تصورات أهل العصر الذى نزل فيه، بل تخالف معتقدات البشر إلى ما بعد نزوله بثلاثة عشر قرنا.

وجدنا القرآن يطرح معلومة جديدة حول تكوين الإنسان فى الرحم، بعيدة كل البعد عن أفكار العصر، و خلاصتها:

ان الجنين يتكون من نطفة أمشاج- أى مختلطة- من ماء المرأة و الرجل، فقال تعالى: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ، فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً.

و المراد بالنطفة: الجنس الشامل لماء المرأة، و ماء الرجل، أو للبويضة و الحيوان المنوى.

و الأمشاج: هى الأخلاط المتكوّنة من ماء المرأة و ماء الرجل، و يصير المعنى من نطفة مختلطة من ماء المرأة و ماء الرجل.

و هذا ما فهمه سلفنا رضوان اللّه عليهم، لا عن علم و تجربة و اكتشاف، و لكن عن إيمان بمضمون كتاب اللّه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و هو الذى اتفق عليه المفسرون أيضا، من القدماء و المحدثين.

---

(۱) خلق الإنسان بين الطب و القرآن ص ۱۸۳ بتصرف.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۷۹

فقد روى عن ابن عباس أنه قال: مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ قال: من ماء الرجل و ماء المرأة، حيث يختلطان، و قال: هو نزول الرجل و المرأة يمشج بعضه ببعض.

و روى عن الحسن البصرى أنه قال فى الآية: مشج ماء الرجل بماء المرأة، فصار خلقا.

و روى عن الربيع بن أنس أنه قال: إذا اجتمع ماء الرجل و ماء المرأة، فهو أمشاج.

و قال الإمام الطبرى فى تفسيره للآية: إنا خلقنا ذرية آدم من نطفة، يعنى: ماء الرجل و ماء المرأة، و قوله: أَمْشاجٍ يعنى: أخلاط، و أحدها مشج و مشيج، يقال منه: إذا مشجت هذا بهذا خلطته، و هو مشوج به، و مشيج: أى مخلوط، ثم قال: و هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة.

و هذا الذى قاله ابن عباس، و الحسن، و الربيع، و الطبرى، هو ما قاله جميع المفسرين مما فهموه من الآية ..

فما ذا يا ترى يقول علماء الأجنة فى القرن العشرين، و قد أرهقهم البحث عن حقيقة بداية تكوين الجنين ما يزيد عن ألفى عام حتى وصلوا إلى هذا الذى أخبر عنه القرآن قبل أربعة عشر قرنا، و كان موافقا تماما لما اكتشفوه ...؟!.

ما ذا تراهم يقولون و هم يعلمون أن زمن نزول القرآن لم يكن أحد من أهل الأرض يعلم أية حقيقة علمية عن بداية تكوين الجنين، و أن ما كان يعلمه البشر، كانت معلومة ساذجة خاطئة؟! ما ذا تراهم يقولون حينما يجدون أن نهاية مطافهم هى كشفهم للحقيقة القائلة بأن بداية خلق الجنين هى الخلية الأولى المتكونة من اختلاط الحيوان المنوى بالبويضة لتتكون الخلية الأولى الممشوجة منهما، و هو عين ما أخبر عنه القرآن تماما، فى قوله تعالى: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۸۰

إنه لا يسع أحدا من أهل الأرض ممن يعرف هذه الحقيقة إلا أن يقول:

آمنا بك ربنا، و سلمنا أن هذا الكلام لم يكن ليخرج إلا منك، لأنه إخبار عن أمر يستحيل أن يعرفه فى ذلك الزمان إلا أنت ...

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۸۱

الآية الحادية و العشرون يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ، ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ و الاعجاز فيها

قال اللّه تعالى: يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ، ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ (سورة الزمر: آية ۶).

و لقد بيّنا فى الفقرة الماضية كيف أن الناس من قبل الإسلام إلى أوائل القرن العشرين كانوا يجهلون جهلا تاما حقيقة تكوين الجنين، ثم تبين لهم بعد ألفى سنة من البحث و الدرس أن ما أخبر به القرآن هو اليقين الذى وصلوا له، و آمنوا اليوم به.

و ما ذكرناه عن بداية تكوين خلق الإنسان، من حيث الجهل به نقوله و بكل بساطة عن جميع المراحل التى يمر بها الجنين .. ما لم يعرفه العالم إلا فى كشوفاته المعاصرة، فى العصر الحديث.

و لكن المذهل فى الأمر ليس هذا، و إنما هو أنهم وجدوا أن ما وضعوا عليه أيديهم كان هو بذاته عين ما أخبر عنه القرآن قبل أربعة عشر قرنا.

لقد أخبر اللّه فى هذه الآية أن الجنين يمر فى خلق من بعد خلق، فى ظلمات ثلاث ...

و لكن ما هى هذه الظلمات التى ذكرت فى القرآن ..؟.

لم يكن الناس فى الماضى على معرفة بحقيقة هذه الظلمات، و لذلك

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۸۲

فسروها حسب مقتضيات اللغة و مدلولاتها، مع ما هو معروف لديهم بالبداهة عن مكان الجنين، و هو البطن، و الرحم، و المشيمة.

فقالوا: الظلمات الثلاث المذكورة فى الآية هى: ظلمة البطن، تليها ظلمة جدار الرحم، ثم تليها ظلمة المشيمة المحيطة بالجنين.

و هذا تفسير سليم من جهة اللغة تماما، و أيضا هو سليم من حيث الواقع، فالجنين فعلا يكون فى هذه الظلمات.

إلا أن المعلومات الحديثة عن أوعية الجنين، التى أظهرتها الكشوف الحديثة، تعطينا معنى جديدا للظلمات الثلاث، تظهر فيه قدرة اللّه و عظمته فى الخلق و التكوين.

و ذلك أن الجنين يكون محاطا بثلاثة أغشية تحيط به من كل جانب، و كل غشاء من هذه الأغشية يقوم بدور لا يقوم به الغشاء الآخر. الأول، غشاء السلى، أو غشاء الأمنيون، و يدعى بالغشاء الباطن، لأنه يحيط بالجنين من كل جانب، و هو عبارة عن كيس غشائى رقيق، يحتوى سائلا- يزداد مع نمو الجنين، و يقوم على تغذيته و حمايته من الصدمات، كما يسمح للجنين بالحركة، و يحتفظ له بالحرارة الثابتة، إلى جانب فوائد أخرى، و لا سيما أثناء الولادة.

و هذه هى الظلمة الأولى.

و أما الغشاء الثانى: فهو غشاء الكوريون، و يكون محيطا بالغشاء الأول، و طبقته الخارجية بها زغابات و خملات كثيرة، تنتقل بواسطتها الأغذية و الأوكسجين من الأم إلى الجنين، كما ينتقل غاز ثانى أوكسيد، الكربون و البولينا من الجنين إلى دم الأم.

و هذا يشكل الظلمة الثانية.

و أما الثالث: فهو الغشاء الساقط، و يحيط بالغشاء الثانى، و من ثم بالجنين من كل جانب، و هو مكوّن من الغشاء المخاطى المبطن للرحم، و هو رقيق، إلا أنه ينمو نموا سريعا بتأثير هرمون الحمل.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۸۳

و هذا يشكل بدوره الظلمة الثالثة.

و بهذا نكون قد وقفنا على معنى آخر للظلمات الثلاث التى يكون فيها الجنين، و هو معنى جديد ما كان الإنسان القديم يعرف عنه شيئا، و قد جاء موافقا لإخبار القرآن، ليضيف به معجزة جديدة لمعجزات القرآن العلمية التى أخبر عنها قبل أربعة عشر قرنا من الزمان ..

يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ، ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۸۴

الآية الثانية و العشرون إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً، كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ و الاعجاز فيها

قال اللّه تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً، كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ (سورة النساء: آية ۵۶).

لقد قرأ أسلافنا رضوان اللّه عليهم هذه الآية، و فهموها فهما سليما، مطابقا لمدلولها اللغوى، الذى يجب أن يكون أولا و أخيرا الحكم فى تفسير كتاب اللّه، فقالوا: معنى الآية أنه كلما احترقت جلودهم و نضجت بدلناهم بجلود أخرى غيرها، لتحترق هذه الجلود ثانية، و يعود العذاب.

فقال مقاتل: تأكل النار جلودهم كل يوم سبع مرات.

و قال الحسن: تأكل النار جلودهم كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا، فعادوا كما كانوا.

و قال ابن عمر: إذا احترقوا بدلت لهم جلود بيض كالقراطيس.

و لكن لما ذا تبدلت جلودهم بجلود غيرها ..؟.

و لما ذا كان التبديل خاصا بالجلود؟.

و لم قال تعالى عقب هذا لِيَذُوقُوا الْعَذابَ؟.

أو ما كان من الممكن أن يذوقوا العذاب باحتراق لحمهم و عظامهم؟.

أسئلة ما كانوا يستطيعون الإجابة عنها، لأنهم لم يكونوا على علم بالعلاقة

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۸۵

الكائنة بين الجلد و العذاب، مما عرفناه نحن اليوم، و كان تصورهم أن الجلد يألم بسبب احتراقه، أو أن النفس تألم بسبب احتراق الجلد، و لكن لم ..؟ لا يدرون.

و لذلك أثار الفلاسفة أمام المسلمين مسألة من مسائلهم التى جعلوها شبهة لنفى حشر الأجساد يوم القيامة- فيما كفروا به من قولهم: إن اللّه يحشر الأرواح دون الأجساد.

فقالوا: كيف يجوز أن يبدل جلد كان يتلذذ بالمعاصى فى الدنيا بجلد آخر ما كان يتلذذ بها ..؟ فكيف يجوز أن يعذب هذا الجلد الجديد بدلا عن الجلد القديم؟!.

و قد أجاب السلف رضوان اللّه عليهم بأجوبة متعددة تتفق فى نتيجتها مع الحقيقة العلمية التى يعرفها العلماء و المعاصرون.

و لكن الفرق بين المعرفتين أن معرفة أسلافنا رضوان اللّه عليهم كانت مبنية على إخبار القرآن و تعليله، فيه إجابة نظرية، مبنية على الإيمان باللّه.

بينما إجابة العلماء اليوم مبنية على التجربة و الكشف، فهى إجابة عملية تجريبية.

و ذلك كاعتقاد سلفنا بأن الماء يحترق، و ذلك لإخبار القرآن عن احتراقه، كما أسلفنا فى هذا الموضوع، و لكن لما ذا؟ ما كانوا يدرون و العلماء المعاصرون يعتقدون أيضا أن الماء يحترق، و لكن ليس من إخبار القرآن، و إنما من كشفهم لحقيقة الماء و تركيبه.

فما جاء به العلم الحديث، فيما خاض القرآن فيه، أو أشار إليه، لم يكن علما جديدا بالنسبة للمسلمين، و إنما كان تصديقا لما تعلموه من كتاب اللّه، و كشفا للعلة و السبب الذى من أجله كان إخبار القرآن، ليثبت العلم بذلك إعجاز القرآن.

فقالوا رضى اللّه عنهم فى جواب الفلاسفة: إن ألم العذاب إنما يصل إلى

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۸۶

الإنسان الذى هو غير الجلد و اللحم، و إنما يحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم العذاب، فأما الجلد و اللحم فلا يألمان، و بناء على ذلك يستوى الأمر بالنسبة للكافر، أعيد إليه جلده السابق، أم جلد آخر سواه «۱».

قالوا: و الدليل على هذا أن اللّه تعالى قال: لِيَذُوقُوا الْعَذابَ فالمقصود تعذيب الأبدان، و إيلام الأرواح، و لو أراد الجلود لقال: ليذقن العذاب «۲».

و إننا فى هذا العصر الذى وضعنا فيه أيدينا على الكثير مما كان مجهولا للبشرية قديما، فى جانبى الكون و الحياة .. لا نستطيع أن نقول غير هذا.

و لكننا نستطيع أن نعلله، و التعليل الذى عرفناه كان عين ما أخبر عنه القرآن.

و ذلك أن النهايات العصبية الملتصقة بالجلد هى التى تنقل ما تحسه من الحرارة و البرودة و غير ذلك إلى المخ، الذى لا يلبث أن يصدر أوامره إلى الأطراف، بناء على ضوء المعلومات المنقولة إليه.

و على سبيل المثال إذا قربنا إلى الجلد شيئا حارا، فإن ثلاثين ألفا من الخلايا الملتقطة للحرارة تحس بهذه العملية، و ترسلها فورا إلى المخ، و بناء على ذلك نحس بالألم، فإذا ما احترق الجلد، و احترقت هذه الخلايا الملتقطة للحرارة، انقطع الاتصال، و فقد الإحساس بالألم إجمالا.

إذن فالجلد بما يحتويه من الخلايا العصبية الناقلة للحرارة، هو السبب الذى نحس به بألم الحرارة .. و لذلك كان لا بد من وجود الجلد، لنحس بآلام الحرق.

من أجل هذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يتجدد جلد الكافر، و أن يرجع كما كان من أجل أن يستمر شعوره بألم الحرق و عذابه، على أكمل وجه و أتمه.

---

(۱) تفسير الماوردى: ۱/ ۳۹۹.

(۲) القرطبى: ۵/ ۲۵۴.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۸۷

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً، كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ.

فقوله تعالى: لِيَذُوقُوا الْعَذابَ واضح كل الوضوح فى التعليل العلمى الذى ذكرناه، مما يدلنا دلالة صريحة على أن هذا الكلام إنما هو كلام خالق الإنسان و مبدعه، و ليس من كلام البشر، و إلا فما كان فى ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن من المعارف و العلوم ما يمكنهم من الكلام على هذه الحقائق العلمية التى لم يعرفها الإنسان إلا فى العصر الحديث.

إن الآيات التى تتعرض لمثل هذه الحقائق فى الحياة كثيرة، و لم يحدث أبدا أن أثبت العلم تخلف القرآن فى خبر واحد من هذه الأخبار، بل إن كل ما جاء به العلم الحديث كان إثباتا لصدق ما أخبر عنه القرآن تماما، ليدل كل عاقل على أن هذا الكلام إنما هو كلام اللّه.

إن أعظم عباقرة الدنيا، فى شتى مجالات العلم و المعرفة، مع ما لديهم من وسائل علمية للكشف و الإدراك ليكتبون و يؤلفون، و لكن لا- تلبث الأيام إلا- قليلا- حتى تكشف عن كثير من الأخطاء فى كتاباتهم و مؤلفاتهم، بسبب تطور العلوم، و الوقوف على المزيد من الأسرار، و هذا لم يخل منه كتاب على وجه الأرض، إلا القرآن، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و الذى لا تزيده العلوم و المكتشفات إلا قوة و ثباتا، و لا تظهر فيه إلا الإعجاز، ليبقى التحدى للإنسان قائما إلى يوم القيامة، و ليبقى العجز الإنسانى عن تحدى القرآن أيضا إلى يوم القيامة.

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً.

وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً.

كما أن الإنسان إذا أراد أن يتكلم فإنما يتكلم بلغة معارفه، و إذا أراد أن يعمل، فإنه يعمل حسب طاقته، فإذا ما وجدنا طفلا صغيرا ما كاد يجيد النطق بعد و إذا به فجأة يتكلم بعدة لغات عالمية يعجز الإنسان عن تعلمها خلال

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۸۸

الدهر الطويل .. إننا حينما نجده، و هو لم يجد النطق بعد، حينما نجده ينطق بهذه اللغات، فإننا نستغرب هذا، و ننسبه إلى أمر وراء الطبيعة، و تكثر حوله الأساطير و الخرافات، و يتناقل خبره العلماء التجريبيون، و الفلاسفة النظريون، و العامة و الخاصة، مع علمنا بأن الناس حوله يتكلمون بهذه اللغات التى نطق بها، و أمر تعلمها له ليس بمستحيل، و لكنه بعيد كل البعد عن الطاقات البشرية المعتادة عند طفل صغير، و لذلك كان مثل هذا مستغربا منه.

فما ذا نقول إذا سمعنا أميا فى وسط جزيرة العرب، لا- يعرف قراءة و لا- كتابة، و لم يطالع كتب فلك، و لا طب، و لا هندسة، و لا علوم، و مع ذلك ينطق بالقوانين العلمية فى شتى مجالات العلم و المعرفة، و فيما لم يكن معروفا فى زمنه أبدا، و لا ينطق به من الناس أحد- و بعد القرون الطويلة المتعددة تأتى العلوم الحديثة لتثبت كل ما قاله حرفا حرفا.

لا شك أننا نقطع بأن هذه القوانين التى قالها، و تلك الكلمات التى رددها، لم تكن من صنعه و لا اجتهاده، لأنها لم تكن معروفة فى أهل الأرض، و إنما هى قول خالق الكون و الإنسان العارف بما خلق، ليجعل من هذا الكلام معجزة علمية دالة عليه و مشيرة إليه، أ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ..؟.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۸۹

خاتمة

إن هـذا الـذى ذكرنـاه من الآيـات القرآنيـة التى ظهر فيهـا الإعجـاز العلمى لكل ذى سـمع و بصـر، لا شك أن الإعجاز فيها ليس على مستوى واحـد من الظهور، بـل هو متفـاوت، إلا أن أدنى درجاتها يكاد ينطق بالإعجاز، و يـدل على أنه من كلام اللّه، و يعتبر صـرخة مدويـة فى عصـر المـادة و الإلحـاد يهز كيـان الإنسـان المادى فى أعماقه ليلفت نظره إلى خالقه .. فى عصـر خبت فيه جـذوة الروح، و اضمحلت معانى الغيب و الإيمان.

و إنى لأعتقـد أن كـثيرا من المـاديين الملحـدين اليـوم لو أتيـح لهم أن ينظروا فى كتـاب اللّه على هـذا النحو الـذى ذكرنـاه من وجوه الإعجاز العلمى فيه لما وسعهم إلا أن يعلنوا إيمانهم بالخالق العليم الحكيم .. كما فعل كثير من المنصفين.

فنحن اليوم إذن فى أشد الحاجة إلى الوقوف على كل معنى من معانى كتاب اللّه مما له صلة بالعلوم من قريب أو بعيد، لنخاطب العالم بلغته التى يعرفها، و مناهجه التى رسمها.

و إن هذا الذى ذكرناه من الآيات ليس كل ما فى القرآن الكريم من الآيات التى يظهر فيها الإعجاز العلمى، و إنما هو بعضها، يتم فيها أحدنا- نحن المهتمين بالدعوة إلى هذا الدين- يتم فيها أحدنا طريق الآخر، لتبقى مسيرة الدعوة قوية، و يبقى الاهتمام بالنظر فى آيات القرآن الكريم قائمـا عنـد كـل مسـلم، بـل عنـد كـل عارف بحقيقـة كتاب اللّه، كما يفعل كثير من العلماء و الباحثين اليوم، و يسـتنبط الجميع منه أسرار الكون و الحياة، وراء معنى التعبد الذى تعبدنا به اللّه تعالى- نحن المسلمين- بتلاوته و تدبره و العمل بأحكامه.

۱۹ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۹۰

و لا نـدرى ما ذا تحمله لنا الأيام فى طياتها، فى بحار العلوم و المعارف المعاصـرة، مما سـيكشف لنا الكثير و الكثير من وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم فى شتى مجالات العلم و المعرفة.

فـإن فى القرآن لكثيرا من الآيـات التى تشـير إشـارات خفيـة إلى معان يقف الإنسان إزاءها حائرا، يجـد فيها العديـد من الاحتمالات و الكثير من المعانى، و كأنها تلوح من خلالها بوارق معرفة جديدة ربما غيرت مسيرة العلم، و بدلت كثيرا من مناهج الحياة.

و إن شئت أخى القارئ فتساءل معى عن سر الأرضين السبع التى أشار إليها القرآن فى قوله تعالى:

اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَـبْعَ سَماواتٍ، وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ، يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ، وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماً (سورة الطلاق: آية ۱۲).

و عن سر نقصان الأرض من أطرافها فى قوله تعالى: أَنَّا نَأْتِى الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها.

و عن سر سد يأجوج و مأجوج، و عن سر القوم أنفسهم، الذى أشار إليه القرآن بالتفصيل فى سورة الكهف.

و عن سر القسم بكـثير من المخلوقـات، من الثمـار، و الجمـادات، و غير ذلـك، إلى آيـات كثيرة فى هـذا المعنى لاـ أريـد الإسـهاب بذكرها.

إننـا متعبـدون حتى الآن بفهمها حسب قواعـد اللغـة، و ما نقل إلينا من آثار عن السـلف رضوان اللّه عليهم فى فهمها، و نحن نؤمن بها حسبما هو مفهوم من ظاهرها بناء على القواعد المسلمة فى التفسير.

و لكننى على يقين بـأن العلوم سـتكشف لنـا عن كـثير من الأسـرار و الخفايـا التى لاـ نعلمهـا، لاـ تنفى المعنى المفهوم من ظاهرهـا بل تكشف لنا عن سر معنى جديد كان خافيا علينا، يظهر فيه الإعجاز القرآنىّ بأوضح صورة و أدقها، لتثبت

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۹۱

التطورات العلميـة إلى قيام الساعـة أنها فى نهايـة مطافها لا تجد بدا من الإذعان لإعجاز القرآن فإن خالق القانون العلمى، و المخبر عنه فى القرآن الكريم واحـد، ألاـ و هـو اللّه الـذى أتقن كـل شـىء خلقه، مـا تَرى فِى خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفـاوُتٍ، أَ لاـ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۲۹۳

اکذوبة الإعجاز العددی فی القرآن الکریم

اشارة

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۲۹۵

مقدمة

إننا و قبل أن نترک الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم، و الذی اکتفینا فیه بما أوردناه من الآیات عما لم نورده منها، إننا و قبل أن نترکه یجدر بنا أن نعرج علی أمر مهم له مساس بالعلوم المعاصرة، و مکتشفات العصر، ألا و هو الإعجاز العددی فی القرآن الکریم، و الذی صارت له شهرة و رواج لا- یخفیان علی أحد، حتی صار یتردد فی کل مجال، و من المؤسف أنه صار یردده بعض الدعاة مستسلمین لما فیه من الأوهام و الأکاذیب، التی زعمها صاحب الفکرة رشاد خلیفة، دون أن یکلفوا أنفسهم مشقة البحث فیها و التمحیص لها.

قاعدة عامة فی التفسیر:

و قبل الدخول فی الموضوع، و بیان ما فیه من حق أو باطل، یجب علینا أن نبین القاعدة الهامة التی یجب علی کل من یخوض فی القرآن الکریم أن یرجع إلیها، سواء أ کان یرید أن یخوض فی تفسیره، أم یرید أن یستنبط منه الأحکام، أم یرید أن یظهر فیه الإعجاز، أم یرید أن یخوض فی أی جانب من جوانبه الکثیرة- یجب علی کل أحد یرید شیئا من هذا أن یلتزم هذه القاعدة ...

و هی أن اللّه قد أنزل کتابه الکریم بلغة العرب، و تعبدنا نحن المسلمین عربا کنا أم من غیر العرب- تعبدنا أن نفهم القرآن بناء علی قواعد لغة العرب التی أنزله بها، و بناء علی مفهوم مدلولاتها.

فقال تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (سورة یوسف: آیة ۲).

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۲۹۶

و قال جلّ و علا: قُرْآناً عَرَبِیًّا غَیْرَ ذِی عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ (سورة الزمر: آیة ۳۹).

و قال: وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ، عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ، بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ (سورة الشعراء: آیة ۱۹۵).

و الآیات فی هذا أکثر من أن تحصر، و أشهر من أن تذکر، و کلها تدل علی أن القرآن نزل بلغة العرب، و لا دخیل من غیرها فیه.

و بناء علی ذلک، فإننا یجب علینا أن نفهم القرآن من خلال قواعد لغة العرب التی نزل بها، و لا یجوز لنا العدول عنها، مهما کانت الظروف و الأحوال.

و لذلک وجدنا أن نبینا علیه الصلاة و السلام، و أصحابه من بعده، و أمته من بعد أصحابه، إلی یومنا هذا، بل إلی یوم القیامة، قد فهموا هذا الکتاب علی هذه القواعد و کانوا إذا بیّنوه بینوه بناء علیها.

فإذا ذکر اللّه تعالی لنا البقرة فی سورة البقرة، فی قوله تعالی: وَ إِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً فهمنا منها أنها البقرة المعروفة، و هی الحیوان الألیف اللبون ذو القرون.

و من فهم من البقرة غیر هذا الفهم، و زعم أنها نوع من أنواع العصافیر- کما زعمه بعض المحرفین لکتاب اللّه- فإنه لا شک بأن فهمه هذا خطأ و ضلال و انحراف، و إلحاد فی آیات اللّه، یلزم منه الکفر، لأنه عبث بکتاب اللّه، و تفسیر باطنی خارج عن قواعد اللغة، و

مدلولات الخطاب، و المتبادر من معانى الألفاظ.

و من فهم من المسجد الأقصى، المذكور فى قوله سبحانه: سُبْحانَ الَّذِی أَسْری بِعَبْدِهِ لَیْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی من فهم منه مسجدا آخر غير المسجد المعروف فى القدس، و الذى يعرفه كل مسلم- كما فهمه بعض المحرفين لكتاب اللّه أيضا، فإنا نقول فيه ما قلناه فيمن فهم العصفور من البقرة.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۹۷

و هكذا نطرد القول فى كل من حاول تحريف آيات القرآن بإعطائها معنى جديدا غير المعنى المفهوم منها حسب لغة العرب و قواعدها.

من أجل هذا الزم العلماء قديما و حديثا ألزموا من فهم من الكلام غير مدلوله العربى- ألزموه الكفر و الإلحاد.

و ذلك لأنه لو كان يجوز للإنسان أن يفهم من القرآن و من الكلام ما يروق له، مما يتفق مع شهواته و أهوائه، دون ضابط لغوى، أو قاعدة سليمة، لأدى هذا إلى تحريف القرآن، و تبديل الدين، و تغيير الأحكام و اضطراب المعارف، و تزييف الحقائق، و تسفيه العقول، و لجعل الإنسان سوفسطائيا مجنونا، بدلا من أن يصير عالما عاقلا.

تجنب العلماء وردهم لكل ما كان فيه بعد من المعانى:

و لهذا الذى ذكرناه، حرص علماؤنا سلفا و خلفا على تجنيب القرآن كل ما من شأنه أن يؤدى فى نهاية الأمر إلى البعد عن مدلولاته العربية، و الانحراف عن معانيه الأصلية، سدا للذرائع، و درء للمفاسد، و طردا لباب الانضباط فى دائرة المعانى التى وضعت لها لغة العرب، و دلت عليها.

و من أجل هذا رد العلماء كل تفسير فيه تكلف أو بعد، و لو كان معقولا.

من ذلك ما ذكره بعض المفسرين من المعانى المتكلفة فى البسملة، كقول بعضهم فى كلمة بِسْمِ من بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إذ قال:

الباء: بهاء اللّه، و بركته، و بره، و بصيرته.

و السين: سناؤه، و سموه، و سيادته.

و الميم: مملكته، و مجده، و منّه.

و قال بعضهم: إن الباء تعنى: أنه برىء من الأولاد، و السين: سميع الأصوات، و الميم: مجيب الدعوات.

و قال بعضهم: إن الباء تعنى: بارئ الخلق، و السين: ساتر العيوب، و الميم تعنى: المنان.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۲۹۸

قال الإمام أبو الحسن الماوردى بعد أن ساق هذه الألفاظ التى أبعدت فى التكلف، و التنطع، و التحكم فى المعانى، قال رحمه اللّه: و لو لا أن هذا الاستنباط يحكى عمن يقتدى به فى علم التفسير- لرغب عن ذكره، لخروجه عما اختصّ اللّه تعالى به من أسمائه.

لكن قاله متبوع، فذكرته مع بعده، حاكيا لا محققا «۱».

و لهذا نظائر كثيرة، سنقف على بعضها فى الفقرات القادمة، على أن المنهج الباطنى فى التفسير كله على هذا المنوال.

التفسير بالأرقام منهج باطنى يهودى قديم:

اشارة

هذا و إن مسألة التفسير الباطنى، و التفسير بالأرقام، و جعل الألفاظ القرآنية رموزا ظاهرة لمعان باطنة، ليست جديدة، و إنما هى قديمة

قدم الإسلام، و قدم الحركات الهدامة التى نشأت فيه.

و إن من المعروف لدينا جميعا أن اليهود هم أول من حاول التفسير بالأرقام.

فقد أخرج ابن إسحاق، و البخارى فى تاريخه، و ابن جرير الطبرى فى تفسيره، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد اللّه بن رباب قال: مر أبو ياسر بن أخطب برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و هو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ فأتى أخاه حيى بن أخطب فى رجال من اليهود فقال: تعلمون و اللّه لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه: الم ذلِكَ الْكِتابُ.

فقالوا، أنت سمعته؟.

قال: نعم، فمشى حيى فى أولئك النفر إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقالوا: أ لم تذكر أنك تتلو فيما أنزل عليك: الم ذلِكَ الْكِتابُ؟.

قال: بلى.

قالوا: قد جاءك بهذا جبريل من عند اللّه؟.

---

(۱) تفسير الماوردى: ۱/ ۵۱.

قال: نعم.

قالوا: لقد بعث اللّه قبلك أنبياء، ما نعلمه بيّن لنبى لهم ما مدة ملكه، و ما أجل أمته غيرك.

فقال حيى بن أخطب، و أقبل على من كان معه: الألف واحدة، و اللام ثلاثون، و الميم أربعون، فهذه إحدى و سبعون سنة، أ فتدخلون فى دين نبى إنما مدة ملكه، و أجل أمته إحدى و سبعون سنة ..؟

ثم أقبل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: يا محمد، هل مع هذا غيره؟.

قال: نعم.

قال: ما ذاك؟.

قال: المص.

قال: هذه أثقل و أطول، الألف واحدة، و اللام ثلاثون، و الميم أربعون، و الصاد تسعون، فهذه مائة و إحدى و ستون سنة.

هل مع هذا يا محمد غيره؟.

قال: نعم.

قال: ما ذا؟.

قال: الر.

قال: هذه أثقل و أطول، الألف واحدة، و اللام ثلاثون، و الراء مائتان، فهذه إحدى و ثلاثون و مائتا سنة.

فهل مع هذا غيره؟.

قال: نعم المر.

قال: فهذه أثقل و أطول، الألف واحدة، و اللام ثلاثون، و الميم أربعون، و الراء مائتان، فهذه إحدى و سبعون سنة و مائتان.

ثم قال: لبس علينا أمرك يا محمد، حتى ما ندرى أ قليلا أعطيت أم كثيرا.

ثم قاموا، فقال أبو ياسر لأخيه حيى و من معه من الأحبار: و ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد، إحدى و سبعون، و إحدى و

ستون و مائة، و إحدى و ثلاثون و مائتان، و إحدى و سبعون و مائتان، فذلك سبعمائة و أربع و ثلاثون.

فقالوا: لقد تشابه علينا أمره «۱».

فهذا واضح صريح فى محاولة اليهود لفهم فواتح السور، فهما حسابيا رقميا، يستدلون به على أمر باطنى، لا تدل عليه هذه الحروف، لا من قريب، و لا من بعيد، و لا وضعت له، ألا و هو عمر أمة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، مما أنكره عليهم كل مسلم، و كذبه الواقع.

الربط بين المنهج اليهودى و منهج رشاد خليفة:

و أنا أذكر هذا لأربط بينه و بين المنهج الذى سلكه رشاد خليفة فى تفسيره الباطنى بالأرقام، على ما سنبينه فى الفقرات القادمة إن شاء اللّه، و وصل به فى نهاية المطاف إلى أنه ادعى العلم بقيام الساعة و حدده ..؟؟.

و قد اعتمد فى منهجه و استدلاله على هذا الذى قاله اليهود على ما سنعرفه سالكا منهجهم، و متمما لطريقهم.

كلام حجة الإسلام الغزالى فى مثل هذه التفسيرات الباطنية:

و قد ذكر حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فى كتابه «فضائح الباطنية» بعض تفسيرات الباطنية و تحريفاتهم لكتاب اللّه، فقال: إنهم يزعمون أن كلمة محمد حيثما وردت، لا يراد بها ذكر رسول اللّه، فهذا أمر ظاهر، و أما الحقيقة و الباطن فالمراد بها على، و فاطمة، و الحسن، و الحسين، و ذلك أنها مركبة من أربعة أحرف فالميم إشارة لعلى، و الحاء إشارة لفاطمة، و الميم الثانية إشارة للحسن، و الدال إشارة للحسين.

فقال الغزالى معارضا لهم، و رادا لكلامهم: إذا كان القرآن يفسر هكذا، بدون ضابط، و تبعا للشهوة و الهوى و العقائد الضالة المنحرفة فإنا نقول:

---

(۱) الدر المنثور: ۱/ ۲۳، و الطبرى: ۱/ ۲۷.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۰۱

إن كلمة محمد حيثما وردت دلت على أبى بكر، و عمر، و عثمان، و على رضى اللّه عنهم.

و ذلك أنها مكونة من أربعة أحرف، و هم أربعة خلفاء، فالميم إشارة إلى أبى بكر، و الحاء إشارة إلى عمر، و الميم الثانية إشارة إلى عثمان، و الدال إشارة لعلى.

و قالوا فى قوله تعالى: حم عسق قالوا: الحاء: حرب على و معاوية.

و الميم: ولاية بنى مروان.

و العين: ولاية العباسيين.

و السين: ولاية السفيانيين.

و القاف: القدوة بالمهدى.

و قالوا فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالوا: المراد بالبقرة عائشة، و المراد بقوله: اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها طلحة و الزبير.

و قالوا فى قوله تعالى: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ المراد بهما: أبو بكر و عمر.

إلى آخر ما هنالك من الأباطيل الناجمة عن الزندقة، و الكفر و الإلحاد، و الاستهزاء بالقرآن.

و أنا لا أسوق هذا لأبين نماذج من التفسير الباطنى الملحد- كما ذكرت- و إنما لأربط بين هذا الانحراف و بين الانحراف الجديد الناتج عن التفسير بالأرقام الذى وصل إلى نفس هذه المعانى التى ذكرناها عن الباطنية و الملاحدة، و الذى وصل لدرجة العلم بموعد

قيام الساعة.

الفرق الباطنية ما زالت قائمة:

و قبل أن ندخل فيما رمينا إليه من هذه المقدمة، من الكلام على ما يسمى بالمعجزة العددية، يجب علينا أن نعلم أن الفرق الباطنية الهدامة ما زالت قائمة فى أمتنا، و ربما كان بعضها أقدر على العمل اليوم منه فى الماضى، مما لا يخفى على أحد.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۰۲

اتخاذ البهائية الرقم (۱۹) رمزا لها:

كما أنه يجب علينا أن نعرف أن البهائية، و هى الفرقة الكافرة، التى لا يخفى كفرها على مسلم، و التى اتخذت لنفسها كتابا، و نبيا، و تشريعا، و قانونا، سوى كتاب اللّه، و نبيه محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، و سوى التشريع الإسلامى، و دعت إلى الشيوعية الجنسية، و غير ذلك، مما لا داعى للإطالة به، بعد أن عرفنا كفرها، بإعراضها عن كتاب اللّه و نبيه.

يجب علينا أن نعرف أن هذه الطائفة الكافرة، قد اتخذت لنفسها من الرقم (۱۹) تسعة عشر سرا و رمزا.

و ذلك أن ميرزا على محمد، مؤسس البهائية أو البابية، الملقب «بالباب» استطاع أن يجمع حوله ثمانية عشر شخصا، و سماهم بكلمة «حى».

و هى فى حساب الجمّل- أى بتحويل الحروف إلى أرقام- تساوى ثمانية عشر.

و ذلك أن الحاء تساوى رقم ثمانية (۸) و الياء تساوى رقم عشرة (۱۰) فالمجموع ثمانية عشر.

و لما كان الملا حسين البشروى أول من آمن بالباب، التفت إليه الباب و قال له: يا من هو أول من آمن بى حقا، إننى أنا باب اللّه، و أنت باب الباب، و لا بد أن يؤمن بى ثمانية عشر نفسا، بكامل رغبتهم، دون ضغط أو إكراه، و يعترفوا برسالتى.

و يجب انتخاب أحدهم لمرافقتى فى الحج، و هناك أبلغ الرسالة الإلهية إلى شريف مكة، ثم ارجع إلى الكوفة، و فى مسجدها أظهر الأمراء.

و فى وقت توديع الباب لحروف حى- و هم مريدوه- أمرهم أن يدونوا فى قائمة اسم كل مؤمن اعتنق الدعوة، و قال لهم:

سوف أبواب هذه الأسماء ثمانية عشر بابا، و أجعل كل باب يحتوى على أسماء تسعة عشر شخصا، فيكون كل باب فى مجموعة واحدة.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۰۳

فإذا أضيفت هذه الأسماء فى أبوابها الثمانية عشر إلى الواحد الأول الذى تكون من اسمى و أسماء الحروف الثمانية عشر، التى هى حروف «حى» فإنها تكون عدد كل شىء.

و انتبه أخى القارئ إلى كلمة «فإنها تكون عدد كل شىء، لما لها من الأهمية فى موضوعنا».

كما ألف الباب كتابه المسمى «بالبيان» و رتبه على تسعة عشر واحدا.

و قسم كل واحد إلى تسعة عشر بابا.

فتكون أبواب الكتاب واحدا و ستين و ثلاثمائة، و هذا العدد من مضاعفات الرقم تسعة عشر (۱۹).

و السنة عند البهائيين مكوّنة من تسعة عشر شهرا، مع أن عدة الشهور عند اللّه اثنا عشر شهرا فى كتاب اللّه يوم خلق السموات و الأرض، و ما ذاك إلا زيادة فى كفرهم و تقديسهم للرقم (۱۹) الذى هو رمزهم و سرهم.

و كل شهر من شهورهم مكوّن من تسعة عشر يوما، فالسنة عندهم واحد و ستون يوما و ثلاثمائة يوم و هو من مضاعفات الرقم تسعة

عشر.

و الصوم عندهم فى الشهر التاسع عشر، المسمى بشهر «العلاء» فيصومون تسعة عشر يوما.

و عدد ركعات الصلاة اليومية عندهم «تسعة» فعدد ركعاتهم فى السنة (۳۲۴۹) ركعة، و هو حاصل ضرب (۳۶۱) و هو عدد أيام السنة فى (۹) و هو عدد الركعات، و هذا العدد من مضاعفات التسعة عشر ۳۶۱* ۹ ۳۲۴۹.

و مهر الزوجة عندهم لا يقل عن تسعة عشر مثقالا من الذهب الإبريز، و لا يزيد عن (۹۵) مثقالا، و هو من مضاعفات الرقم (۱۹).

كما ورد فى قانون الأحوال الشخصية على مقتضى الشريعة البهائية، و هو مستمد من كتاب «الأقدس» الذى وضعه الباب ميرزا حسين.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۰۴

و قال الباب فى كتابه «البيان» فى الباب الثامن، من الواحد الثامن ما نصه: «يجب على كل نفس أن يورث لوارثه تسعة عشر أوراقا من القرطاس اللطيفة، و تسعة عشر خاتما ينقش عليها اسما من أسماء اللّه».

و قال فى الباب الثالث من الواحد السابع: «فيما فرض اللّه على كل عبد أن يكون عندهم تسعة عشر آية، ممن يظهره اللّه فى أيام ظهوره بخطه».

و قال فى الباب السادس عشر من الواحد السادس: «و من يجير أحدا على أحد فى سفر، أو يدخله بيته بغير إذنه، أو يريد أن يخرجه من بيته بغير إذنه، حرم عليه زوجته تسعة عشر شهرا».

و قال فى الباب الثامن عشر من الواحد السابع: «إن من يحزن نفسا عاقلا، فله أن يؤتى تسعة عشر مثقالا من الذهب» «۱».

و بهذه المقتطفات السريعة من أقوال الباب و بأمثالها مما ورد ذكره كثيرا فى كتابه- نفهم معنى قوله السابق فى العدد تسعة عشر، المكوّن منه و من مريديه المرموز لهم برمز حى، إذ قال فى هذا العدد: إنه عدد كل شىء، كما ذكرناه قبل قليل.

و أنا إذ أسوق هذا الكلام، لا أسوقه لذاته، و إنما أسوقه لأربط بينه و بين التفسير بالأرقام، الذى بدأه اليهود على عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و لأربط بينه و بين ما يدعى فى هذه الأيام من أن الرقم تسعة عشر سر القرآن، لتحرف به معانى كلماته، و لننتقل الآن إلى صلب الموضوع.

محاضرة رشاد خليفة و دعواه:

اشارة

لقد ألقى الدكتور رشاد خليفة محاضرة فى الكويت عام ۱۹۷۶ فى موضوع الإعجاز العددى فى القرآن، و خرج فيها على الملأ بفكرة الإعجاز الذى يدور حول الرقم تسعة عشر، و قال:

---

(۱) البهائية فى الميزان، لأمير القزوينى، و انظر: التسعة عشر ملكا ص ۲۹- ۳۶ للمستشار ناجى حسين.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۰۵

إن الإعجاز العددى الذى وقف عليه من خلال هذا الرقم لم يكن معروفا لأحد قبل شهر يونيو ۱۹۷۵ الموافق لجمادى الثانية من عام ۱۳۹۵ ه و أنا سأوجز هذه المحاضرة الآن، كما قالها، و بعد ذلك سأتكلم على ما فيها من إيهام و كذب، و تحريف و تضليل، ثم ما يترتب على القول بها من تفسير باطنى للقرآن الكريم، على غرار تفسيرات الباطنية، و البهائية، و من نحى نحوهم، على أن محاضرته مطبوعة و معروفة.

قال:

«إن عدد حروف البسملة يتكون من تسعة عشر حرفا».

و إن كل كلمة من كلمات البسملة يتكرر فى القرآن أيضا عددا من المرات، هى دائما من مضاعفات الرقم تسعة عشر.

فكلمة «اسم» تتكرر فى القرآن تسع عشرة مرة.

و كلمة «اللّه» تتكرر ۲۶۹۸ مرة، و هى من مضاعفات (۱۹)، إذ هى حاصل ضرب ۱۹* ۱۴۲ ۲۶۹۸.

و كلمة «الرحمن» تتكرر ۵۷ مرة، ثلاثة أضعاف الرقم (۱۹).

و كلمة «الرحيم» تتكرر فى القرآن ۱۱۴ مرة، ستة أضعاف الرقم (۱۹).

ثم تكلم على خاصية الرقم (۱۹)، و أنه يحتوى على بداية النظام الحسابى و هو رقم (۱)، و نهايته، و هو الرقم (۹)، و إن هذا الرقم (، ۱۹) لا يقبل القسمة.

ثم قال: إن هذا التكرار لكلمات البسملة على هذا النحو- أى أنه جاء على أضعاف الرقم (۱۹) قال: إن هذا يستحيل أن يكون من قول البشر.

إذ لو زادت كلمة الرحمن مثلا مرة واحدة، فكانت (۵۸)، بدلا من (۵۷)، لما قبلت القسمة على الرقم (۱۹).

و هكذا بقية كلمات البسملة.

۲۰ المعجزة القرآنية

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۰۶

و بعد ذلك انتقل نقلة واسعة فقال: إننا نجد الرقم (۱۹) نفسه فى سورة المدثر، فى الآية رقم (۳۰) فى قوله تعالى: عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ.

أى أن الإنسان الذى يقول: إن القرآن من قول البشر، سيعاقب، و يكون عقابه تحت إشراف تسعة عشر.

ثم قال: إن التفسير القديم لهذا الرقم، هو أنهم حفظة جهنم، إلا أننا بمعلوماتنا الجديدة نجد أن التسعة عشر هى حروف البسملة، و هذا هو التفسير الجديد لهذه الآية.

قال: و الآية التالية لآية: عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ تعلمنا أسباب اختيار الرقم (۱۹) بكل وضوح، إذ تقول الآية: ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً.

قال: تعنى: أن الأسباب التى من أجلها اخترنا الرقم (۱۹) هى خمسة أسباب:

أولا: فتنة للذين كفروا .. أى إزعاج لهم، و لا شك أن هذه الحقائق الإعجازية الكامنة فى التسعة عشر حرفا، و هى بسم اللّه الرحمن الرحيم، سوف تزعج الكفار.

ثانيا: لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ فهناك المسيحيون الطيبون، و اليهود الطيبون، و أهل الكتاب هؤلاء يرون أن القرآن كتاب عظيم، لا غبار عليه، لكنهم ليسوا متأكدين أنه من عند اللّه.

قال: فهذه الحقائق الكامنة فى التسعة عشر سوف تساعدهم لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ.

ثالثا: توضح الآية ۳۱ من سورة المدثر، و هى: وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً ما قلنا، و ذلك أننا مؤمنون، فإذا رأينا إعجاز الرقم (۱۹) ازداد إيماننا.

رابعا: وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ أى يمحو أى آثار للشك أو الريبة فيما يتعلق بكون القرآن من الرحمن الرحيم.

خامسا: لكشف المنافقين و الكافرين، و إظهار حقيقتهم المتعصبة العمياء.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۰۷

و أخيرا .. فإن الآية (۳۱) تقول لنا فى نهايتها «وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ إذن فالرقم (۱۹) ليس عدد حراس جهنم.

و أضاف أن فى القرآن خاصية هامة متعلقة بالحروف النورانية، المعروفة بفواتح السور.

و ذلك أن نصف الحروف الأبجدية، و هى أربعة عشر حرفا، تشترك فى تركيب أربع عشرة فاتحة من فواتح السور، و هى: (ق، ن،

ص، طه، طس، يس، حم، الم، الر، طسم، عسق، المر، المص، كهيعص).

قال: و هذه الفواتح نجدها فى تسع و عشرين سورة، فإذا جمعنا أربعة عشر حرفا، مع أربع عشرة فاتحة، مع تسعة و عشرين سورة بدئت بهذه الفواتح، كان المجموع سبعا و خمسين، و هو من مضاعفات الرقم تسعة عشر.

ثم قال: و سوف نجد أن الرقم تسعة عشر قاسم مشترك أعظم بين جميع فواتح السور، بدون استثناء.

فلننظر الآن إلى أحد هذه الفواتح، و لنبدأ بالحرف (ق) إننا نجد أن هذا الحرف كفاتحة فى سورة (ق، و الشورى).

و إذا عددت مكررات الحرف (ق) فى سورة قاف، لوجدتها سبعة و خمسين حرفا، و هى من مضاعفات الرقم تسعة عشر.

و كذلك الحال فى سورة الشورى.

و إذا جمعنا عدد مكررات الحرف فى السورتين لبلغ (۱۱۴) حرفا، و هو عدد سور القرآن، و هو من مضاعفات الرقم (۱۹) إذا ضربناه بستة.

ثم أخذ يتكلم على دقة التوزيع الحسابى للحرف (ق)، بأننا إذا تتبعنا القرآن، لوجدناه فى جميع السور التى ذكر فيها لوط عليه السلام و قومه، لوجدناه يقول: قوم لوط، إلا فى سورة (ق) فإنه قال: وَ إِخْوانُ لُوطٍ و ذلك من أجل رعاية الرقم حتى يبقى من مضاعفات التسعة عشر، لأنه لو قال: وَ قَوْمُ لُوطٍ كما هو الحال فى بقية السور، لزاد عدد حروف القاف، و صار ثمانية و خمسين

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۰۸

حرفا، و هذا ليس من مضاعفات التسعة عشر، و لذلك عدل عنه إلى وَ إِخْوانُ لُوطٍ ليبقى الرقم سبعة و خمسين، و هو من مضاعفات التسعة عشر.

ثم قال: إن هذا مطرد فى كل حروف فواتح السور، و ضرب على ذلك مثالا بسورة (ن) و قال:

إن هذا الحرف تكرر فيها (۱۳۳) مرة، و هو سبعة أضعاف التسعة عشر.

و كذلك الحرف ص، فإن مجموع مكرراته فى ثلاث سور، و هى:

الأعراف (المص)، و مريم (كهيعص) و سورة (ص) إن مجموع مكرراته فى السور الثلاث (۱۵۲) و هو حاصل ضرب التسعة عشر ب ثمانية ۱۹* ۸ ۱۵۲.

و ذكر نظير هذا عن فاتحة (طه) و أن عدد مكررات الطاء و الهاء يساوى (۳۴۲) و هو حاصل ضرب ۱۹* ۱۸.

و كذلك فى سورة (يس) إذ بلغ عدد مكررات الياء و السين (۲۸۵) و هو حاصل ضرب ۱۹* ۱۵.

و هكذا أثبت زعمه أن الرقم (۱۹) هو سر القرآن، و بنى عليه ما بنى من التفسيرات الغريبة على ما رأيناه.

و هنا يجدر بنا أن نذكر القارئ بما قاله ميرزا على مؤسس البهائية من أن هذا الرقم عدد كل شىء، و لذلك اتخذه سرا لدعوته و رمزا لها.

و إن هذا الذى ذكرناه الآن هو ما قاله هذا الرجل، نقلته بحروفه على ما فيه، قاله ليثبت إعجاز القرآن العلمى من جهة العدد، و ليشرح به- فيما زعم- آيات القرآن شرحا جديدا.

و لكن التساؤل الآن .. هل كان ما أورده صحيحا؟.

و الجواب: لا .. لقد كان كذبا.

و على افتراض صحته .. هل هو معجز ..

و الجواب أيضا: لا .. على ما سنبيّنه و نثبته.

إن الكلام الذى ذكره هذا الرجل فى محاضرته و دعواه، و ما أورده فيها من

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۰۹

أرقام لكلام يلفت النظر، و يثير الدهشة و الانتباه، و ذلك عند ما يسمعه الإنسان لأول وهلة، و يتوهم أنه كلام صحيح و مطرد فى كل حرف من حروف القرآن، و كل كلمة من كلماته.

و لكن سرعان ما ينتبه الإنسان من دهشته عند ما يرى أن هذا الكلام ليس بصحيح أصلا، لما احتواه من الأكاذيب و التمويهات التى تشبه أعمال السحرة.

على أنه لو صح فلا إعجاز فيه.

و على افتراض صحته و إعجازه، فلا يجوز تحريف آيات القرآن و إخراجها عن ظاهرها به.

فلا يجوز تغيير معناها المفهوم من الألفاظ العربية التى تعبدنا الشارع بفهم القرآن حسب مدلولاتها و قواعدها، مما يفضى بنا إلى الباطنية و الإلحاد، و إنما يكفينا على افتراض صحته و إعجازه أن نفهم منه أنه معجز.

و سنبدأ بهذه الأمور على هذا الترتيب الذى ذكرناه.

۱- بيان اكاذيبه فى الارقام التى أوردها:

اشارة

لقد زعم فى بداية كلامه أن عدد حروف البسملة تسعة عشر حرفا، و أن كل كلمة من كلمات البسملة تتكرر فى القرآن الكريم كله عددا من المرات هو دائما من أضعاف الرقم تسعة عشر.

قال: فنحن نجد أن كلمة «اسم» تتكرر فى المصحف الشريف بالضبط تسع عشرة مرة.

و كلمة «اللّه» تتكرر (۲۶۹۸) مرة، و هى من مضاعفات التسعة عشر (۱۴۲) مرة.

و كلمة «الرحمن» تتكرر (۵۷) مرة، ثلاثة أضعاف الرقم تسعة عشر.

و كلمة «الرحيم» تتكرر (۱۱۴) مرة، ستة أضعاف الرقم تسعة عشر.

و لنأخذ كلامه فقرة فقرة لنضع أيدى القارئ على ما فيه من الأباطيل.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۱۰

۱- أ- كذبه فى عدد حروف البسملة:

فهو يزعم أن عدد حروف البسملة تسعة عشر حرفا، معتمدا بذلك على حروفها المكتوبة، دون المنطوقة، إذ أن حروفها المنطوقة عشرون حرفا، و ليست تسعة عشر.

لأن كلمة «الرحمن» تتكون من سبعة حروف منطوقة، الرحمن، بزيادة الألف وراء الميم.

و هى و إن كانت محذوفة فى الرسم القرآنى، إلا أنه مشار إليها بألف قصيرة فوق الميم، إشارة إلى الرسم المحذوف فى الرسم، مما يجب النطق به، و لا تصح القراءة بدونه.

و نحن لو كتبنا «الرحمن» فى غير القرآن لكتبناها بالألف، كما أننا لو طالبنا أى إنسان ممن لا يعرف القراءة و الكتابة، إلا أنه يحفظ الفاتحة أو غيرها من السور، و يعرف البسملة، لو طالبناه أن يعد حروف البسملة، لعد الحروف المنطوقة حسبما ينطق بها، و لبلغت عشرين حرفا، و ليست تسعة عشر.

و نظائر هذه الكلمة كثيرة فى القرآن، فكلمة العالمين بدون ألف فى الرسم، و لكننا ننطق بها، و إلا فلا تصح قراءتنا.

و كلمة «النفاثات» فى سورة الفلق، حذف منها ألفان، بعد الفاء، و بعد الثاء «النفث» إلا أننا ننطق بهما، فإذا أردنا أن نعد حروف

النفاثات، فإننا لا نعد حروفها المكتوبة، و إنما نعد حروفها المنطوقة، و لو لم ننطق بها لا تصح قراءتنا اتفاقا.

و لا داعی للاستطراد فی هذه الكلمات، لأنها كثيرة، و قد نبه القراء و كتب القراءات عليها، كلمة كلمة فی كل القرآن. و حينما نعدها إنما نعد ما ننطق به، لا ما نرسمه.

و ذلك لأن رسم القرآن أمر خاص بالقرآن، و العبرة بالنطق الذی يكون موافقا للرسم تارة، و مخالفا له أخرى، كما هو معروف فی علم القراءات.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغيبی، ص: ۳۱۱

فهذا أول كذب له فی دعواه العريضة الساذجة، و إذا بطل هذا بطل كل ما بناه عليها، لأنها الأساس فی هذه المسألة.

على أننا إذا تجاوزنا هذا، و سلمنا أن عدد حروف البسملة تسعة عشر، حسبما هو مرسوم فی القرآن و مكتوب، و غضضنا الطرف عن النطق، فما هو وجه الإعجاز فيه؟.

ب- كذبه فی مفردات البسملة:

يزعم صاحب الدعوى أن كل كلمة من كلمات البسملة تكرر فی القرآن كله عددا من المرات هو دائما من مضاعفات التسعة عشر، و هذا لا يمكن أن يكون من صنع البشر.

فقال أولا: إن كلمة «اسم» تكررت فی القرآن بالضبط تسع عشرة مرة.

و لكننا حينما رجعنا إلى «المعجم المفهرس» لألفاظ القرآن الكريم، للمرحوم محمد فؤاد عبد الباقی، و الذی اعتمده صاحب الفكرة، و أشار بالرجوع إليه، وجدنا أن كلمة «اسم» تكررت فی المصحف اثنتين و عشرين مرة (۲۲) مرة، لا تسعة عشر كما زعم.

و هی بالتفصيل قد وردت مرفوعة ست مرات، و منصوبة تسع مرات، و مجرورة سبع مرات.

و المعجم موجود فی بيت كل إنسان، و يمكن الرجوع إليه.

فأين ما زعمه من تكررها تسع عشرة مرة ...؟ إنه الكذب الصريح ...؟.

على أنه كان يجب عليه أن يأخذ فی التعداد كلمة «باسم» كما وردت فی البسملة، لا كلمة «اسم».

و هو لو أخذ كلمة «باسم» لما وجدها فی القرآن مكررة إلا سبع مرات فقط.

و على كلا الحالين فإن ما زعمه من تكررها تسع عشرة مرة ليس بصحيح، و إنما هو كذب صريح ...

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغيبی، ص: ۳۱۲

ثانيا: زعم أن لفظ الجلالة «اللّه» و هو الكلمة الثانية من البسملة قد تكرر فی القرآن (۲۶۹۸) مرة، و هو حاصل ضرب ۱۹* ۱۴۲، أی فهو من مضاعفات التسعة عشر.

و لكننا حينما رجعنا إلى المعجم الذی أرشدنا إليه، وجدناه أيضا ينص على خلاف هذا، و أن مجموع الكلمة فی القرآن (۲۶۹۷) مرة و ليس كما زعم، و هذا الرقم الحقيقی ليس من مضاعفات التسعة عشر.

و بالتفصيل وردت ۹۸۰ مرة مرفوعة، و ۵۹۲ مرة منصوبة، و (۱۱۲۵) مرة مجرورة، و المجموع (۲۶۹۷) مرة، و هو ليس من مضاعفات التسعة عشر.

و بهذا يتبين لنا أيضا كذبه الصريح فی الكلمة الثانية من البسملة.

ثالثا: قال إن كلمة الرحمن وردت سبعا و خمسين مرة، مرفوعة و منصوبة و مجرورة، و هو من مضاعفات التسعة عشر، بالحركات الثلاث.

و فعلا كان الأمر على ما قال ...

و لکن و للأسف کان هذا قاصمة ظهر له فی کلمة «الرحیم».

لأنه زعم أنها تکررت فی القرآن خمسا و تسعین مرة، و هی خمسة أضعاف التسعة عشر.

و لکنه و مع الأسف لم یأخذها هذه المرة مرفوعة و منصوبة و مجرورة، کما فعل فی کلمة «الرحمن» لأن المجموع لا یساعده علی فریته، إذ یبلغ المجموع حینئذ (۱۱۵) مرة و هذا لیس من مضاعفات التسعة عشر، و لذلک عمد إلی أخذها مرفوعة و مجرورة فقط، فکان العدد خمسا و تسعین مرة، و أسقط ورودها منصوبة عشرین مرة؟ لیستقیم له زعمه أنها من مضاعفات التسعة عشر، فهو یسقط ما یشاء و یثبت ما یشاء لیصل إلی غرضه، و لو کان عن طریق التمویه و التدلیس ...

و لکن المفاجأة لیست هنا أخی القارئ ... إن المفاجأة غریبة و عجیبة ...

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۳۱۳

و ذلک أن کلمة «الرحیم» لم ترد أیضا مرفوعة و مجرورة خمسا و تسعین مرة، و إنما وردت أربعا و تسعین مرة، و هذا لیس من مضاعفات التسعة عشر.

و یبدو أن عبقریة صاحب النظریة قد اعتمدت علی الرقم الموجود تحت کلمة الرحیم فی المعجم المفهرس، و هو خطأ مطبعی، و هی لم ترد إلا أربعا و تسعین مرة، کما هو واضح فی المعجم.

فأین مضاعفات التسعة عشر فی کلمات البسملة؟.

و أین الإعجاز فیها ..؟.

إلا أنها الأوهام الباطلة المزعومة لتحریف معانی القرآن الکریم، و الأکاذیب المخترعة المکشوفة.

و أیة فکرة عبقریة هذه التی تعتمد علی الأباطیل و الأکاذیب من أول کلمة من کلماتها إلی آخر کلمة؟.

ج- کذبه فی فواتح السور:

لم یقف أمر رشاد خلیفة عند المغالطات و الأکاذیب فی عدد حروف البسملة، و عدد المرات التی وردت فیها کل کلمة من کلماتها، علی ما عرفناه بالأرقام.

لقد استطرد رشاد فی مغالطاته، فانتقل إلی فواتح السور فقال:

«إنا نجد أن نصف الحروف الأبجدیة- و هی أربعة عشر حرفا- تشترک فی ترکیب أربع عشرة فاتحة، و هی (ق، ن، ص، طه، طس، یس، حم، الم، الر، طسم، عسق، المر، المص، کهیعص).

و هذه الفواتح نجدها فی تسع و عشرین سورة.

فإذا جمعنا عدد الحروف أربعة عشر، مع عدد الفواتح أربعة عشر، مع عدد السور المفتتحة بهذه الفواتح، و هی تسع و عشرون سورة، وجدنا أن الحاصل یبلغ سبعا و خمسین، و هو ثلاثة أضعاف التسعة عشر.

المعجزة القرآنیة الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۳۱۴

قال: و هکذا نجد الربط الکامل التام بین بسم اللّه الرحمن الرحیم و فواتح السور».

و أنا لا أرید أن أناقشه الآن فی عدد حروف الفواتح التی زعم أنها أربعة عشر حرفا، بإسقاط الحروف المکررة، و أخذ رسم الحرف دون نطقه، فأنا لا أرید أن أناقشه فی هذا، لأن التدلیس فیه واضح، بإثباته ما یشاء و أخذه ما یشاء، کما فعل فی کلمة «الرحیم» علی ما رأیناه، و دون ضابط، لیصل إلی غرضه، لأن ما قلناه فی البسملة نقوله هنا بحروفه.

فعلی تسلیم ما قاله جدلا، لا یتحقق له المراد، و ذلک لأنه زعم أن عدد الفواتح أربع عشرة فاتحة.

و هذا لیس بصحیح.

لأن عدد الفواتح المفتتح بها تسع و عشرون أو ثلاثون فاتحة، و هى على التفصيل:

(الم) وردت ست مرات فى البقرة، و آل عمران، و العنكبوت، و الروم، و لقمان، و السجدة.

(الر) وردت خمس مرات فى يونس، و هود، و يوسف، و إبراهيم، و الحجر.

(المر) وردت مرة واحدة فى سورة الرعد.

(المص) وردت مرة واحدة فى سورة الأعراف.

(حم) وردت سبع مرات فى سورة غافر، و فصلت، و الشورى، و الزخرف، و الدخان، و الجاثية، و الأحقاف.

(عسق) وردت مرة واحدة فى الشورى.

(ص) وردت مرة واحدة فى صاد.

(طس) وردت مرة واحدة فى سورة النمل.

(طسم) وردت مرتين فى سورة الشعراء، و القصص.

(طه) وردت مرة واحدة فى سورة طه.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۱۵

(ق) وردت مرة واحدة فى سورة ق.

(كهيعص) وردت مرة واحدة فى سورة مريم.

(ن) وردت مرة واحدة فى سورة القلم. المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى ۳۱۵ ج - كذبه فى فواتح السور: ..... ص : ۳۱۳

يس) وردت مرة واحدة فى سورة يس.

فنحن إذ عددنا هذه الفواتح وجدناها ثلاثين فاتحة إذا جعلنا (عسق) فاتحة مستقلة، كما هو ثابت فى القرآن، إذ جاءت فى سورة الشورى آية مستقلة عن (حم) و أخذت رقما مستقلا.

و كما عدّها هو حينما عدّ الفواتح، إذ عدّها فاتحة مستقلة.

و أما إذا جعلناها مع «حم» فاتحة واحدة، فإن عدد الفواتح يبلغ تسعا و عشرين فاتحة، و على كل الأحوال فإنها لا تشكّل شيئا من مضاعفات التسعة عشر.

و ذلك لأن عدد حروف الفواتح لو أخذ حسب الرسم لبلغ ثمانين حرفا، و لو أخذ حسب النطق لبلغ (۲۲۱) حرفا.

و عدد الفواتح حسب الواقع إما أنه ثلاثون، أو تسع و عشرون.

و عدد السور المفتتحة بهذه الفواتح تسع و عشرون سورة.

و على أى حال، و بأى كيفية أجرينا الجمع، فإننا لن نصل أبدا إلى رقم يكون من مضاعفات التسعة عشر.

إلا أن صاحب الفكرة، و بطريقة بهلوانية، أسقط المكرر من الحروف، كما أسقط المكرر من الفواتح، ليكون المجموع عنده سبعا و خمسين و هو من مضاعفات التسعة عشر.

و ذلك كما أسقط كلمة الرحيم منصوبة، ليسلم له عددها مجرورا و مرفوعا من مضاعفات التسعة عشر، و مع ذلك لم يسلم له، لأنه أخطأ فى عدها، كما بيّناه.

و بهذه الطرق الملتوية من النفى و الإثبات، و الإسقاط و الاعتبار، بدون ضابط أو قانون، و إنما يثبت و يسقط حتى يستقيم له العدد كما يشاء- بهذه الطرق أثبت صاحب الفكرة الباطلة فكرته.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۱۶

د- كذبه فى تكرر حروف الفواتح فى السور التى افتتحت بها:

اشارة

لم يكتف الرجل بما بيّناه من أباطيله، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فزعم أن حروف هذه الفواتح تتكرر فى السور التى افتتحت بها عددا من المرات يساوى أضعاف التسعة عشر.

كما زعم أن هذا يكون فى كل حرف من حروف الفواتح المركبة من أكثر من حرف، فقال:

«و عند ما ننتقل إلى فواتح السور المركبة من أكثر من حرف، نلاحظ حقيقة قرآنية غاية فى الإعجاز، إذ أن هذه الحروف توجد فى هذه السور من مكررات الرقم تسعة عشر».

فنحن الآن أمام ادعاءين:

الأول: أن الفواتح المفردة ك (ص، و ن، و ق) تتكرر فى السورة التى افتتحت بها عددا يكون دائما من مضاعفات التسعة عشر.

و الثانى: أن فواتح السور التى تتكون من حروف مركبة، كل حرف من حروف الفاتحة يتكرر فى السورة التى افتتحت به عددا من المرات يكون من مضاعفات التسعة عشر.

قاعدة هامة فى المنطق:

اشارة

إنا قبل أن نبدأ بنقد كلامه هذا، و بيان زيفه و كذبه، نريد أن نبين حقيقة علمية منطقية، تكون ميزانا للبحث و النقد.

و ذلك لأننا سوف لا نستطيع أن نتتبع كل كلمة من الكلمات التى قالها، لأنها طويلة، و تفضى إلى الملل، دون فائدة أو جدوى، و لكننا إذا لجأنا إلى هذه القاعدة استطعنا أن نصل إلى النتيجة بسرعة و سهولة و يسر، دون ملل أو كراهية.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۱۷

يقول علماء المنطق: إن القضية الموجبة الكلية نقيضها قضية سالبة جزئية، كما أن السالبة الكلية نقيضها موجبة جزئية.

فلو أن إنسانا قال: كل حيوان يحرك فكه الأسفل، فإنه يكفينا لأن نبطل كلامه و ننقضه أن نذكر صورة واحدة لحيوان واحد يخرج عن هذا التعميم و ينقضه فنقول: إن التمساح لا يحرك فكه الأسفل، بل يحرك فكه الأعلى، و بهذا نبطل كلامه و دعواه المعممة.

و لو أن إنسانا قال: لم يثبت عن واحد من الصحابة و التابعين أنه قال: إن لمس الرجل للمرأة ناقض للوضوء، فإنه يكفينى لأنقض كلامه أن أثبت صورة واحدة قد قال فيها واحد من الصحابة أو التابعين بهذا القول، فأقول: روى مالك، عن ابن شهاب الزهرى، عن سالم بن عبد اللّه، عن عبد اللّه بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب أنه قال: «قبلة الرجل امرأته و جسها بيده من الملامسة، فمن قبل امرأته أو جسها بيده فليتوضأ».

و بهذا أبطل تعميمه أن هذا لم يقل به أحد من الصحابة و أنقضه، و لا يهم بعد ذلك ما يقال فى المسألة إذ المهم الآن إبطال الدعوى على طريقة الجدال و النظر عند الجدليين.

فهو يزعم أن كل سورة افتتحت بحرف يتكرر هذا الحرف فيها عددا من المرات يكون من مضاعفات التسعة عشر، و ضرب على ذلك مثالا بسورة (ق) و (القلم).

فقال: «إذا عددت مكررات الحرف (ق) فى سورة (ق) لوجدتها سبعا و خمسين مرة، و هى ثلاثة أضعاف التسعة عشر».

و لقد صدق فى هذه فالرقم كما قال، و لذلك جعلها مقدمة لكلامه للإيهام بها فى غيرها ثم قال: «هذه العلاقة الوثيقة المباشرة التى

وجدتموها بين الحرف (ق) و الرقم تسعة عشر، عدد حروف بسم اللّه الرحمن الرحيم، ستجدونها شاملة

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۱۸

لجميع الحروف النورانية، فواتح السور، بدون استثناء، فنحن إذا انتقلنا الآن إلى الحرف (ن) نجد أن هذا الحرف تفتتح به سورة واحدة فى القرآن الكريم هى سورة القلم ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ و إذا عددت مكررات الحرف فى هذه السورة، لوجدت العدد (۱۳۳) و هو يساوى ۱۹* ۷.

كذلك الحرف (ص)».

إلا أنه لم يذكر لنا عدده، و وضعت النشرة وراء حرف الصاد نقطا، و هذا كلامه بحروفه.

أ- كذبه فى (ن):

و لكننى عند ما رجعت إلى سورة القلم، و عددت النون فيها، وجدتها تبلغ (۱۳۱) حرفا، و هو ليس من مضاعفات التسعة عشر، إذن فقد كذب حينما زعم أنها (۱۳۳) ليصل إلى دعواه، و يمكن لأى واحد منا أن يعد هذا بوضع خط أحمر تحت كل حرف (ن) فى السورة، أو بغير ذلك من الوسائل.

ه- كذبه فى (ص):

ثم عددت بعد ذلك حرف (ص) فى سورة صاد، فبلغ (۲۸) ثمانية و عشرين حرفا، و هذا ليس من مضاعفات التسعة عشر، و ليس قريبا منها، علما بأن السورة قد افتتحت به، إذن فقد كذب به أيضا.

و بهذا يظهر لنا الكذب الرخيص الساذج الذى سلكه صاحب هذه النظرية ظنا منه أن أحدا لن يعد الحروف لصعوبة عدها.

و قد أراد أن يروج لهذه الدعوى الكاذبة بصورة صحيحة يموه بها على الناس، فبدأ بالحرف (ق) لأنه فعلا تكرر سبعا و خمسين مرة، ثم أتبعه ببقية الدعوى الكاذبة، على طريقة السحرة و الممثلين، كمن يرى التمساح يحرك فكه الأعلى، فيقول لطفل صغير معه: انظر إلى التمساح، إنه يحرك فكه الأعلى عند الطعام، و هكذا يفعل كل حيوان، إن الطفل حينما يسمع هذا الكلام يصدقه

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۱۹

لبعض الوقت، حتى يرى أى حيوان آخر، فيجده يحرك فكه الأسفل، و عند ذلك تنكشف أمامه الدعوى الكاذبة.

و- كذبه فى الفواتح المركبة:

ثم قال صاحب الفكرة: «و عند ما ننتقل فى فواتح السور المركبة من أكثر من حرف نلاحظ حقيقة قرآنية غاية فى الإعجاز .. إذ أن هذه الحروف تتواجد فى هذه السور من مكررات الرقم (۱۹)، بل أيضا إذا عددت الحروف المتشابهة فى السور ذات الفواتح المتشابهة، فإنك تجد أن هذا العدد أيضا من مضاعفات الرقم (۱۹).

أى سواء كان الجمع أفقيا، داخل السورة الواحدة، أو رأسيا شاملا لجميع السور التى تفتتح بنفس الحروف، فإن المجموع فى الحالتين من مكررات الرقم (۱۹)».

هذا كلامه بحروفه.

و قد ضرب على ذلك مثالا بالحرف (ق) من سورة الشورى المفتتحة ب (حم، عسق) و قال إنه تكرر فى السورة سبعا و خمسين مرة، و هو من مضاعفات التسعة عشرة.

و لقد صدق فى هذا.

إلا أنه كذب فى كل ما سواه من الحروف فى الفواتح المركبة على طريقته فى الحروف المفردة، إذ قدم لها بصورة صادقة.

و ذلك لأننى عددت بقية حروف فاتحة السورة فوجدت أن الحاء تكررت واحدا و خمسين مرة، و هذا ليس من مضاعفات التسعة عشر.

و الميم تكررت (۲۶۹) مرة، و هذا ليس من مضاعفات التسعة عشر.

و السين تكررت (۲۵۲) مرة، و هذا ليس من مضاعفات التسعة عشر.

كما أننى عددت حرف الطاء من سورة (طه) فبلغ (۲۵) خمسا و عشرين مرة و ليس من مضاعفات التسعة عشر.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۲۰

و عددت حرف الكاف من سورة مريم، المفتتحة ب (كهيعص) فبلغ عدد لحرف (ك) (۱۳۴).

و بلغ عدد الحرف (ه) (۱۴۲).

و بلغ عدد الحرف (ص) (۲۵).

و كل هذا كما تراه أخى القارئ ليس من مضاعفات التسعة عشر، و إنما هى دعاوى و أكاذيب.

و يكفينا هذا الذى ذكرناه، عما لم نذكره، مما هو على هذه الطريقة الكاذبة، و القرآن بين أيدينا جميعا، يمكن لأى واحد منا أن يرجع إليه و يعد ما يشاء من الحروف ليجد كذبه فى كل ما ادعاه.

فهو لو كذب فى صورة واحدة لانتقضت دعواه، فكيف يكون الحال لو كذب فى كل ما ادعاه إلا فى صورة واحدة ...؟.

أظن أن الأمر لا يحتاج إلى تعليق ... فالأمر أوضح من أن يعلق عليه و أكبر و أخطر ...

و حسب بعض المسلمين من الغفلة، و الانفعال العاطفى، أن تلقى على مسامعهم مثل هذه الأكاذيب فى محاضرة عامة، و من ثم يروج لها فى الصحف و المجلات، بل و كتب بعض المفكرين المسلمين، و هى من الأكاذيب الساذجة.

و لكن على افتراض الصدق فى كل ما ادّعى من الأرقام، هل يكون فى الأمر معجزة ..؟

إننا سنترقى مع صاحب دعوى التسعة عشر درجة أخرى فى مجال الجدل و نقول:

إننا على افتراض وجود ما ادعاه من مضاعفات التسعة عشر فى كل فقرة أوردها، مما سمعناه و قرأناه فى الفقرات الماضية، فإن هذا لا يرقى لدرجة الإعجاز.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۲۱

و ذلك لأن المعجزة هى الأمر الخارق للعادة، الذى لا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يعارضه، بل لو اجتمع عليه كل أهل الأرض لما استطاعوا إلى معارضته سبيلا، على مر العصور، و كر الدهور، على ما عرفناه فى المقدمة «۱».

و هذا الذى معنا، و هو دعوى التسعة عشر و مضاعفاتها فى كلمات القرآن و حروفه، لو اطرد فى كل كلمة من كلمات القرآن، فكانت من مضاعفات التسعة عشر، و فى كل حرف من حروفه، فكانت من مضاعفات التسعة عشر، لما كانت فيه أية معجزة، و لما عدا كونه شيئا جميلا يلفت النظر، دون أى إعجاز فيه.

و ذلك لأنه بإمكان الإنسان أن يأتى بمثله فى كل زمان و مكان، بل بإمكانه أن يأتى بما هو أبدع منه و أعظم.

و هذا على افتراض أنه ورد هكذا مطردا فى كل كلمة أو حرف، فكيف به و هو لم يطرد، بل لم يوجد فى كل القرآن إلا فى بضع كلمات لا تثير أى اهتمام و لا تلفت أى انتباه ..؟.

إن أى طفل صغير اليوم فى العالم المتحضر يستطيع أن يعبث بالحاسب الآلى (الكمبيوتر) ليأتينا بما يذهل كل عقل فى عالم الأرقام و الكلام، و مع ذلك فليس هو بمعجز، و لا بلافت للنظر اليوم.

لقد صنف الحريرى مقاماته، و من جملة مقاماته المقام السينية و الشينية.

فالسينية أنشأها و كل كلمة فيها تشتمل على حرف السين، و الشينية تشتمل كل كلمة منها على حرف الشين، و كان بإمكانه أن يجعلها من مضاعفات أى رقم شاء، و مع ذلك لم يزد العلماء عن القول بأنها جميلة، و لم يقل أحد إنها معجزة، أو قريبة من الإعجاز.

و لقد صنف اسماعيل بن أبى بكر المقرئ كتابه المسمى عنوان الشرف

---

(۱) انظر: معنى المعجزة فى ص ۱۶، من هذا الكتاب.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۲۲

الوافى إذا قرأه الإنسان من اليمين إلى الشمال، كان فقها، و إذا قرأته من الأعلى إلى الأسفل من اليمين كان عروضا، و من الأعلى إلى الأسفل فى الخط الثانى من اليمين كان تاريخا، و من الأعلى إلى الأسفل فى الخط الثالث كان نحوا، و من الأعلى إلى الأسفل فى الخط الرابع كان فى القوافى، و مع هذا لم يعتبره الناس معجزة، و لا قريبا من المعجزة.

و إنه ليسهل على الإنسان فى أى زمان و مكان أن يصنف أى كتاب على أن يراعى تكرار بعض الكلمات تكرارا يكون من مضاعفات التسعة عشر أو غيرها، و ليس فى ذلك أية استحالة، أو أية معجزة.

و لقد ذكر المستشار الأستاذ حسين ناجى محمد فى كتابه (التسعة عشر ملكا، و الذى صنفه للرد على مزاعم رشاد خليفة فى موضوعه الذى نحن بصدده، و كان من السابقين إلى إدراك كذب هذه المحاضرة و ما ترمى إليه). لقد ذكر الأستاذ حسين ناجى فى كتابه المذكور خمس مجموعات من الكلام الكاذب الذى لا يؤمن به أحد من المسلمين، و مع ذلك فإن كل جملة من جمله تشتمل على تسعة عشر حرفا، و مجموع الجمل يشتمل على تسعة عشر حرفا من الألف، و هذا يتكرر فى كل مجموعة من المجموعات، و مع ذلك فليس هو بمعجز، بل هو كذب و ليس بحق أبدا.

فقال فى المجموعة الأولى:

۱- البهائية هى الدين الحق. فهذه تتكون من تسعة عشر حرفا و فيها ۴ ألفات.

۲- بهاء اللّه آخر الأنبياء. و هذه تتكون من تسعة عشر حرفا و فيها ست ألفات.

۳- الجنة و النار أكذوبتان. و هذه تتكون من تسعة عشر حرفا و فيها خمس ألفات.

۴- لا صراط، و لا جنة، و لا نعيم. و هذه تتكون من تسعة عشر حرفا و فيها خمس ألفات.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۲۳

و بناء على ذلك فعدد حروف هذه الجمل الأربعة يبلغ (۷۶) حرفا، و هو أربعة أضعاف التسعة عشر، و يشتمل مجموعها على تسعة عشر حرفا من حروف الألف.

و هكذا فعل فى المجموعات الخمس، كل مجموعة تتكون من أربع جمل، و كل جملة تشتمل على تسعة عشر حرفا، و كل مجموعة تشتمل على تسعة عشر حرفا من الألف.

ثم ذكر ثلاث مجموعات أخرى، كل مجموعة تتكون من سبع جمل، و كل جملة تتكون من تسعة عشرة حرفا، و مجموع الجمل يحتوى على تسعة عشر لاما فقال:

۱- لا بعث و لا حساب و لا جهنم. فهذه تتكون من تسعة عشر حرفا و فيها ثلاث لامات.

۲- لا صراط و لا جنة و لا نعيم. فهذه تتكون من تسعة عشرة حرفا و فيها ثلاث لامات.

۳- مهندس الكون الرب إبليس. فهذه تتكون من تسعة عشر حرفا و فيه ثلاث لامات.

۴- البهائية هى الدين الحق. فهذه تتكون من تسعة عشر حرفا و فيها ثلاث لامات.

۵- بهاء اللّه آخر الأنبياء. فهذه تتكون من تسعة عشر حرفا و فيها ثلاث لامات.

۶- الجنة و النار أكذوبتان. فهذه تتكون من تسعة عشر حرفا و فيها ثلاث لامات.

۷- رقم تسعة عشر رمز لا بليس فهذه تتكون من تسعة عشر حرفا و فيها ثلاث لامات.

فمجموع حروف هذه الجمل السبعة يبلغ (۱۳۳) حرفا، و هو سبعة أضعاف التسعة عشر، و مجموع هذه الجمل يحتوى على تسعة عشر لاما.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۲۴

و مع ذلك فهو كلام كاذب، و ليس بحق، علاوة عن أن يكون معجزا.

إن الكلام المعجز هو ذاك الكلام الربانى، الذى أذهل البلغاء، و الفصحاء، و العباقرة، و المفكرين، و علماء الكون و الحياة، و كل ذى نظر و عقل من أهل الأرض، على مر العصور، و كر الدهور، على ما قرأناه و رأيناه فى الفقرات الماضية.

الانحراف بالتفسير الباطنى للقرآن:

إننا سنترقى مع صاحب الفكرة الموهومة الباطلة درجة أخرى فى الجدل، على طريقة الجدليين و نقول: لنفترض جدلا أن ورود التسعة عشر و مضاعفاتها فى حروف القرآن، و فواتحه، و سوره، كان معجزا، لنفترض هذا جدلا، و هو ليس كذلك كما عرفناه بالأرقام، فما علاقة الرقم تسعة عشر بملائكة جهنم و عددهم، حتى نحرّف القرآن الكريم، و نخرجه عن قوانينه اللغوية الشرعية، و نخرج على الملأ بتفسير باطنى جديد لكتاب اللّه؟.

قال اللّه تعالى فى حق الوليد بن المغيرة: سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ، لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ، لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ، عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ، وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً، وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا، لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ، وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ، وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا؟ كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ، وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ، وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ، وَ ما هِيَ إِلَّا ذِكْرى لِلْبَشَرِ.

و قد أجمع المفسرون بدون استثناء، كما أجمع كل علماء المسلمين، و كل من يعرف لغة العرب، أن التسعة عشر هو عدد خزنة جهنم الذين أشار القرآن إليهم بقوله: وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً، وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ- أى التسعة عشر- إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۲۵

و يأتى صاحب فكرة التسعة عشر الكاذبة الآثمة ليحرف المعنى الجميل المشرق الواضح فى القرآن، و يخرج علينا بتفسير باطنى جديد، بعيد كل البعد عن المعانى العربية القرآنية، و قوانين التفسير البديهية اليقينية، فيزعم بعد أن ذكر ما ذكر من الأباطيل عن الرقم تسعة عشر، يزعم أن معنى قوله تعالى: عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ» أى عليها بسم اللّه الرحمن الرحيم، و أن الذى ينكر نسبة القرآن إلى اللّه و يزعم أن القرآن من قول البشر، سوف يعاقب تحت إشراف التسعة عشر، و هى حروف البسملة ...؟.

إنه لكلام عجيب و غريب .. لا يكاد العقل يستوعبه لركته و بعده.

و إنى- يشهد اللّه- حينما قرأت هذا الكلام لأول مرة فى حياتى، كنت قبل أن أصل إلى هذه النتيجة المخزية من تحريف كتاب اللّه، كنت مندمجا مع النشرة و أنا أقرأ ما فيها من الأرقام من مضاعفات التسعة عشر، و لم أكن بعد قد عرفت ما فيها من المغالطات و الأكاذيب فى الأرقام، إلا أننى حينما وصلت إلى هذه النتيجة فى التفسير الباطنى المنحرف، ذهلت، و شرد ذهنى فورا إلى الغاية و الغرض من تلك الأرقام إلا و هو تحريف كتاب اللّه، و إظهار شعار البهائية الملحدة.

و من ثم بدأت البحث و التحرى حتى وصلت إلى هذه النتيجة التى رأيتها أخى القارئ فى كذب هذا الموضوع و بطلانه من أوله إلى آخره.

و ما علاقة عدد حروف البسملة على افتراض أنها تسعة عشر بعدد خزنة جهنم ..؟!.

و كيف يكون العذاب تحت إشراف التسعة عشر ..؟!.

هل ستنقلب هذه الحروف إلى أجساد عاقلة تقوم بالتعذيب؟ أم أنها ستبقى على حرفيتها التى هى عدم محض لا وجود له ..؟.

و أين سيكون هذا العذاب الذى ستتولاه حروف البسملة ..؟.

إنه لكلام لا يصدر عن مجنون علاوة عن أن يصدر عن عاقل.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۲۶

و ما مثل قائل هذا إلا- كمثل من يرى صندوقين من الفاكهة، يحتوى الأول على التفاح، و الآخر على البرتقال، و عدد حبات كل صندوق تسعة عشر، ثم وجد عددا من صناديق البرتقال الأخرى، فوجد أن محتوياتها من التسعة عشر برتقالة، أو من مضاعفات هذا العدد.

و بعد ذلك كر على صندوق التفاح و قال: إننا اكتشفنا اليوم معنى جديدا فيه، بسبب احتوائه على تسع عشرة تفاحة، و هذا المعنى: هو أن التفاح فى حقيقته برتقال .. و ذلك لأن عدد حبات صندوقه موافقة لعدد حبات صناديق البرتقال جميعها، إذ أنها احتوت على التسعة عشر أو مضاعفاتها ...

إن هذا الكلام على بعده و غرابته و رفضه من قبل أى عاقل، لأقرب من تفسير قوله تعالى: عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ بحروف بسم اللّه الرحمن الرحيم، لأن القرآن نص مباشرة وراء هذه الآية أن هذا العدد هو عدد خزنة جهنم كما هو معروف لكل ذى عقل فقال: وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً، وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا.

و بهذا يتبين لنا مدى المغالطة الكبيرة التى أتى بها صاحب هذه النظرية التى بناها على مغالطات و أكاذيب فى الأعداد الموهومة المزعومة.

إلا- أننا على افتراض صدقه فى كل ما قال فإنه لا يجوز له أن يفسر القرآن بهذه الطريقة الباطلة الباطنية الملتوية، بل يجب عليه أن يفسره بناء على مدلولات لغة العرب التى خاطبنا اللّه بها، و تعبدنا بفهم القرآن حسب قواعدها، على ما قدمناه فى صدر هذا البحث من القاعدة العامة فى التفسير «۱».

رشاد خليفة و علم الساعة:

اشارة

لعلك أخى القارئ قد ظننت أن الأمر قد انتهى بانتهائنا من بيان بطلان موضوع التسعة عشر و بيان كذبه ...؟.

---

(۱) انظر: ص ۲۹۵.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۲۷

و أنت على صواب فى هذا.

و لكن ستفاجأ حينما أقول لك إن صاحب نظرية التسعة عشر قد قفز قفزة جديدة رائعة فى عالم الخيال و الأباطيل، فلم يرد فى هذه المرة أن يحرف آيات القرآن فقط، بل أراد أن يلغى بعضها، و يحرف بعضها الآخر ...

فزعم- و الحمد للّه إذ فعل حتى يكشف حقيقته لكل أحد- زعم أنه يعلم موعد قيام الساعة، و حدده لنا من الآن، حتى يستعد العالم للرحيل فقال:

«إن العالم سينتهى بانتهاء عام ۱۷۰۹ هجرية، أى بعد ما يقرب من ثلاثمائة سنة من الآن عام ۱۴۰۵ ه.

و لم يكتف بهذا، بل زاد إليه سنة أخرى ليستقيم له حساب التسعة عشر فقال: إن الساعة ستقوم سنة (۱۷۱۰ ه) أى بعد استكمال (۱۷۰۹) تماما، و بذلك يكون العدد من مضاعفات التسعة عشر ...؟!.

معتمده فى معرفة الساعة:

و أما ما اعتمد عليه رشاد فى معرفته بعلم الساعة فهو حساب الجمّل المعروف عند اليهود و عند العرب، و كان اليهود قد حاولوا بواسطته حساب عمر أمة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، كما قال هو، و كما سنذكره الآن، و قد كذبهم اللّه بذلك، كما كذبهم رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم، و أثبت الواقع كذبهم، لأنهم حددوا عمر رسالة الإسلام ب (۷۳۴) عاما و ها نحن نعيش الآن فى القرن الخامس عشر.

إلا- أن رشادا أراد أن يتم طريق اليهود، فزعم- كما يقول هو نفسه- أن اليهود كانوا على صواب فى حساب عمر الأمة الإسلامية، إلا أنهم لما حسبوه لم تكن فواتح السور قد نزلت كلها، و لذلك كان حسابهم ناقصا، إلا أن طريقتهم صحيحة، و الآن قد كمل نزول الفواتح، و لذلك فإن الحساب سيكون صحيحا.

و قبل أن نذكر الحساب الذى أتى به بناء على أكذوبة التسعة عشر، سنذكر الآن ما قاله اليهود فى هذا، لأن كلامهم كان بداية طريق رشاد كما قال هو نفسه.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۲۸

فقد أخرج ابن إسحاق، و البخارى فى تاريخه، و الطبرى فى تفسيره، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد اللّه بن رباب قال: مر أبو ياسر بن أخطب برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و هو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ فأتى أخاه حيى بن أخطب فى رجال من اليهود فقال: تعلمون و اللّه لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه الم ذلِكَ الْكِتابُ.

فقالوا: أنت سمعته؟.

قال: نعم.

فمشى حيى فى أولئك النفر إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقالوا: يا محمد، أ لم تذكر أنك تتلو فيما أنزل عليك: الم ذلِكَ الْكِتابُ؟.

قال: بلى.

قالوا، قد جاءك بهذا جبريل من عند اللّه؟.

قال: نعم.

قالوا: لقد بعث اللّه قبلك أنبياء، ما نعلمه بيّن لنبى لهم ما مدة ملكه، و ما أجل أمته غيرك.

فقال حيى بن أخطب، و أقبل على من كان معه: الألف واحدة، و اللام ثلاثون، و الميم أربعون، فهذه إحدى و سبعون سنة، أ فتدخلون فى دين نبى إنما مدة ملكه، و أجل أمته إحدى و سبعون سنة؟.

ثم أقبل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: يا محمد، هل من هذا غيره؟.

قال: نعم.

قال: ما ذاك؟.

قال: «المص».

قال: هذه أثقل و أطول، الألف واحدة، و اللام ثلاثون، و الميم أربعون، و الصاد تسعون، فهذه مائة و إحدى و ستون سنة، هل مع هذا

یا محمد غیره؟.

قال: نعم.

قال: ما ذا؟.

قال: «الر».

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۳۲۹

قال: هذه أثقل و أطول، الألف واحدة، و اللام ثلاثون، و الراء مائتان، فهذه إحدی و ثلاثون و مائتا سنة.

فهل مع هذا غیره؟.

قال: نعم، «المر».

قال: فهذه أثقل و أطول، الألف واحدة، و اللام ثلاثون، و المیم أربعون، و الراء مائتان، فهذه إحدی و سبعون سنة و مائتان.

ثم قال: لبّس علینا أمرک یا محمد، حتی ما ندری أ قلیلا أعطیت أم کثیرا.

ثم قاموا، فقال أبو یاسر لأخیه حیی و من معه من الأحبار، و ما یدریکم لعله قد جمع هذا لمحمد کلّه، إحدی و سبعون، و إحدی و ستون و مائة، و إحدی و ثلاثون و مائتان، و إحدی و سبعون و مائتان، فذلک سبعمائة و أربع و ثلاثون ...؟.

فقالوا: لقد تشابه علینا أمره «۱».

فهذا واضح صریح فی محاولة الیهود لفهم فواتح السور فهما حسابیا رقمیا، یستدلون به علی أمر باطنی لا تدل علیه هذه الحروف، لا من قریب، و لا من بعید، و لا وضعت له، ألا و هو عمر أمة محمد صلّی اللّه علیه و سلّم، مما أنکره علیهم کل مسلم، و کذبه الواقع.

إلاـ أن رشادا أراد- کما ذکرت قبل قلیل- أراد أن یتم طریقهم، فجمع کل فواتح السور، مما جمعه الیهود، و مما لم یجمعوه، فکان الناتج معه (۱۷۰۹) و لما لم یکن هذا الرقم من مضاعفات التسعة عشر أضاف إلیه سنة أخری من حسابه الخاص، فبلغ المجموع (۱۷۱۰) و هذا من مضاعفات التسعة عشر.

ثم قال: و قد شاء اللّه سبحانه و تعالی أن تکشف هذه الحقائق مع بدء عام (۱۴۰۰) من الهجرة، أی قبل النهایة بعدد من الأعوام قد ذکر فی القرآن أیضا

---

(۱) الدر المنثور: ۱/ ۲۳- الطبری) ۱/ ۷۱.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمی و الغیبی، ص: ۳۳۰

و هو (۳۰۹) سنة، و ذلک فی سورة الکهف، فی قوله تعالی: وَ لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِینَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً.

ثم ذکر قوله تعالی: وَ کَذلِکَ أَعْثَرْنا عَلَیْهِمْ لِیَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَ أَنَّ السَّاعَةَ لا رَیْبَ فِیها.

فهو یفسر قوله تعالی: وَ لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ أی أهل الأرض لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ أی فی الأرض.

و أما قوله: ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِینَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً أی من تاریخ کشفه لهذا السر المزعوم و هو عام (۱۴۰۰) من الهجرة.

ثم یزعم أن اللّه لم یخف موعد قیام الساعة، و إنما قال: إِنَّ السَّاعَةَ آتِیَةٌ أَکادُ أُخْفِیها (سورة طه: آیة ۱۵).

ثم یزعم أن اللّه قال لرسوله مسلیا له فی عمر أمته: وَ لا تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلی ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ أی موسی و عیسی، فهما المرادان بالأزواج.

و ذلک لأن عمر رسالة موسی (۱۴۶۲) سنة و هو من مضاعفات التسعة عشر.

و عمر رسالة عیسی (۵۷۰) سنة ما بین عیسی و محمد صلّی اللّه علیه و سلّم.

و أما عمر أمة محمد صلّی اللّه علیه و سلّم فهو (۱۷۰۹) سنة ..؟.

فهل سمعت أخى القارئ تفسيرا باطنيا لكتاب اللّه كهذا التفسير، و هل عرفت تحريفا كهذا التحريف ..؟.

و هل علمت أخى القارئ أن الأمر كله من أصله إلى فرعه، من صنع اليهود و إيحاءاتهم إلى عبيدهم ..؟.

و هل علمت أن صاحب نظرية التسعة عشر أراد أن يتم طريق اليهود كما قال هو، لا كما أدعى أنا.

إذا علمت هذا فاعلم أن الأمر ليس أمر إظهار لمعجزة، و إنما هو أمر تدمير المعجزة ...

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۳۱

إذن فلا حاجة بنا بعد هذا للإسهاب فى الرد .. و إننا لا نخشى على كتاب اللّه التحريف و التزييف.

و ليس هذا أول تفسير باطنى، و لن يكون الأخير.

و ليس هذا أول افتراء و ادعاء و لن يكون الأخير.

لقد تكفّل اللّه بحفظ كتابه فقال: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ.

و أما موعد الساعة فلا أظن أن أحدا يمترى فى اختصاص اللّه جل و علا به، قال تعالى:

يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها، قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّى، لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ، ثَقُلَتْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً، يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها، قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ، وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (سورة الأعراف: آية ۱۸۷).

و قال تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها، إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها (سورة النازعات: آية ۴۲).

و قد قال رسول اللّه حينما سئل عن موعد الساعة فى الحديث المشهور قال:

ما المسئول عنها بأعلم من السائل.

فمن أين عرف رشاد ما لم يعرفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؟!.

لعلها إرهاصات نبوة جديدة تضيف إلى الدجاجلة الذين يكونون بين يدى الساعة دجالا جديدا ...

و أنا لم أذكر كلامه هذا فى علمه بموعد الساعة لأرد عليه، فالأمر من البداهة عند كل مسلم أهون من أن يرد عليه، و إنما ذكرته لكشف حقيقة الرجل أمام من لم يعرفه بعد، و ليعلم الناس كيف تسير الحركات الباطنية الهدامة فى مخططاتها الماكرة الخبيثة ... و اللّه الهادى إلى الصواب.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۳۳

الخاتمة

إننا و بعد هذا التطواف السريع فى جوانب المعجزة و الإعجاز و ما يتعلق بهما لنجد أنفسنا قد عشنا مع المعجزة الحية، نعانيها و نتذوقها، و كأننا فى زمن النبوة، عند ما كان يتنزل القرآن على قلب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و يتذوق العرب حلاوته، و تهفو أفئدتهم لطلاوته، و تتفاعل نفوسهم مع جماله و براعته.

و هذا هو شأن المعجزة حينما يضع الإنسان يده عليها، و يدرك حقيقتها.

نعم .. لقد عشنا مع المعجزة فى جانبى الإعجاز الغيبى و العلمى، و رأينا فى بعض صورها المعجزة العادية، و رأينا فى بعضها الآخر أعلى و أبلغ و أدق صور الإعجاز التى يمكن للبشر أن يتصورها.

و هذا نظير الإعجاز اللغوى، إذ أن مراتب الإعجاز اللغوى متباينة فى القرآن الكريم، فبعض الآيات و السور فى المرتبة الدنيا للمعجزة، و بعضها فى ذروة درجات الإعجاز، بحيث تذهل السامع، و تملك عليه قلبه و لبه ... و هى فى كلا الحالين معجزة، يقال فيها كل ما يقال فى المعجزة.

و لا أظن أن إنسانا ما فى هذه الأرض، مهما بلغ من الجمود و العناد، يتعرف على المعجزة، فى أى نوع من أنواعها، أو صورة من

صورها، و بعد ذلك يعرض عنها أو يفر منها.

بل لا أظن أن إنسانا ما فى هذه الأرض، يسمعها، و يتعقلها، و يتذوقها، و يستطيع بعد ذلك أن يقف منها موقف اللامبالاة ...

إن المعجزة إذا ظهرت تفرض على كل عاقل فى الأرض أن يخضع لها و يقر بمدلولها.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۳۴

و إنى لأعتقد أن بعض صور الإعجاز العلمى فى القرآن، لو عرضت على أعتى فلاسفة الإلحاد فى العالم لجعلته يقف منها موقف الدهشة و الاستغراب، و لفرضت عليه أن يذعن لها و يقر بها، لو وقف منها موقف الإنصاف.

كما أنى أعتقد اعتقادا جازما أن كثيرا من العلماء النظريين و التجريبيين الماديين لو اطلعوا على آيات الإعجاز العلمى فى القرآن، لوجدوا أنفسهم مضطرين للإيمان باللّه ... إذا وقفوا منها أيضا موقف الإنصاف، و عرضت عليهم العرض الواضح البين ...

إلا أنه و مع الأسف لم يتح لأكثر المفكرين الماديين أن يطلعوا على آيات القرآن ليدركوا من خلالها عظمته و إعجازه.

إما للعناد الذى اصطبغ به بعضهم، بعد الثورة العلمية الحديثة، التى عصفت بالدين الباطل، الذى كانت تمثله الكنيسة المنحرفة، إبان الطغيان الكنسى فى الغرب مما جعل كل إنسان يكره الدين، بل يكره مجرد السماع به، و يظن أن كل دين على الأرض كذلك الدين الذين ثاروا عليه، و انتقموا منه، ليتحرروا من ذل العبودية و الطغيان اللذين كانت تفرضهما الكنيسة، و تقف بهما فى وجه العقل و العلم.

و إما للدعاية الحاقدة السوداء، التى يلون بها الإسلام و المسلمون فى العالم، بالطرق الماكرة الخبيثة، و من قبل المؤسسات الكثيرة المنتشرة فى العالم، و التى أسست خصيصا لهذا الغرض، مما جعل الناس ينفرون بمجرد سماعهم لاسم الإسلام و القرآن، و لا سيما عند ما تستغل حقيقة التخلف و الضياع، و التشرد و الفوضى التى يعيش بها العالم الإسلامى، إذ أصبح المسلمون اليوم يعيشون فى ذروة التخلف الحضارى فى العالم ...

و إن الواجب ليحتم على جميع دعاة المسلمين، أن يجعلوا من كتاب اللّه المادة الأساسية لدعوة الناس إلى دين اللّه، يخاطبون بمعجزاته عقولهم، و يهزون بتعاليمه مشاعرهم.

المعجزة القرآنية الإعجاز العلمى و الغيبى، ص: ۳۳۵

و إننا ليجب علينا جميعا أن نشمخ برءوسنا عاليا، فخرا و اعتزازا بهذا الدين العظيم، و القرآن الكريم، الذى أكرمنا اللّه به وحيا من كلامه، ليبقى حيا فى نفوسنا، بل فى العالم بأسره، يشيع فيه البهجة و المحبة، و الصفاء و الضياء، و يرشد البشرية الحائرة إلى منزله، و محكم آياته، لعلها تتدبر أمرها، و تثوب إلى رشدها، و ترجع إلى بارئها.

إننا ليجب علينا أن نستعلى بهذا الكتاب، فوق كل ما يعترض طريقنا من الصعاب، و رغم كل ما يفرض علينا من معانى التخلف و التشرد، و الضياع و الفوضى، و نلاقيه من البأس و الحقد، فإن أمة أوتيت مثل هذا الكتاب، و أكرمت بمثل هذه المعجزة الحية، لا يجوز لها أن تكون أبدا إلا كما كان سلفها فى خير أمة أخرجت للناس، قائدة للبشرية إلى مراتب الكمال، تأمر بالمعروف، و تنهى عن المنكر، و تؤمن باللّه. متخذة من هذا الكتاب العظيم نبراسا للهداية، و دستورا لحياة الكرامة و العزة، و السعادة و الرخاء.

و إنى لأسأل اللّه أن يعيننا جميعا على تلاوة كتابه، و تدبر آياته، فى خضوع العابدين، و خشوع القانتين، لنتمتع بجمال القرآن و جلاله، و نعيش فى فيئه و ظلاله، و نقف على المزيد من الآيات الباهرة، و المعجزات الظاهرة، يتم بذلك بعضنا طريق بعضنا الآخر، فى طريق الدعوة إلى هذا الدين العظيم.

و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹